الشيخ العلامة والأديب الرحالة

محمد بن ناصر العبودي

حياته العلمية - جهوده الدعوية - رحلاته العالمية - آثاره الحميدة

تأليف

محمد بن أحمد سيد أحمد

عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية

بمكة المكرمة

تقديم

معالي الشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد العزيز العقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى

المجلد الأول

يطلب من

مكتبة الثقافة العصرية

للنشر والتوزيع

الشيخ العلامة والأديب الرحالة

محمد بن ناصر العبودي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمد، محمد أحمد سيد

الشيخ العلامة والأديب الرحالة محمد بن ناصر العبودي. / محمد أحمد سيد أحمد - جدة ١٤٣١هـ

٩٥٠ص، ١٧×٢٤ سم، ٢مج

ردمك: ٢-٤١١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- العبودي، محمد بن ناصر ٢- الرحالة السعوديون أ- العنوان

ديوي ٩٢٣,٩ ١٤٣١/٤٠١

رقم الإيداع: ١٤٣١/٤٠١

ردمك: ٢-٤١١٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

يطلب من

مكتبة الثقافة العصرية

للنشر والتوزيع

جدة / ٦٨٧٤٤٩٤-٦٨٧٦٠٠٩-٠٢

الشيخ العلامة والأديب الرحالة

محمد بن ناصر العبودي

حياته العلمية   جهوده الدعوية   رحلاته العالمية   آثاره الحميدة

تأليف

محمد بن أحمد سيد أحمد

عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

تقديم

معالي الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ العلامة
عبد الله بن عبد العزيز العقيل
رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقًا

المجلد الأول

مكتبة الثقافة العصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي من المشايخ الذين أمضوا قدرًا من حياتهم في دراسة العلوم الإسلامية وهو إلى جانب ذلك أديب فاضل حصل على ميدالية الاستحقاق في الأدب.

وإن كتابه «نفحات من السكينة القرآنية» واضح لمن يقرؤه، وخاصة من لم يكن لهم سابق ممارسة بقراءة كتب التفسير، والمعرفة باصطلاحات المفسرين.

نسأل الله تعالى أن يثيب المؤلف الشيخ محمد العبودي وأن ينفع بكتابه.

عبد الله بن محمد بن حميد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

الرياض في ٤ / ٦ / ١٣٩٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

للأخ محمد العبودي علم مضيئ عند المثقفين، لما ساهم به من جهد ثقافي، ولما وضعه على الساحة الفكرية من موائد ملأى بغذاء مفيد وشهي، وبما شارك من جهد لنقش اسم المملكة العربية السعودية على خارطة الإنجاز في الثقافة والتراث والجغرافيا، وجوانب من اللغة العربية في مكتبتنا العربية يصعب حصر الحديث عن هذا الأديب المجد الجاد في أسطر محدودة، أو صفحات معدودة، فكل جانب من جوانب إنجازه الفكري المتشعب يحتاج إلى وقفة طويلة متأنية، تكون حصيلتها كتابًا كاملًا.

د. عبد العزيز الخويطر
وزير المعارف سابقًا
ووزير الدولة - عضو مجلس الوزراء
بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة مأثورة قالها أحد الشعراء : «لا بأجدادي شرفت بل شرفوا بي» تنطبق على الشيخ محمد العبودي : الأديب الرحالة .

ذلك أن كثيراً من الناس ، وخاصة في الخارج يعرفون الشيخ العبودي بأنه الرجل الداعية ، الذي يجوب البلاد في رحلات عالمية متتابعة يعيد معها ذكرى رحلات ابن بطوطة المغربي إلا أنه أوسع منه انتشاراً وأكثر عطاء ..

د. محمد بن سعد الشويعر
مستشار سماحة المفتي العام
ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

تَقْـــدِيم

مَعَالي الشَّيْخ الدكتور صَالِح بن عَبد الله بن حميد

رئيس مجلس القضاء الأعلى

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فقد رغب منِّي أخونا الكريم البحَّاثـة صـاحب المصنَّفات في الـتراجم، الشيخ / محمد بن أحمد سيِّد أحمد، التقديم لكتابه الشـيخ العلَّامـة والأديـب الرحَّالة محمَّد بن ناصر العبُودي.

وقد وافقت رغبتـه الكريمـة رغبـة في نـفسي وقَبـولاً عنـدي، لأمـرين، أحدهما أهمّ من الآخر:

أوَّلهما: صلتي بالشيخ محمَّد بن أحمد سيِّد أحمد، صـلة تزيـد عـلى عشريـن عاماً عرفته فيها عالمـاً فاضلاً صالحـاً جادًّا - أحسبه كذلـك، ولا أزكِّـي على الله -، محبًّا لأهل العلم ولا سيَّما علماء بـلاد الحـرمين الشريفين، فلـه معهـم تواصل عجيب ومحبَّة واستفادة، حتى ترجم ترجمات وافية عالية الجودة عـن كثير من أعيانهم ورؤوسهم.

ثانيهما: الصِّلة بالشيخ العلَّامة محمَّد بن ناصر العبُودي، فهو أحد تلاميـذ والدي - رحمه الله -، ومِن أبرز طلَّابه وأنجبهم، وقد تحدَّث عن ذلك جـزاه الله خيراً في كثير من مؤلَّفاتـه ولقاءاتـه، بل إنَّ عنده مؤلَّفـاً خاصّاً عن الوالد

- رحمه الله -، ولعلَّ الله سبحانه أن يعجِّل بإخراجه، فقد حدَّثني عنه كثيراً بشيء من الابتهاج والدقّة الإخبارية والسبر لكثير ممَّا عرفه عن الوالد - رحمه الله -، وحسبك بأبي ناصر مدقّقاً ومدوّناً وحافظاً ومسجّلاً.

ولا أذيع سرّاً حين أقول إنَّ صلته بالوالد وحديثه عنه حديث الوفاء والإعجاب يجعلني أتعلَّق بالشيخ أبي ناصر، وكأنِّي أرى فيه حضور الوالد - رحمه الله - ومحبَّته للأحاديث العلميَّة والمسامرات الأدبيَّة وأحاديث الإمتاع والمؤانسة حين يجلس هذان الرجلان - عبد الله بن حميد ومحمَّد العبُودي-، وقد حضرت ووعيت من ذلك كثيراً في المنزل والمتنزهات وفي الرحلات والأسفار.

معالي الشيخ محمد بن ناصر العبُودي هو الشخصيَّة الذَّكِيَّة المتوقّدة، العالم البحَّاثة الرحَّالة، لم تغرُّه المناصب ولم تشغله مباهج الحياة وزينة الدنيا، قيل: إنه كان يهوى رياضة الصيد (صيد الطيور)، ولكنه تركها، أو وسَّع مفهومها، ليصطاد المشاهد وينطلق إلى البلاد والمناظر والمشاهد في أوكارها وفي مرابعها، هواية غذاها ذكاء مُتَّقِد وعقليَّة فَذَّة، ثمَّ طوَّر في غايتها ليخدم دينه وأُمَّته والدعوة إلى سبيل الله.

لم يكن همّه وهوايته الرحلة ومتعة السفر فحسب بل كان يقترن بذلك الاكتشاف والسؤال عن الأحوال والدِّيار والناس، ومِن حُسن حظّ العلم والعلماء والنَّاس والدنيا أنه دَوَّن كل ذلك بدقَّة وعناية لا أحسب أنَّ أحداً سبقه إليها، بل كان يسجّل عن الدولة والمدينة أكثر من مؤلّف حين يزورها أكثر من مرَّة.

إنَّه مَعين ثرّ، وفيض غـامر، ومـورد عـذب في تنـوُّع علومهـا ومعارفهـا ومدوّناتها ومشاهدتها وثقافتها في طبائع الـبلاد وغرائـب العـادات ونـوادر المشاهدات وتراجم الرجال ودقيق التسجيلات.

إنَّ الشيخ العبُودي – حفظه الله – عالم أديب مؤرِّخ، نسَّابة مبرِّز، متعـدّد الثقافة، حديد الذَّاكرة، مصقول الموهبة، موسوعيُّ المعرفة، دقيـق الملاحظـة، حفظ وقته ووسع ثقافته ووظَّف موهبته.

أثرى المكتبة العربيَّة والإسلاميَّة بمؤلَّفات غزار جميلـة الأسـلوب، ثريَّـة المعاني، أدبيَّة المتعة، كتب في أدب الرحلات، وفي معاجم اللغـة، والأمـاكن، وفي الأنساب، وفي الثقافة الإسلاميَّة، والأدب العربي، حتى تجـاوزت كتـب الرحلات وحدها ما يزيد عـلى مائـة وسـتين كتابـاً، أمَّـا المعـاجم فـعشرات المجلَّدات بآلاف الصفحات.

كتب عن المسلمين في بلادهم وعن المسلمين في أقلِّيَّاتهم، بل لعلـه كتـب عن شعوب تنتمي إلى الإسلام نسيها المسلمون، مِن أجل ذلـك كلّـه وغـيره رحل شيخنا إلى قارَّات الدنيا كلها في سـهولها ووهادهـا وبرّهـا وبحرهـا في جزرها ومحيطاتها.

وتأخذك الدهشة حين تعلم أنَّ ما لم يُطبع قد يفوق ما طبع، وما لديه مـن مشاريع ومسوَّدات تتقاعس عنه الهمم. وقد أطلعني – حفظه الله – عن جزء من مشروعه عن الوالـد – رحمـه الله – فذهـلت ودهشت لأنـه كـان يـدوّن يوميات منذ الستينات الهجرية من القرن الماضي / الأربعينيَّات الميلاديَّة من القرن الميلادي الماضي. وأحسب أنَّ عمره لما يجاوز عشرين ربيعاً. إنها الموهبة

الربَّانيَّة العجيبة والنضوج المبكر للغاية، بل لا أُبالِغ حين أقول: إنه سبق جيله وفاق أقرانه، لأنَّ البيئة التي عاش فيها لم تكن متعلّمة ولم يصل إليها التعليم النظامي الحديث.

سوف يُسَجِّل التاريخ بمداد من فخر هذا الرجل الذي تعلَّم فعلَّم ووعى واستوعب، أخذ بمجامع القلوب وبنواصي الكلم وفضائل التدوين، حاز الفنون واستبطن التجارب وطاف المشارق والمغارب.

وإن كان لا يحسن المفاضلة بين العلماء والفضلاء والنُّبلاء على سبيل المفاخرة أو الرّفعة من واحد والحطّ من آخر، فهذا لا يسوغ ولا يجوز، ولكن حين تكون المفاضلة لشحذ الهمم وبيان الفضل مجرّداً، فأحسب أنَّ العبُودي المشرقي يفوق ابن بطُّوطة المغربي، فهو أوسع منه انتشاراً وأكثر منه إنتاجاً، وإن كان من عذر لابن بطُّوطة فهو الوسيلة وطبيعة العصر من الرَّاحلة والسفن الشِّراعية، وصاحبنا يمتطي السيَّارة والطيَّارة والباخرة والقاطرة، هذا في الوسيلة. أما المضامين، فقد شرَّق العبُودي وغرَّب في الموضوعات التي طرقها والعلوم التي دوَّنها والانطباعات التي سجَّلها.

وأشعر أنِّي مضطرّ لإيقاف جريان القلم فالحديث عن أبي ناصر لا ينقضي منه العجب والمادَّة عنه غزيرة ثرَّة.

وأختم بأنه – حفظه الله – في عمره المديد والذي جاوز الخامسة والثمانين لا يزال يتمتَّع بذاكرة الشباب، وحين يتحدَّث لا يتلعثم ولا يُكَرِّر الألفاظ، ويذكر الأشخاص بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجدادهم وانتمائهم القبلي والمكاني ويذكر الأرقام والإحصاءات والسنوات.

فحفظه الله وزاده علماً وفضلاً وصحَّة وقوَّة، وأمدَّ في عمره عـلى طاعتـه، وأسبغ عليه نعمته، ليتمّ هذه المشاريع المتراكمة المتوالـدة ليمكـث في الأرض وينفع الناس بإذن الله، والله مِن وراء القصد.

وصلى الله على نبيّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

وحرَّره /

صالح بن عبدالله بن حميد

مكَّة المكرَّمة

يوم الخميس ٢٦/ ٥/ ١٤٣٠هـ

تقديم

سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل

رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى

الحمد لله وحده، وأُصَلِّي وأُسَلِّم على عبده ورسوله محمَّد وآله وصحبه.

وبعد:

فإنَّ الأخ الشيخ العلَّامة محمَّد بن ناصر العبُودي - حفظه الله - نادرة من نوادر هذا الزمان، فقد أوقف نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، وقد هيَّأ الله له أسباب ذلك، فقد تلقَّى العلم على أيدي كبار العلماء، كالشيخ عمر بن سليم، والشيخ صالح الخريصي، وغيرهما، ثمَّ استفاد مِن ملازمته ومزاملته لمشايخنا الكبار أصحاب السماحة، الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي البلاد السعودية، وخلفه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الجامعة الإسلامية، والشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى، والشيخ محمد بن علي الحركان في رابطة العالم الإسلامي.

وقد تقلَّد وظائف عديدة ساهم من خلالها في الدعوة إلى الله ونهضة البلاد العلمية، فقد عُيِّن مديراً للمعهد العلمي ببريدة عند افتتاحه سنة ١٣٧٣هـ ثمَّ أميناً عامَّاً للجامعة الإسلامية بالمدينة النبويَّة عند افتتاحها سنة ١٣٨٠هـ ثمَّ وكيلاً لها، ثمَّ أميناً عامَّاً للدعوة الإسلامية، وأخيراً الأمين المساعد لرابطة العالم الإسلامي، إضافةً إلى مشاركاته في عدة هيئات علمية، وحضوره عدداً من المؤتمرات العلميَّة والأدبيَّة داخل المملكة وخارجها.

ولثقة الحكومة به صارت تُكَلِّفه بمهمّات رسميَّة خارج البلاد، جال خلالها العالم خدمة للإسلام والمسلمين، وقد تعجبت من عدد رحلاته حول العالم التي بلغت ١٨٠ رحلة، والتي جاب فيها القارَّات الخمس وزار أغلب بلدانها، ويؤلِّف في كلّ رحلة رسالة تستوعب مقتضيات الرحلة، معتنياً في كلّ رسالة منها بذكر معالم البلاد وذكر آثارها ومساجدها وشخصيّاتها والبارزين من رجالها، وهذا يُذَكِّرنا برحلة ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما، مع الفارق، لأن الشيخ محمَّداً يصف الرحلة وصفاً دقيقاً متجرّداً معتدلاً، لا مبالغة ولا تقصير.

ومع كثرة أشغال الشيخ وأسفاره إلَّا أنَّ ذلك لم يعقه عن تأليف الكتب العلميَّة، فقد ألَّف عدَّة كتب في مختلف الفنون: في التفسير، والتاريخ، والأدب، واللغة، والأنساب، وغيرها. وقد بلغت مؤلَّفاته أربعين مؤلَّفاً بين مطبوع ومخطوط، ولو لم يكن منها إلَّا كتاب الأنساب، ومعجم بلاد القصيم، وإني لأغبطه وأعجب من نشاطاته المستمرَّة مع كبر سنّه، ولكن كما قيل:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ومع هذا فلا يزال على نشاطه وجودة ذهنه يناقش ويلاحظ ويكتب ويؤلِّف ويقوم برحلاته، ويوفي كلّ مجال حقّه، ولا شك أنَّ هذا عون من الله ولطف بالشيخ العبُودي.

وقد قام فضيلة الشيخ **محمَّد بن أحمد سيِّد أحمد** عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية بمكَّة المكرَّمة بتوثيق ترجمة قيِّمة للعلَّامة محمَّد بن ناصر العبُودي في سفر سمَّاه: **(الشيخ العلَّامة والأديب الرحَّالة محمَّد بن ناصر**

العبُودي: حياته العلميَّة، جهوده الدعويَّة، رحلاته العلميَّة، آثاره الحميدة)، بيَّن فيه حياة الشيخ العلميَّة وجهوده الدعوية ورحلاته العلميَّة وآثاره الحميدة، وغير ذلك من الجوانب العديدة، ملحقاً به تزكيات وشهادات وميداليات استحقَّها الشيخ العبودي.

وقد اطَّلعت على هذا السِّفر القيِّم فاستفدتُ منه فوائد كثيرة، لما حوى من الفوائد والنَّوادر ما يتعجَّب منه النَّاظر، فرغم معرفتي الوطيدة بأبي ناصر الشيخ محمَّد العبُودي التي بدأت منذ الستينات من القرن الماضي وتقديري لجهوده، إلَّا أنني اطَّلعتُ مِن خلال هذه الترجمة على ما لم أكن أعلمه من جوانب حياة أخي وصديقي الشيخ محمَّد ومؤلَّفاته العلميَّة.

والمؤمل من جامعاتنا السعي لإبراز جهود علمائنا وأدبائنا وتوثيق أعمالهم وآثارهم، على غرار هذا العمل التوثيقي الذي قام به الشيخ محمَّد بن أحمد سيِّد أحمد.

وإنِّي أرجو من أخي الشيخ محمَّد العبُودي المبادرة بنشر ما لم ينشر من أعماله العلميَّة التي ورد ذكرها في هذه الرسالة.

جزى الله المترجِم والمترجَم له خير الجزاء، ونفع بعلمهما الإسلام والمسلمين.

وكتبه الفقير إلى الله

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل

رئيس الهيئة الدَّائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً

حامداً لله، مُصَلِّياً مُسَلِّماً على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بعثه رحمة للعالمين، ومعلماً للأميين بلسان عربي مبين؛ فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.(١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، المختص بصفات الكمال ونعوت الجمال.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبى، المبعوث بالكتاب الكريم، المنعوت بالخُلُق العظيم، الموعود يوم القيامة مقاماً محموداً، وحوضاً موروداً، وشرفاً مشهوداً، صلى الله عليه أفضل صلاة وأنماها، وأطيبها وأزكاها، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه حماة الإسلام، وليوث الصِّدام، وهداة الأنام، وأهل المشاهد العظام، أهل مكة والهجرتين، وطيبة والعقبتين؛ الذين أغناهم نص القرآن على فضلهم عن أخبار الآحاد والقياس، حيث قال تعالى في خطابهم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.(٢)

أما بعد: فإن الله سبحانه اختار محمداً ﷺ رسولاً أميناً، ومعلماً مبيناً، واختار له ديناً قويماً، وهداه صراطاً مستقيماً، ارتضاه لجميع البشر إماماً،

---

(١) سورة: الجمعة، الآية: (٢).

(٢) سورة: آل عمران، الآية: (١١٠).

وجعله للشرائع النبوية ختاماً كما اختار له ثلة كراماً، حرصوا على الاقتداء به في أفعاله، والاستماع منه في أقواله، فكانوا له أتبع من الظل، وأطوع من النعل، فعلمهم أركان الإسلام وشرائعه، وفرائضه ونوافله، وكان بهم رءوفاً رحيماً، وعلى تعليمهم حريصاً أميناً، كما وصفه رب العالمين؛ حيث قال في كتابه المبين: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.(١)

فلم يزل عليه الصلاة والسلام يرشدهم إلى أفضل الأعمال، ويهديهم إلى أحسن الأخلاق، ويلزمهم ما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والسلامة والغبطة في الدنيا، فلم يترك خيراً إلا أمرهم به ففعلوه، ودعاهم إليه فأجابوه، ثم خلف هذه الكوكبة من العلماء الأعلام، الذين أوقفوا حياتهم على طلب العلم وتعليمه، وتحملوا المتاعب والآلام في جمع شوارده واقتناص أوابده، واستنباط قوانينه وقواعده، وأنفقوا أثمن ما يملكونه من مال وجهد ووقت في سبيل هداية الخلق...

إن تاريخ المسلمين حافل بشخصيات كبرى رباها الإسلام، وتخلقت بخلق القرآن؛ فكانت المثل الذي يهتدي المسلم بهديه، ويستضيء بنوره ويقتدي به، يرشده إلى الخير، ويحذره من مزالق الشر...

ونحن إذ نعتز بهؤلاء الرجال ونتتبع أخبارهم، ونعترف بفضلهم، ونقف على سيرهم، نستفيد منها ونقتدي بها، لنكون خير خلف لخير سلف، ونكون امتداداً لهم حلقة تتصل بحلقة، فيبقى المشعل مضيئاً، ونور الفضيلة مشعاً،

---

(١) سورة: التوبة، الآية: (١٢٨).

ونحن في هذا نتمثل قول الله عز وجـل: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.(١)

إن ما نعيشه اليوم من تمزق وانقسام، وضيعة وهوان، سببه البعد عن التمسك بعرى هذا الدين، مما أفسح المجال أمام النزعات الضالة والآراء المنحرفة أن تأخذ بزمام الأمور؛ حيث أدى ذلك كله إلى تسلط أعداء الإسلام على الأمة، والسيطرة على مقدراتها وميزاتها، ولو ثاب المسلمون إلى رشدهم ورجعوا إلى دينهم، وحرصوا على التلقي عن أهل الحل والعقد من العلماء الأثبات؛ لدانت لهم البلاد، ولسعد بهم العباد ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.(٢)

ومن هؤلاء العلماء الأعلام والمربين الناصحين، الذين عملوا بكل جد وإخلاص على نشر العلم، مبتغين بذلك وجه الله سبحانه وتعالى، لا يشغلهم طلب مال أو جاه أو ذكر أو صيت؛ فضيلة الشيخ العلامة والأديب الرحالة/ محمد بن ناصر العبودي، الذي أمضى عمره - حفظه الله- مُعلِّماً ورحالة في أصقاع الأرض فضلاً عن ذلك فهو عالمٌ جليل، ومؤرخٌ خبير، وأديبٌ بارع، وجغرافيٌّ حاذق، نسّابةٌ رحالةٌ، ورائد لأدب الرحلات في العصر الحاضر، متواضعٌ في مظهره، عميق في جوهره، تألفه حين تراه، وتغادره ولا تنساه، طوّف في الآفاق، وغاص في الأعماق، وجاز القفار والبحار، وواصل الليل والنهار، واجهته مصاعب فما كلّ، وامتدت به

---

(١) سورة: هود، الآية: (١٢٠).

(٢) سورة: الحج، الآية: (٤٠).

السبل فما ملّ، وإلى جانب ذلك فهو عـالم موسـوعي، وعلـم مضيء في سـماء المعرفة لما ساهم به من جهد ثقافي، ولما أنتجه على الساحة الفكريـة والعلميـة والدعوية من مؤلفات مترعة بعيون الفوائد الفرائد، ولطائف المعارف، وبـما شارك به من جهود لا يمكن للباحث حصرها ولا استقصاؤها.

إن هذا العالم الكبير: الشيخ/ محمد بـن نـاصر العبـودي اسـم سـتتوقف أمامه الذاكرة الثقافية طويلاً؛ فهـو بحـق علـم مـن الأعـلام الـذين يعـدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في علومه وفنونه، واسـع الثـراء من كنوزه.

إن دراسة وإظهار سيرة هذا العالم الموسوعي لتلقي ظـلالاً وارفـة، عبقـة وعميقة على شباب اليوم، الذين يبحثون عـن الأسـوة الحسـنة، ويترسـمون خطى القدوة الطيبة.

ومما لا شك فيه أن هذه القدوة تنير لهم طريق الحـق والخـير، وتضيء لهـم مسالك الحياة، فيسـيرون عـلى هـدى مترسـمين معـالم الرشـد والإصـلاح، فترتفع أقدارهم وتتميز شخصياتهم، وتعلو بالقدوة الصالحة منزلتهم؛ حيث إن للقدوة الطيبة أثرها البيّن في تهذيب النفس وصلاحها وصـقلها وتربيتهـا تربية جادة وفاعلة.

إن الدارس لفكر وعلم - المترجَم - حفظه الله - يدرك أنه أمام شخصية إيجابية فعالة؛ فهو يمثل - بحق - جيل الكبار من العلـماء الأخيـار في سَـمْته ووقاره وهدوء نفسه وحبه للعلم، والشغف بتحصيله والبعد عـن الاهـتمام بالمظاهر الكاذبة، مع أنه وطئت قدماه حواضر العالم القديم والحـديث، فلـم يشغله عن قضايا أمتـه وتراثهـا أي شـاغل، كـما لم يحجبه عـن مكـامن مجـدها وحضارتها الخالدة أي حاجب، حاله في ذلك حال العلماء العاملين والأئـمة المصلحين.

إن هذه الشخصية الفذة تتمتع بصفات متعددة، ومواهب ربانية عظيمة صقلتها التجربة، وأزكاها المِراس والمعاناة، وهذا كله يجعل من يتحدث عن هذا العَلَم المبَّرز يحتار في اختيار الجانب الذي يعتقد أنه يهم القارئ الكريم ليكون مدخلاً للحديث عنه، وتعظم المشكلة عندما تكون الكتابة عن إنسان لا يرغب في الحديث عن نفسه، ولا يطربه كثيراً ثناء الآخرين عليه.

إن دراسة شخصية مثل شخصية - المترجَم - حفظه الله وعرة المسالك، وعميقة التضاريس، ومع ذلك فدراستها لها قيمتها الكبرى في عصرنا الحاضر الذي يرزح تحت أعباء الماديات والمتناقضات، وأعترف أن الكتابة عنه فيها بعض الجرأة والمسؤولية والمعاناة.

وإني لأعلم من نفسي أنني لا أستطيع أن أوفّي هذا العالم المربي حقه، ولكنها خطوة على الطريق الصحيح، يمكن أن تفيد القارئ والباحث؛ فيطل على التاريخ الحديث للعلماء العاملين والدعاة المصلحين.

إن الشيخ العالم: محمد بن ناصر العبودي ليس رجل قُطْر مهما اتسعت أرجاؤه، وليس رجل إقليم مهما امتدت أطرافه، ولكنه رجل أمة أحسّ بمِحَنها، وصهرت جوانحه آلامها، وأقلق مضجعه هوانها على الناس، فحمل أثقالها مع أثقال وطنه، فأجال فكره في قضاياها، وأسال قلمه في مشكلاتها، وعمل على أن يعيدها - كما شاء ربها - ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] وكان لها - في كل ما صال فيه وجال وما كتب وقال - من الناصحين المخلصين، هكذا حسبناه، ولا أزكي على الله أحداً.

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١١٠).

وإن أمة كثر فيها أولئك العلماء البررة، لجديرة أن تصافحها يد السعادة والهناء والعزّ والإباء، ويأبى القلم ويعجز أن يخط جميع مآثرهم، فذلك ما لا نستطيعه، ولكننا لن نعجز أن نترسم خطاهم، وأن ندعم محبتهم في سويداء قلوبنا، وأن نلهج بالدعاء والاستغفار لهم آناء الليل وأطراف النهار.

وإن شئت - أخي المسلم - أن تحظى بشيء من عزهم وأن تلحق بركبهم، فاجعل الورع شعاراً، والنزاهة دثاراً، والحق جُنة، والصدق سُنة، والعلم سراجاً، والحلم منهاجاً، وكن على يقين أن من حظي بالعلم الشرعي فقد نال خيراً كثيراً وعزاً باقياً، ولا تغتر بمن أعطي الدنيا، فقد جاء في الحديث:

((وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب؛ فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه)) رواه أحمد وصححه الحاكم.

إن من الوفاء للمترجَم - حفظه الله - التعريف بجهوده لما يرجى من حفز همم طلاب العلم على التأسي به في جدّه ومثابرته في الدعوة إلى الله، والتمسك بالسنة، ولزوم الحكمة، وحسن النظر في الأمور وعواقبها، وإنه لجميل أن تعرف هذه الأمة للعلماء فضلهم، وتحفظ حقهم، وتجل قدرهم، وتنزلهم منازلهم اللائقة بهم بوصفهم معالم هداها ومصابيح دجاها.

وفي الختام فهذه كلمة عرفان ووفاء صدّرت بها هذه الترجمة الحافلة بالكفاح والعطاء والتضحية حتى يكون المترجَم له مثلاً يُحتذى، وقدوة تُؤْتسى

والله تعالى أسأل أن يتقبل عملي، وأن يجعله خالصاً لوجهه ابتغاءَ لمرضاته إنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه:

محمد بن أحمد سيد أحمد

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

غرّة ربيع الأول: ١٤٣٠هـ

تمهيد

(القصيم)[1]

بين ماض مجيد.. وحاضر سعيد

القصيم من المقاطعات النجدية التي تتصف بنقاء الهواء، ووفرة الماء، مع طيب المرعى، وصفاء التربة، وشهد كثير من المؤرخين لأهله بأنهم كانوا من أنشط النجديين في التجارة والصناعة والاتصال بالعالم الخارجي؛ بل كانت كلمة (نجديين) أو (عقيل) إذا أطلقت في بعض البلاد المجاورة كالعراق والشام لم تنصرف أذهان الناس إلاّ إليهم، ولم تنطبق في عرف المتكلمين من أهل تلك البلاد إلا عليهم، وذلك لأسفارهم إلى تلك البلاد أكثر من غيرهم.

وفي القصيم المواضع التاريخية، والمواطن الأثرية، والأماكن التي استثارت خيال الشعراء، و أوحت بروائع أدبية خالدة للأدباء، فحبَّروا فيها القصائد، وتغنوا بتلك المعاهد، حتى أصبحت - بعد ذلك - مثلاً يحتذيه المحتذون ولو لم يروا القصيم، وشعاراً يزين به الشعراء أشعارهم؛ ممن هم على آثارهم مقتدون، وناهيك بما ورد في (رامة) و (عاقل) و (منعج) و (الحمى) وفي الجبال التي تطل على حدوده كالعلم وأبانين وقطن، وبالرمال التي توشح حواشيه كاللِّوى وزَرُد.

---

(١) معجم بلاد القصيم للعبودي، ص: ٢٣ / ٦٣

وفيه وادي الرُّمة الذي هو أكبر وادٍ في نجد، وهو المُسْتَحْقَب الأكبر لأودية كثيرة تنساب من مساحات شاسعة تمتد من الأعالي الغربية للجزيرة العربية قرب (خيبر) حتى أسافل القصيم؛ بل أسافل الجزيرة العربية فيما يقال.

والقصيم مشهور بخصوبة أرضه، وطيب فاكهته، وثماره من الخوخ والرمان والتين، وصفه بذلك الأقدمون من أهل البلاد الخصيبة المجاورة، وقالوا: إنها من أجود الفاكهة، ومنهم الإمام الحربي، ولُغْدة الأصبهاني وأبوعبيد الله السَّكوني.

وفي القصيم العيون الجارية، والمياه السارحة، مما ذكره القدماء كالنِّباج والقريتين وعيون الجواء.

فأطنبوا في ذكره، وقالوا وأعادوا القول فيه، ثم نبع فيه، وساح في أراضيه في الوقت الحاضر من العيون والينابيع ما لم تذكره الكتب، ولم ينوِّه به المؤلفون من نهيرات دائمة الجريان، وعيون تسيل مياهها ليلاً نهاراً إلى آبار فاض ماؤها حتى سال على الأرض، وآبار أخرى تفجرت في باطنها المياه حتى طمت على الآبار، مما لو حدث في القديم لكان أعجوبة العجائب وغريبة الغرائب، وفيه من أشجار الظل، والحقول النضرة ما يجعله أو يجعل بعض الأماكن فيه جديرة بلقب السواد.

وفي القصيم من الأعشاب والنباتات البرية ما طاب عرفُهُ وفاح مسكه، واشتهر اسمه في قديم الزمان وحديثه كالشيح والقيصوم والعرار والجعد والنفل.

وفي القصيم تكثر النباتات البرية المأكولة عند العرب كالحُواءة و البِسبَاسَة والذّعلوق والحمصيص.

وفي القصيم وعلى حواشيه وأطرافه وحول ما قرب منه أغنى المواقع بالصيد، فالظباء والأرانب البرية الجميلة فيه كثيرة ومتوفرة، فضلاً عن الطيور العابرة والمهاجرة كالحبارى والقطا والحجل.

ومن أرض القصيم خرج الشعراء العظام، في قديم الزمان وحديثه كزهير ابن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير، وبشر ابن أبي حازم، وشاعر الجزيرة الفحل محمد بن عبد الله العوني، ومحمد بن عبد الله القاضي، ومحمد بن علي العرفج.

وعلى أرض القصيم أو حواشيها دارت أيام العرب الكبرى الفاصلة كيوم خزاز ويوم جبلة.

وفي أجزاء من القصيم أو على أطرافه دارت معارك العرب التاريخية التي كانت وما تزال تغني الأدب العربي بأشعار البطولة ومعاني الفخر والفروسية، مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء.

وفي القصيم المدن التي كانت - قبل الازدهار الاقتصادي الأخير - أرقى مدن نجد على الإطلاق؛ وناهيك عن مدينة عنيزة التي قال عنها أمين الريحاني: إنها باريس نجد.

وفي أهل القصيم الأسر العريقة، والفصائل الكبيرة، والشخصيات المقيمة من جميع القبائل العربية المعروفة التي تنتمي لقحطان وعدنان، إلى جانب الأسر المشهورة والشخصيات البارزة ممن لا ينتمون إلى قبيلة أو يصلون نسبهم بعدنان أو قحطان؛ ولكنهم بعصاميتهم وقوة شخصياتهم تسنموا ذرى المجد، وحصلوا على المكان الرفيع في عالم الشهرة.

ومن القصيم عرف عدد كبير من علماء الجزيرة وأبنائها ممن تولوا مناصب القضاء، أو أصبحوا مراجع في الفتيا، يطول سرد أسمائهم، وتفصيل

أحوالهم، ويكفي أن نذكر منهم أسرة آل سليم وأسرة آل مانع.

وفي القصيم كانت منازل عدد من القبائل العربية العريقة في الجاهلية، مثل: بني أسد وبني عبس، وفصائل من قبائل أخرى مشهورة كبني تميم، حتى نساء أهل القصيم اشتهر منهن من اشتهر في أنحاء الجزيرة وما قرب من الجزيرة مثل العرفجية[1] التي أخذت الثأر من قتلة ابنها، والمطرودية[2] التي حمت بلدتها في غياب أهلها.

* اشتقاق كلمة القصيم:

قال صاحب اللسان: القصيمة ما سهل من الأرض، وكثر شجره، أقول: وهذه هي صفة بلاد القصيم.

قال: والقصيمة منبت الغضا والأرطى والسلم وهي رملة. قال لبيد:

وكتيبة الأحلاف قد لاقيتهم   حيث استفاض دكادك وقصيم

وقال الليث: القصيمة من الرمل ما أنبت الغضا، وهي القصائم، قال أبوعبيد: القصائم من الرمل ما أنبت الغضاه، قال أبو منصور الأزهري: وقول الليث في القصيمة: ما ينبت الغضا هو الصواب، أقول: قول الأزهري هو الصواب؛ لأن الغضاه من الشجر هو كباره الذي له شوك وليس الغضا كذلك[3].

* * * * *

---

(١) العرفجية لؤلؤة العرفج.

(٢) مزنة المنصور.

(٣) انظر أماكن قديمة العمارة في منطقة القصيم، محاضرة ألقيت في دارة الملك عبد العزيز في الرياض ١٤٢١هـ، والمحاضِر هو الشيخ محمد بن ناصر العبودي، والطبعة الأولى لهذه المحاضرة كانت في عام ١٤٢١هـ.

*** من أقوال العلماء والأدباء في القصيم:**

قال السيد محمود شكري الألوسي: وفي القصيم بلدتان مشهورتان وهما عنيزة وبريدة، وهما بلدتان واسعتان، فيهما نحو خمسة آلاف دار، وفيهما مساجد كثيرة، ومدارس متعددة لطلبة علوم الدين، وفيهما نخل وأشجار متنوعة ومياههما من الآبار، وكان الأمير قبل ابن رشيد رجلاً من آل سليم يُوَلَّى من قبل ابن سعود، وهو من أهل بيت قديم من عنيزة من عشيرة سبيع، وكان أمير بريدة من السديريين(١) مولى من قبل ابن سعود آمراً على كافة قرى القصيم.

وقال الشيخ محمد بن بليهيد: القصيم هو بلد عظيم، مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع في القطعة الشمالية من نجد، عامر، كثير القرى والنخيل والمزارع، تبلغ قراه وخبوبه والمواضع العامرة منه من حدوده الجنوبية إلى حدوده الشمالية ومن حدوده الغربية إلى حدوده الشرقية ما يبلغ قدره مائتي قرية، ومدنه: بريدة ، وعنيزة ، وبلد الرس.(٢)

وفضلاً عن ذلك كله فقد كان لأهل القصيم في مرحلة التوحيد يدٌ طولى في تلك المرحلة الشاقة التي قادها الملك عبد العزيز - رحمه الله -، كما كان لهم دورهم السابق إبَّان الدولة السعودية الأولى والثانية.

وقد حظي القصيم من القائد الموحِّد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن - رحمه الله - برعاية وعناية خاصة، وكانت أرضه مسرحاً لمعارك فاصلة، مثل: الصريف سنة ١٣١٨هـ، ووقعة البكيرية سنة ١٣٢٢هـ،

---

(١) أسرة آل السديري ، وطبيعي أنه يتكلم عن زمنه قبل حكم الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - .

(٢) صحيح الأخبار: ج ١ ص ١٥١.

والشنانة سنة ١٣٢٢هـ ، وروضة مهنا سنة ١٣٢٤هـ، والطرفية الثانية سنة ١٣٢٥هـ ، وغيرها من الأحداث المهمة التي صاحبت مرحلة البناء والتوحيد لهذا الكيان العظيم (المملكة العربية السعودية)، الذي كان للقصيم فيه دوره المعروف.

يقول محمد بن سليمان الفوزان:

وسل عن رجال في القصيم بواسل ... ميامين قوم في الملمّات تصبر

إذا عاهدوا برّوا، وأوفوا عهودهم ... وليسوا كمن يعطي العهود ويغدر

❁ ❁ ❁

الفصل الأول

نشأته وصفاته

****

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته
- المبحث الثاني: صفاته الخُلُقية

المبحث الأول

اسمـه ونسـبه وكنـيته

۞ **هو** الشيخ العلامة والأديب الرحَّالة: **أبو ناصر محمد بن ناصر بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن عبد الله بن عبود بن سالم آل سالم.**

وآل سالم من أقدم الأسر في بريدة.

۞ **ولد عام:** ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م، في مدينة بريدة في اليوم الأخير من شهر ربيع الآخر، هكذا وجد مقيداً مضبوطاً لدى العائلة، وذلك في مدينة بريدة.

۞ **نشأته وبيئته:**

نشأ الشيخ محمد بن ناصر العبودي في بيئة معطرة بأنفاس العلم، وسط أسرة محافظة، وفي مجتمع ريفي بعيد، ففي مدينة بريدة(١) تلك المدينة الهادئة

---

(١) قال العبودي في معجم بلاد القصيم: بريدة قاعدة القصيم ومركز إدارته، وأكبر مدنه وواسطة عقده، بل قلبه النابض، إنها المدينة التي كانت ولا تزال عاصمة القصيم منذ أن عرف القصيم التنظيم الإداري، تحتل بريدة موقعاً جميلاً، إذ تحيط بها الكثبان الذهبية من ثلاث جهات، وهي كثبان مؤزرة بالخضرة، مزدانة بفروع النخيل التي تنهض من تحت أقدامها شامخة الذرى، زكا كثيب ذهبي ترقشه الأشجار الخضراء.

سبب تسميتها: اختلف في سبب تسمية بريدة فقيل: إن الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب الأسلمي - رضي الله عنه - حفر بها بئراً لإبل الصدقة، ولهذا قال الشاعر محمد الفارسي في ذلك:

بريـدة هـــذيْ بلـدة أسـلـميةٌ ... عــلاوة نـجد بـل ســنام مســنَّمِ

أحـاطت بها تلك القـرى فكأنها ... هي البدر في أفق السما وهي أنجُمُ

وقيل: سميت بهذه التسمية لبرودة مائها، وقيل: إنّ أول من عمرها رجل يقال له: البريدي فنسبت إليه، وقيل: كانت روضة ينبت فيها نبات البردي وقيل غير ذلك.

لقد اشتهر أهل بريدة منذ القدم بشدة تمسكهم بدينهم ، ولذا كانوا من أخلص أصحاب، وأتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بل ذكر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - طلب العلم على شيخ من أهالي بريدة اسمه عبد الرحمن بن أحمد ، ويدل على ولائهم للدعوة ومناصرتهم لها أن الشيخ عبد العزيز بن سويلم العريني - أحد أبرز تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - تولى قضاء بريدة مدة طويلة في بداية ظهور الدعوة إضافة إلى هجرة عدد من أتباع الدعوة وأنصارها إلى بريدة بعد خراب الدرعية، على رأسهم آل سليم الذين برز منهم علماء تولوا القضاء ، وتصدوا للتعليم فنفع الله تعالى بهم ، ولا عجب بعد ذلك أن ترى رواج سوق العلم الشرعي فيها ، فمدارس العلم وحلق الذكر تغص بالطلاب ، ودور الضيافة والغرف الملحقة بالمساجد تزدحم بالوافدين من طلاب العلم الذين وجدوا بغيتهم في هذه الرياض الناضرة ، والمجالس العامرة.

قال الشيخ الأديب صالح بن عبد العزيز العثيمين – رحمه الله -:

وسكناي في فيحا بريدة من لها	ينادي جميع الشرق وسطك أرحب
لما ضم من أهل العلوم الذين هم	يزال عن الدين المشرف غيهب
فأكرم بها كم أنتجت من مهذب	نجيب فتى من ذي النجابة أنجب
فهذا بإفتاء وذاك واعظ	وذاك بأمر العرف يأتي ويذهب
وذاك بتدريس وذاك مصنف	يهدي بما يبدي لنا ويهذب
يقضي زماناً والأنام دأبها	تسير أقلاماً بذا وتبوب

انطلق منها العلماء وطلاب العلم للنفع في عامة البلاد ، فقد خرجت بريدة عبر هذه القرون كوكبة العلماء وطلاب العلم، الذين ساروا على نهج أسلافهم من سلف هذه الأمة في حمل راية الدعوة ونشر العلم.

وقد قدم إلى بريدة الشاعر السوري محمد عالي الحمراء ، المعروف (بعلي دمر) في النصف الثاني من القرن الهجري المنصرم، فرأى صدق تمسك أهلها بدينهم واقتدائهم بأسلافهم ، فذكروه بأولئك الأقوام فقال هذه القصيدة المعبرة:

ما زلت أبحث في الأكوان عن عرب	صافين ما اختلطوا يوماً بأعجام
أقحاح أحرار ما شابت طبائعهم	عادات مجلوبة من شر أقوام

المترامية الأطراف؛ نشأ الفتى محمد بن ناصر العبودي نشأة صالحة تغمرها العاطفة الدينية الجياشة، وتوثق عراها سلامة الفطرة، وحسن الخلق، والبعد عن الخرافات والخزعبلات، وكان لهذه النشأة الطيبة أثرها البالغ في حياة - المترجَم له - حيث بدأ حياته العلمية بحفظه لكتاب الله تعالى حفظاً متقناً مع تجويده على يد عدد من مشايخه آنذاك، ومنهم الشيخ صالح بن كريديس - رحمه الله - فقد قرأ عليه القرآن مجوداً وهو في سن مبكرة.

* * * * *

=

حتى نزلت على نجد بزاهية ... من القصيم لدى ماء وأنسام
بريدة بردة فيها الماء لدى ... خضر الخمائل في سهل وآكام
لما بدت لي وجوه القوم بادرني ... دمع السرور بأخوالي وأعمامي
حظيت بالعرب العرباء يا فرحي ... وَرَدْتُ يُنبوع أخلاقي وإسلامي
أرى بهم صورة الماضي التي عبقت ... من طيبة الأرض من شرع وأحكام
أرى بهم شكل أجدادي الألى حملوا ... للعالمين ضياء المبدأ السامي

وقد تبوأ هؤلاء العلماء المناصب العلمية الرفيعة من القضاء والتدريس وغيرها ، فقد بعث الملك عبد العزيز - رحمه الله - عام ١٣٥٣هـ ما يزيد على خمسين شخصاً وجهوا إلى المناطق الجنوبية في المملكة كقضاة ومعلمين ومرشدين لهم أو معظمهم من هذه المدينة.

قال العبودي: إن بريدة هي في بلدان القصيم ، مدينة الفقه والفقهاء ، بل هي مدينة الأسر العلمية التي يكفينا شاهداً على ذلك أن نذكر أسرة آل سليم التي ظل أفرادها يتعاقبون مناصب الإفتاء والقضاء ، وظلت تنجب الفقه والفقهاء لأكثر من قرن من الزمان.

(انظر بريدة داخل الأسوار وخارجها / أحمد بن حسن المنصور ، و بريدة نموها الحضاري (٢/ ٤٩) ، ومعجم بلاد القصيم للعبودي (٢/ ٤٦٧).

۞ أصوله وفروعه

ينتمي الشيخ محمد بن ناصر العبـودي إلى أسرة كريمـة، طيبـة الأخـلاق محمودة السيرة، حسنة السمعة، متمسكة بالأخلاق الإسلامية، وأخلاق أهل القرية والريف التي لم تتلوَّن بمظاهر الحضارة الكاذبة؛ فوالده هو نـاصر بـن عبد الرحمن بن عبد الكـريم بـن عبـد الله بـن محمـد بـن عبـود ١٣٧٠هـ/ ١٢٩٢م، كان رجلاً شهماً، يحفظ أخبار الناس وأحاديـث العـرب وقصـص المروءة والشهامة، وكان ذا معرفة بالأسر والأنساب على الرغم من أنـه كـان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، كما كان ذا عناية بالأدب، تقول الدكتورة فاطمة بنـت محمد العبودي في حديث لها بجريدة عكـاظ: كـان جـدي نـاصر قاصًّـا مـن الدرجة الأولى، يحفظ الكثير من القصص والروايات ويرويها بطريقة مبهرة، وقد تكون طريقة والدي المشوقة واسترساله في رواية مشـاهداته وانطباعاتـه ورثها عن والده، أما جده عبد الرحمن فكـان شـاعراً عاميـاً، ويعـزو الشـيخ محمد العبودي عناية والده بـالاطلاع، ومعرفـة الأخبـار، والعنايـة بـالعلوم الدينية إلى خال والده عبد الرحمن الشيخ المعروف الملا عبد المحسن بن محمد السيف، وأسرة آل سيف أسرة علمية متقدمة.

* **أما والدته** فهي نورة بنت موسى بن عبد الله العضيب، وكانـت قارئـة للقرآن الكريم والكتب، وهذا من العجب أن تكون الأم قارئة والأب أمياً.

******

۞ فروع الشيخ محمد بن ناصر العبودي:

إن من أعظم النعم وأكبر المنن أن يوفق الإنسان بعد تقوى الله عز وجل إلى زوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه، تطيعه إذا أمر، وتسره إذا نظر، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله، تتقن عملها، وتعتني بنفسها وبيتها

وزوجها، فهي زوجة صالحة، وأم شفيقة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، ولا أدل على ذلك من قوله ﷺ: ((المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)).[1] و قوله ﷺ: ((الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة)).[2] و قوله ﷺ: ((من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح)).[3]

ولقد كان من نعم الله وحسن بلائه على فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي أن وفقه لزوجة صالحة وسيدة فاضلة، من أسرة كريمة وعائلة فاضلة هي عائلة آل سالم الكبيرة؛ فقد تزوج ابنة خاله عبد الله بن موسى العضيب، وقد أنجب منها ذرية طيبة يبلغ عددها تسعة أفراد.

وهـــم:

١/ ناصر: وهو حاصل على بكالوريوس هندسة من جامعة القاهرة، ويعمل مهندساً معمارياً في وزارة الأشغال العامة والإسكان.

٢/ خالد: بكالوريوس كلية العلوم الإدارية من جامعة الملك سعود، وماجستير من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل في المؤسسة العربية لتنمية القطاع الخاص التابعة للبنك الإسلامي للتنمية.

٣/ طارق: بكالوريوس كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، ويعمل في ديوان سمو ولي العهد، وله مشاركات إعلامية منشورة.

---

(١) متفق عليه ، البخاري (الفتح ١٣ / ٧١٣٨) ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد (١ / ١٦٨)والحاكم (٤ / ١٦٢) وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣ / ٤٢) وقال: رواه أحمد بإسناد صحيح والطبراني والبزار.

٤/ **د. فاطمة:** وهي حاصلة على الدكتوراه في الرياضيات، وتعمل عميدة الأقسام العلمية في كلية التربية للبنات، ولها مشاركات أدبية وفكرية منشورة.

٥/ **د. لطيفة:** وهي حاصلة على الدكتوراه في الاقتصاد المنزلي، وتعمل في كلية التربية للبنات.

٦/ **شريفة:** وتحمل الماجستير وتُحضّر الدكتوراه في الترجمة، ولها إسهامات أدبية وقصصية منشورة.

٧/ **مريم:** بكالوريوس لغة إنجليزية.

٨/ **ليلى:** بكالوريوس في علم النفس.

٩/ **مي:** بكالوريوس من كلية العلوم.

******

إخوته وهم:

١/ الشيخ سليمان بن ناصر العبودي:(١)

هو القاضي الشيخ / سليمان بن ناصر بن عبد الرحمن العبودي.

ولد في مدينة بريدة عام ١٣٥٠هـ، وتعلم في مدارسها، وتلقى العلم على عدد من مشايخ بريدة، منهم: الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي قاضي المذنب سابقاً والمدرس في معهد بريدة العلمي بعد ذلك، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم بريدة السابق، والشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ثم العلامة الشيخ عبد الله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء

(١) انظر روضة الناظرين لمحمد عثمان القاضي (٣ / ٤٤) والمستدرك على تتمة الأعلام لمحمد خير اليوسف (٢ / ١٧٤) وتاريخ القضاء والقضاة (٢ / ٦٦٦) والمبتدأ والخبر (١ / ٥١٥).

- رحمهم الله جميعاً -، والتحق في معهد الرياض العلمي عام ١٣٧٢هـ؛ حيث اجتاز امتحان القبول فيه، والتحق بالسنة الأولى الثانوية، وعندما فتح معهد بريدة العلمي عام ١٣٧٣هـ التحق به حتى أكمل دراسته الثانوية ، ثم التحق بكلية الشريعة في الرياض حتى حصل على إتمام الدراسة العالية فيها.

أعماله : عين قاضياً بمحكمة بريدة الكبرى من دون أن يمر بمرحلة ملازم قاضي، وذلك تقديراً لكفاءته القضائية، ولبث في محكمة بريدة قاضياً مدة خمس سنين، ثم نقل من محكمة بريدة إلى قضاء الأرطاوي في السر في ٦/ ١١/ ١٣٩٠هـ، ولم يناسبه المقام هناك، وبخاصة أنه يريد إلحاق ابنه في المعهد العلمي ولا يوجد فيها معهد، فطلب النقل من القضاء إلى التدريس، وألحّ في ذلك حتى استجيب إلى طلبه؛ حيث تمّ نقله إلى وزارة المعارف مدرساً في معهد النور في بريدة؛ لأنه يحمل شهادة في كيفية تعليم المكفوفين، حيث بقي يدرس فيه إلى عام ١٤١٠هـ حيث أُحيل إلى التقاعد لبلوغه السن النظامية. **وتوفي عام** ١٤١٥هـ عن ٦٥سنة - رحمه الله -. **ومن شعره:**

ياليت في وجه اللئيم علامة	كي لا يغر به الكريم ويُخدعا
كم من كريم غره سيما امرئ	فحباه بالنعماء منه تورُّعا
وأناله ما لم ينل من قلبه	فإذا به يبدو شجاعاً أقرعا
يهوي إليه بنابه ليعضه	وإذا تكلم عنه يوماً أقذعا
وبجانب الحساد يرفع راية	من غير أن يخشى وأن يتورعا
وإذا به يلقاه حين كبت به	أيامه شر المراتع مرتعا
هذا وذلك دأبه حتى بدا	وكأنه من خيره متوجعا
فإذا بليت بمثل هذا فاستعذ	بالله من شر المصائب أجمعا
فاعلم بأن الصبر والصفح الجميل	لأهله خير وأفضل مرجعا
اسأل عن الجيران قبل جوارهم	كيلا ترى ما لا تحب وتسمعا

فالناس أجناس فذا مسك وذا   زفتٌ كريه الريح والطعم معا
هذا ومنهم من إذا أكرمته   جازاك عنه ولو بمأثور الدُّعا

٢/ الشيخ عبد الكريم بن ناصر العبودي:

وهو طالب علم، عمل في عدد من الوظائف الحكومية حتى تقاعد، كان آخر أعماله ووظائفه مديراً للامتحانات في كلية العلوم العربية والاجتماعية بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وهو أصغر إخوانه، ولادته في عام ١٣٥٦هـ، كما أن للشيخ محمد ثلاث أخوات....

المبحث الثاني
صفاته الخُلُقية

۞ حُسْن أخلاقه :

إن مكارم الأخلاق جمال لا يوازيه جمال، فهي ميزان الرجال، وأصل الجمال، وحظ الإنسان منها بقدر ما تخلق به من تلك الأخلاق.

قال الماوردي – رحمه الله –: (إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب).

وقال ابن رجب – رحمه الله –: (إن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة، و التأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه).

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: (هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً وصولاً، وقوراً صبوراً شكوراً، رضياً حليماً، رفيقاً، عفيفاً، شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً ولا بخيلاً، ولا حسوداً، بشّاشاً هشّاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق).[1]

وأحسب ولا نزكي على الله أحداً أن الشيخ العبودي يتمتع بخُلُق فطري، لا يصطنع ولا يتكلف في تعامله مع الآخرين، لكنه ينزل الناس منازلهم، ولا يبخس أحداً منهم حقه، ولا يخلو مجلسه الجاد في غالبيته من طرفة جميلة، أو نكتة بديعة، تخرج ابتسامة لطيفة على محيّا الجميع، لتبعد عنهم السآمة والملل.

(١) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي (ص : ١٩٠).

فقد عُرف عند طلابه مهيباً وقوراً حازماً، خطواته المتأنية على قدميه تبعث الطلبة على الانضباط و السكينة.

ومن حسن خلقه ذكراه دوماً لأصدقائه من زملاء الطلب والعمل الأوائل، الذين قد بعدتهم صروف الأيام وتقلباتها وأحوالها، وقد حالت دون اللقاء بهم.(١)

إلا أنه دوماً يحرص على لقاء الأحياء منهم، وتجاذب ذكرياته معهم، كما أنه لا يتردد في ذكر مواقف بعض زملاء من العلماء الأجلاء في الجامعة الإسلامية، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، صاحب (أضواء البيان)، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ حماد الأنصاري وغيرهم - رحمهم الله جميعاً-.

* * * * *

۞ حلمه وسعة صدره:

من الصفات الحميدة والفضائل الرشيدة التي ميز الله بها الإنسان على غيره من المخلوقات، فضيلة الحلم.

فالحلم من أشرف الأخلاق وأنبل الصفات، وأجمل ما يتصف به ذوو العقول الناضجة و الأفهام المستنيرة، وهو سبيل كل غاية حميدة، ونتيجة حسنة، ونهاية سعيدة، ولقد بين رسول الله ﷺ منزلة الحليم وما له من أجر وثواب عظيم عند الله ، وكفى بمحبة الله وثناء رسول الله ﷺ عليه، ودليل ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة)). رواه البخاري ومسلم.

---

(١) انظر عميد الرحالين لمحمد بن عبد الله المشوح (ص:٧٨)

وفي سنن أبي داود أن المنذر الأشج قال: يا رسول الله: ((أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما، قال : الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله)).

وبلوغ الحليم هذه المنزلة ليس بعجيب ولا غريب، ذلك أن الحلم هو سيد الفضائل، وأسّ الآداب، ومنبع الخيرات، قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾.[1]

قال عطاء بن أبي رباح في تفسير قوله تعالى: (هوناً): حلماء علماء.[2]

وقال أكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر، وخير الأمور العفو.[3]

وقال عطاء بن أبي رباح: (كان يقال ما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم).[4]

ولقد منّ الله تعالى على فضيلة الشيخ محمد العبودي، فجمع له بين أكرم خصلتين، وأعظم خلّتين هما العلم والحلم، والعالم العظيم حقاً كلما حلق في آفاق الكمال اتسع صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس الأعذار لأغلاطهم.

وثمت أمر آخر يدل على سعة صدر المترجَم - حفظه الله - أنه يتحمل مسايرة جميع أصناف الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعوائدهم وأخلاقهم وتباين آرائهم، لا يمل حديثهم، ولا يسأم من سماع مشكلاتهم،

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٦٣).

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٧١) وإحياء علوم الدين (٣/ ١٧٧)

(٣) انظر إحياء علوم الدين للغزالي: (٣/ ١٧٨)

(٤) سنن الدارمي: (١/ ١٥٢) رقم ٥٧٦.

ولا يغضب من كثرة أسئلتهم وفتاواهم، ويؤكد هذا جم غفير من الدعاه ورجال الفكر والصحافة.

وبالجملة فإن فضيلة الشيخ العبودي، رحب الصدر، عميق الفكر، واسع المدارك، حليمٌ رفيقٌ، لا يواجه أحداً بما يكره، وذلك لسعة صدره وغزارة علمه وحيائه.

* * * * *

۞ تواضعه:

قال أبو بكر الصديق ﷺ: (وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع).[1]

- عن عائشة ﷺ قالت: (تُغفلون أفضل العبادة: التواضع).[2]

- عن جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال له سليمان ﷺ: (يا جرير تواضع لله؛ فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة).[3]

- قيل لعبد الملك بن مروان: (أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع من قدرة، وزهد عن رغبة).[4]

- قال الجنيد بن محمد: (التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب).[5]

- قال عروة بن الورد: (التواضع أحد مصايد الشرف، وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع). [6]

(١) إحياء علوم الدين: (٣/ ٣٤٣).
(٢) وكيع في الزهد ورجاله ثقات وإسناده صحيح.
(٣) وكيع في الزهد ورجاله ثقات.
(٤) إحياء علوم الدين: (٣/ ٣٤٢).
(٥) مدارج السالكين: (٢/ ٣٤٢).
(٦) إحياء علوم الدين: (٣/ ٣٤٣).

- قال إبراهيم بن شيبان: (الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة).[1]

إن التواضع خُلُق جميل، وسلوك نبيل، منشأ التواضع من معرفة الإنسان قدر عظمة ربه، ومعرفة قدر نفسه، فمن عرف نفسه وتواضع لربه فإنه لا يتمرد على خالقه باقتراف الجرائم والآثام، كما أنه يعامل الناس معاملة حسنة بلطف ورحمة ورفق ولين جانب، لا يزهو على مخلوق ولا يبالي بمظاهر العظمة الكاذبة..

يقول أحد المعاصرين وهو الأستاذ محمد بن عبد الرزاق القشعمي: الشيخ العبودي كما عرفته رجل متواضع بسيط رقيق يعطي كل ذي حق حقه، يحب المعلومة ويبحث عنها في مصادرها، ويتأكد من صدق روايات البعض لمقارنتها بروايات غيرهم، فلديه ذخيرة ممتازة من المخطوطات والكتب، وقسم خاص بمسودات كتبه التي لم تنشر، ومن أهمها: « الأسر المتحضرة في القصيم » فله إلمام تام بعلم الأنساب، ومرجع في الأسر والقبائل، ورغم أنه عمل بها منذ أكثر من ثلاثين عاماً، إلا أنه ما زال يعتقد أنه لم يستوف ما يؤمل منه، وأظن والله أعلم أن ظهور كتاب الشيخ حمد الجاسر (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد) عام ١٤٠١هـ أي منذ ثلاثة وعشرين عاماً، والذي أخذ من مسودات العبودي الكثير هو السبب في تأخير صدور كتابه: « أسر القصيم » على أي حال فالشيخ العبودي كتاب مفتوح للجميع.

وقال آخر: في الواقع أن ما من رجل زاد على غيره تواضعاً إلا زاده ذلك

---

(١) مدارج السالكين: (٢/ ٢٤٢).

فضلاً عليه، فالشيخ الفاضل محمد بن ناصر العبودي عالم متشعب المواهب في مختلف العلوم الشرعية والاجتماعية واللغوية والجغرافية وغيرها، فالكتب التي قام هذا الشيخ الجليل بتأليفها في مختلف العلوم المفيدة تشهد له بسعة العلم وتوقد الفكر على حد سواء، والفرق الكبير بين عالم أشد تطلعاً إلى من يلفت نظره إلى الأخطاء التي قد تقع منه إما بفرط من الجهل بالشيء وإما بالرواية المغرضة، فيبادر إلى تصحيح مثل هذه الأخطاء إن وجدت مع جمال التواضع، وآخر تأخذه العزة بالإثم، فلا يقع عنده مثل هذا التنويه إلى أخطائه موقع القبول، فاتساع آفاق المعرفة هي المعيار للفرق بينهما؛ فالأول قد نهل من العلم قارئاً فباحثاً فكاتباً ثم محققاً، حتى وصل إلى حقيقة أن العالم كلما ازداد علماً أدرك بأنه بحاجة إلى المزيد من المعرفة بالشيء، بينما الثاني قد أقحم نفسه في عالم الأدب من دون أن يملك من الأدوات العلمية ما تؤهله عقلياً إلى أن يكون واحداً ممن لهم زيادة في الفضل على غيرهم بنمو الفكر واتساع آفاقه في هذا الجانب من العلم، ولا شك بأن الشيخ العبودي كان - بحق - واحداً بارزاً من الصنف الأول عن جدارة، علماً وخلقاً وكرماً، ولا أقول ذلك من قبيل الملق لمآرب في النفس، وإنما أقول ذلك متوكئاً على أقوال من احتكوا به بعد أن ساءهم ما كتبه عنهم، وكان إلى تصحيح الخطأ وتصويب الصواب أسرع من تناقش معه في الحديث فيه، وقد قال لي واحد منهم إنه كان متهيباً منه قبل مقابلته، وقد خرج من عنده وهو يشعر بأن هذا الشيخ أقرب الناس إليه وداً أو محبة..»[1]

* * * * *

(١) أنظر مجلة الثقافية: الاثنين ٤ ذو الحجة ١٤٢٤هـ - ٢٦ يناير ٢٠٠٤م، العدد (٤٥).

۞ جدّيته وصبره:

قال ابن تيمية - رحمه الله -: قد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾.(١)

وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.(٢)

فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر كما قال معاذ بن جبل ﷺ: «عليكم بالعلم، فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقواماً يجعلهم للناس قادة، وأئمة يهتدون بهم، وينتمون إلى رأيهم»، فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾.(٣)

وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾.(٤)

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول هو الضلال، وضد الثاني الغي؛ فالضلال العمل بغير علم، والغي اتباع

---

(١) سورة البقرة: الآية (٤٥).

(٢) سورة السجدة: الآية (٢٤).

(٣) سورة العصر.

(٤) سورة ص: الآية (٤٥).

الهوى، قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾.[1]

فلا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر، ولهذا قال علي ﷺ: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له).[2]

لقد كانت ولا تزال الجدية في الحياة، والحرص على الوقت واستغلال ساعاته أبرز صفات العلامة العبودي التي تنقل في محطات العظماء من تعليم ومطالعة كتب وإدارة ودعوة وما تبعها من مسؤوليات.[3]

كما أن الصبر والعكوف على الكتب وكثرة القراءة والمثابرة على التأليف من أبرز ما يميز الشيخ، ويجعل له القدح المعلّى والسهم الراجح في مجال البحث والتأليف؛ حيث إن له عدة أعمال ما بين مطبوع ومخطوط.

إن جوانب الصبر في الشيخ العبودي كثيرة جداً، فالشيخ صبور على التعليم والتعلّم وكأن لسان حاله يقول:

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي ... من وصل غانية وطيب عناقِ
وتمايلي طرباً لحلّ عويصة ... أشهى وأحلى من مُدامة ساقِ

* * * * *

۞ قوة حافظته وحضور بديهته :

إن الحفظ نعمة من الله تعالى ينعم بها على من شاء من عباده، فيكون طالب العلم على استحضار تام لما يشاء من الأدلة والنصوص الشرعية، فعلمه معه حيثما حلّ وارتحل، ولا يحتاج أن يحمل كتبه معه ما دام حافظاً لها

---

(١) سورة النجم: الآيتان (١-٢).
(٢) انظر فتح المجيد: للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، " باب من الإيمان الصبر على اقدار الله ".
(٣) انظر عميد الرحالين لمحمد بن عبد الله المشوح: ص ٧٥.

كما قال الشاعر:

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

عن أبي زرعة الرازي أن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - كان يحفظ ألف ألف حديث عن ظهر قلب، يعني مليون حديث، قيل لأبي زرعة: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب. قال الشاعر:

ليس بعلمٍ ما حوى القمطرْ ما العلم إلاّ ما حواه الصدر

وقال آخر:

عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب فإن للكتب آفات تفرقها

الماء يغرقها والنار تُحرقها والفأر يخرقها واللص يسرقها

وقال آخر:

العلم في القلب ليس العلم في الكتب فلا تكن مغرماً باللهو واللعب

فاحفظه واعمل كي تفوز به فالعلم لا يجتنى إلاّ مع التعب

قال ابن عباس ﷺ: (العلم كثير، ولن تعيه قلوبكم، ولكن ابتغوا أحسنه، ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(1)).

وأوصى الخليفة المأمون أحد بنيه بقوله: (اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدّث بأحسن ما تحفظ).

وذكر الحافظ ابن حجر في لسان الميزان عند ترجمته للشاعر صالح بن عبدالقدوس أنه قال:

---

(1) سورة: الزمر، الآية: (18).

وإذا طلبت العِلْمَ فاعلم أنه حملٌ فأبصر أي شيء تحمل
و إذا علمت بأنه متفاضل فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

روى ابن عبد البر عن الزهري أنه قال ليونس بن يزيد: « لا تُكابر العلم، فإن العلم أودية؛ فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة، ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي و الأيام..

وإنني لأشهد أن فضيلة الشيخ محمد العبودي قوي الحافظة سريع البديهة غزير المادة، ولقد كان لهذه الحافظة القوية والذاكرة الجبارة أثرها البالغ في تحصيل ثروته العلمية، ومؤلفاته الكثيرة، وسرده للأحداث والوقائع والمشاهدات.

ومما يؤكد ويبرهن على قوة حافظة الشيخ وسيلان ذهنه أنه في لقاءاته العلمية والإذاعية يسرد مشاهداته في الدول الإسلامية أثناء رحلاته الدعوية العالمية وكأنها ماثلة أمام عينيه، يتناول في حديثه جميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية في أسلوب شيق وأدب رفيع وعلم ثرّ، يشعر المستمع بأنه أمام عالم موسوعي المعرفة، غزير المادة، متعدد المعارف.

وثم دليل آخر يؤكد على قوة ذاكرة الشيخ أنه يذكر قصصاً وأحداثاً ووقائع من أعماق التاريخ ترجع إلى أكثر من ثلاثة أرباع القرن، يذكرها وكأنها ماثلة أمام عينيه، و ثم دليل ثالث على قوة حافظته وهو أنه يحفظ أسماء الدول التي زارها وشوارعها وأبرز شخصياتها وأشهر عاداتها وتقاليدها كل ذلك في ذاكرة قلّ أن تخطئ، وبديهة يندر أن تغيب.

* * * * *

✡ علوّ همته:

قال ابن القيم – رحمه الله –: (لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه، فأشرف الناس نفساً وأعلاهم همة وأرفعهم قدراً مَنْ لذّتهم في معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه، والتودد إليه بما يحبه ويرضاه).

وقال شاعر بني عامر:

إذا لم يكن للفتى همة ... تُبَوِّئُهُ في العلا مصعدا
ونفس يُعوّدها المكرمات ... والمرء يلزم ما عُوّدا
ولم تعُد همته نفسه ... فليس ينال بها السؤددا

وقال آخر:

بقدر الكدّ تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللآلي
علو الكعب بالهمم العوالي ... وعز المرء في سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كدّ ... أضاع العمر في طلب المحال

وعالي الهمة يترفع بنفسه عن فضول المباحات، ومقومات العيش، حتى إنه ليرى عليه أثر ذلك، كما قال الشاعر:

ولكل جسم في النحول ... وبلاء جسمي من تفاوت همتي

والناس متفاوتون في هممهم كما قال ابن القيم – رحمه الله–: (ولله الهمم، ما أعجب شأنها وأشد تفاوتها، فهمة متعلقة بالعرش، وهمة حائمة حول الأنتان والحش).

ولقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في علو الهمة في طلب الآخرة، فمنهم من علت همته في العبادة، ومنهم من علت همته في طلب العلم، ولهم

في ذلك أخبار غريبة ونبأ عظيم؛ لنكتفي بذكر نماذج من سير هؤلاء النبلاء، ولهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد رباهم على علو الهمة؛ حيث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس الأعلى». ولهذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أعلى الناس همة في طلب الآخرة، كانوا رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار، ليلهم تهجد وتلاوة واستغفار.

*** ومن أراد لنفسه علو الهمة فعليه بالأمور الآتية:**

أولها: مجاهدة النفس في بلوغ المراتب العليا من الفضائل، فلا تقنع بها دون التمام، ولا تَرْضَ بالدنيء.

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

و الأمر الثاني: التضرع إلى الله بالدعاء، وطلب معالي الأمور منه، وسؤاله التوفيق والعون.

والأمر الثالث: إدمان النظر وإمعان الفكر في سير سلفنا الصالح، فإنها أعظم حافز على علو الهمة، إذ هم القدوة وبهم الأسوة.

والأمر الرابع: مصاحبة ذوي الهمم العالية ، والحذر من الكسالى والمخذلين.

لا تسأل عن المرء وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال آخر:

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيَخمُد

لقد أدرك العلامة الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي هذه الثلاث وغيرها؛ فانبرى نحو الحياة يخوض الزمان ممارسة، ويعرك الأيام بتجاربه، فتنقل في عدة مواطن فما ضنّ ولا ونى، بل جد واجتهد، وما لانت له قناة.

لقد كانت الجدية في الحياة والحرص على الوقت واستغلال ساعاته أبرز صفات العلامة العبودي الذي تنقل في محطات العظماء من: تعليم، ومطالعة كتب، وإدارة ودعوة وما تبعها من مسؤوليات.

إن همته التي جرت معه مجرى الدم، هي ذاتها التي قادته إلى الالتحاق بشيخه الشيخ العلامة عبدالله بن حميد مبكراً وهو شاب لم يبلغ العشرين بعد، فاقترن معه في حلّه وترحاله، حضراً وسفراً، ليشرب من معين علمه، ويرتوي من حياض فهمه..

❁ ❁ ❁

الفصل الثاني

حياته العلمية والعملية

******

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: مكانته العلمية وبداية تلقيه للعلم
- المبحث الثاني: شيوخه وأقرانه
- المبحث الثالث: مؤلّفاته
- المبحث الرابع: أعماله ووظائفه

المبحث الأول
مكانتــــه العــلمية

إن العلم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحـاكم المفـرق بـين الشـك واليقـين، والغيّ والرشاد، والهدى والضلال، به يُعـرف الله ويعبـد، ويُـذكر ويوحـد، وبه تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وهو كل لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، يرفـع الله بـه أقوامـاً فـيجعلهم في الخـير قـادة، وفي السلوك سادة.

ومن هذا يتبين ما للعلـم مـن مزيـة وفضـيلة ومكانـة في الحيـاة العاجلـة والآجلة، ولهذا سارع في طلبه العقلاء، وتنافس فيه المتنافسون، وبـه تفـاوت الكثير من الناس فـي منـازلهم ودرجـاتهم، حسـب تفـاوتهم في مـداركهم وتحصيلهم وإنتاجهم، وبه انتظم أمر الكون، ونهضت الأمم، وكان لمـن بـرز فيه القدح المعلّى، والمقام الأسمى، وإنـما يكـون ذلـك لمـن سـددّ الله خطـاه، وبصّره بشؤون دينه ودنياه، فعلِم وعلّم، وكان مثالاً يحتذى في قولـه وعملـه وسيرته وخلقه.. ومن هؤلاء العلـماء - ولا نزكـي عـلى الله أحـداً - فضـيلة الشيخ: محمد بن ناصر العبودي - حفظه الله - فهو من العلماء الذين عُرفـوا بجهادهم ودعوتهم إلى الله، وبذلهم أنفس أوقاتهم وزهرة شبابهم دفاعاً عـن دينهم وذباً عـن عقيدتهم، وقد اشتغل بالعلم منذ نعومة أظافره حتى صـار عالمـاً فحلاً، وصار العلم شغله الشـاغل، فـلا تـراه إلا دارسـاً متعمقـاً محبـاً للعـلم منكباً عليه، صاحب بصر نافـذ ونفس طُلعة لا تكاد تشبع من العلم، ولا تمل من البحث، ولا تروى من المـطالعة مع التـوفر عـلى ذلـك، وقــطع النفس له وصرف الهمة نحوه.

۞ بداية تلقّيه للعلم:

تعتبر البداية الحقيقية لطلب الشيخ للعلم عندما وجهه والده إلى كتّاب القرية لحفظ كتاب الله تعالى، ذلك أن الناشئ من العلماء ينشأ مرتبطاً بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..

يقول الشيخ محمد العبودي - حفظه الله -: وأول مدرسة حكومية فتحت في بريدة، كان في وقت قريب، وذلك عام ١٣٥٦هـ، ففي ذلك الوقت كان يوجد كتاتيب، والكتاتيب فيها مدرسون أقوياء، ولكن لا يحصل عليهم إلا المثابر القوي من الطلاب الذين يصبرون على تأديب الأستاذ، وهذا أمر معروف.

وأشهر هذه الكتاتيب كتاب الشيخ محمد بن عبد العزيز الصقعبي، وكتاب الشيخ عبد العزيز بن صالح الفرج، والكتاب الذي دخلته - وهو كتاب الشيخ سليمان بن عبد الله العُمري - كان بجانب بيتنا، فأدخلني والدي وأنا صغير؛ لأنه جار لنا، ولا يحتاج إلى من يوصلني إلى المدرسة، هذه الكتاتيب، ولا أدري الجيل الجديد يتصورها أم لا، ولا بأس أن نذكر شيئاً من طبيعتها وطريقة التدريس فيها، فالكتّاب يعتمد على المطوع الذي هو الأستاذ، وهو فريد فلا يوجد عدة أساتذة، وإنما يساعده كبار الطلبة الذين يعهد إليهم بأن يدرسوا صغار الطلبة وأن يلاحظوهم، وحتى إذا غاب لأمر من الأمور؛ فإنه يكل العناية بالطلبة إلى كبارهم، وبطبيعة الحال فإن الطلبة لا ينصاعون إلى طالب منهم ولو كان كبيراً؛ لذلك يكثر لغطهم وضوضاؤهم والفوضى.. ولكن في ذلك الوقت هذه الأمور تعد بديهيات، ولا يعتقد الناس أنه يوجد أحسن منها.

والناس في هذا الزمان كانوا يطلقون على الكتّاب مدرسة، ولكن أنا

سميته كتّاباً لأن هذه هي التسمية الصحيحة، فالمدرسة التي دخلتها هي مدرسة سليمان بن عبد الله العُمري - رحمه الله - وكنت صغيراً، وكان ذاك عام ١٣٥١هـ، وأذكر أنه بعد دخولنا بشهرين أو ثلاثة توفي الشيخ عبد الله ابن محمد بن سليم - قاضي بريدة - في ذلك الوقت، فكانت وفاته فاجعة، واضطرب الناس، وأُخرجنا من المدرسة، وأعطينا إجازة حتى يتمكن الناس من الصلاة عليه، وفي عام ١٣٥٦هـ فتحت مدرسة (كُتّاب) متميز في بريدة، فتحها الشيخ محمد بن صالح الوهيبي، وأتى بطريقة جديدة قيل إنه أتى بها من الزبير[1] التي تعلم بها، وقيل من العراق أي من البصرة، فهذا الشيخ كانت طريقته في التعليم جميلة جداً وجديدة جداً.

وبعد مدرسة الوهيبي ذهبنا إلى المدرسة الحكومية عام ١٣٥٧هـ التي فتحت في ذلك الوقت، وعين لإدارتها أول ما فتحت الأستاذ موسى عطار وهو من أهل مكة، وهو رجل قوي الشخصية، ولكن لم يكن الناس مؤهلين لتقبل المدرسة، فكان كثير من الناس لا يفهمون معنى الدخول في المدرسة وما هي فائدته، حتى إنه كان يعطي الطلاب مجموعة من المقررات الدراسية؛ مثل المطالعة ومقرر التوحيد ومقرر الفقه ويعطيهم دفاتر، ومع ذلك لم يفهم كثير من الناس مغزى هذه المدرسة والهدف منها، ولذلك تعين بدلاً منه أستاذنا الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سليم - رحمه الله - وعليه درسنا وأكملنا الدراسة الابتدائية.

ثم بدأنا الدراسة في المساجد على المشايخ، وكان أول شيخ قرأت عليه هو شيخنا صالح بن إبراهيم بن كريديس، وهو من العلماء الأفاضل المتبحرين،

---

(١) مدينة الزبير بالعراق.

ولو كان يوجد وظائف قضاء كثيرة في ذلك الوقت لكان على رأس إحدى تلك الوظائف، قرأت عليه حتى توفي في عام ١٣٥٩هـ، وقد لقيت من تشجيعه ما حفزني على المواصلة، وكنت في ذلك الوقت في الرابعة عشرة من عمري، وأذكر أن والدي - رحمه الله - سأله، قال له: ما رأيك بمحمد في قراءته عليك، فأجاب: والله محمد يفيدنا، بطبيعة الحال أنا لا أفيده، ولكنني كنت أقرأ عليه من كتاب فهو غُنم يعبر عن تواضعه..

ثم بعد ذلك قرأت على عدد من المشايخ منهم الشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيتي - رحمه الله -.

والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ عمر بن سليم في آخر أيامه، ثم كانت القراءة التي عددتها فتح من الله سبحانه وتعالى على شيخنا الجليل العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، وقد حضر إلى بريدة في عام ١٣٦٣هـ.

فأعجبنا منه طريقته في التدريس، فقد كان هنالك الطريقة التي كان يعرفها طلبة العلم، ويسمونها (الإمرار) والإمرار أن يمر الكتاب أي يستمر ويبدأ الإمرار بكلمة (سم) وينتهي بكلمة (بركة) يقولها الشيخ إذا استمر طالب العلم يقرأ عليه وأراد أن يوقفه قال له: بركة، أي قف. هذه تسمى طريقة الإمرار، وكانت هي الشائعة في التعليم عند المشايخ، ليس كلهم هكذا، ولكن هذا هو الأكثر.

فلما حضر شيخنا الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - ونحن نعرف أنه عندما توفي كان رئيس المجلس الأعلى للقضاء، فحضر أول الأمر مدرساً وليس قاضيا، واستمر ثلاثة أشهر ونيّفاً (يمكن اثني عشر يوماً) ثم ذهب إلى الرياض، وعاد مرة ثانية قاضياً ومدرساً.

فعندما حضر أعجبتنا منه طريقته في التدريس التي تأخذ في الحسبان مع الإمرار والمناقشة، فكان إذا قرأ القارئ عليه توقف وقال له: ما تقول في كذا؟ فإن لم يفهم قال للذين معه في الحلقة: ما تقولون في كذا؟ فإن لم يفهموا شرح لهم الشيخ، وإذا احتاج الأمر إلى شيء من المراجعة قال: يا فلان، وكثيراً ما يقصدني أنا. وكان الشيخ في أثناء الدرس يطلب مني أن أحضر له المرجع الذي يتعلق به الدرس، فمثلاً إذا كان موضوع البحث مسألة لغوية نطلب كتب اللغة، وإذا كان مسألة فقهية أو حديثاً نطلب كتبه... الخ، فكنا نأتي بالمرجع إلى حلقة الدرس، وهذا شيء جديد، فنقرأ ماذا قال العلماء ويراجع فيها الطلبة ويناقشهم. وكان عنده طريقة عجيبة في حض الطلاب، فهو على سبيل المثال يطرح المسألة أمام الأيمن في الصف أو الأوسط إذا كان الكبير هو الذي في وسط الحلقة، فيطرح عليه المسألة ويقول: ما رأيك في كذا؟ فإذا لم يفهمها قال: أنت الذي بجواره ما رأيك في كذا؟ من دون أن يعنف الأول؛ ولكن في الواقع هذا معناه أنك أنت المسؤول الأول لم تعرف، ولذلك صار الطلاب يحرصون ويحضرون دروسهم. لقد كان شيخنا - رحمه الله - يؤثرني بكثير من الأمور الطيبة مثل الكتب، وكان يطلعني على كتبه، ويصطحبني إذا سافر إلى الرياض لمقابلة الملك عبد العزيز، فقد كان يأخذ معه واحداً أو اثنين من طلبة العلم، وكنت في أكثر الأحيان أنا الذي أذهب معه. وكان شيخنا - رحمه الله - محباً للمعلومات عامة؛ لذلك كان يحب أي كتاب في أي فن من الفنون يكون موجوداً في المكتبة، ويقرأ الكثير من الكتب ويعرف محتوياتها.»[1]

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر عميد الرحالين، محمد عبد الله المشوح. ص (٣٠-٣٥).

المبحث الثاني
شيوخه

في تراجم العلماء كثيراً ما تذكر الأسماء العديدة لمشايخ المترجم له، وبخاصة الشخصيات العلمية البارزة، والكفاءات العلمية ذات التأثير القوي، وغالباً ما يكون هؤلاء عدداً قليلاً ومحدوداً.

غير أن الشيخ محمد العبودي - حفظه الله - ونظراً لنشأته في وسط علمي تفتحت فيه مداركه، وتبدّت فيه مواهبه، فقد تتلمذ على عدد كبير من العلماء والحفاظ، وجلس منهم مجلس الدرس والتحصيل، ومن هؤلاء:

*** الشيخ: صالح بن إبراهيم الكريديس:**

وهو أحد رواد العلم في مدينة بريدة، ولد سنة (١٢٩٢هـ) وتوفي سنة (١٣٥٩هـ) أخذ العلم عن الشيخين محمد بن عبد الله بن حمد بن سليم، ومحمد بن عمر ابن عبد العزيز بن سليم وغيرهما، وتولى - رحمه الله - الإمامة والتدريس في مسجد عبد الرحمن بن شريدة في بريدة أكثر من عشرين عاماً، تتلمذ له عدد كبير، منهم الشيخ صالح الخريصي، والشيخ صالح السكيتي، والشيخ محمد العبودي، والشيخ إبراهيم الحبيبي، وسليمان الناصر الوشمي..

كان ذا قراءة جيدة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، متقنا للقرآن، برز من أسرته عدد من طلبة العلم والعلماء، ومنهم الشيخ محمد بن سالم الكريديس، تولى قضاء المذنب، وصار خطيباً وواعظاً فيها، ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن سالم الكريديس، ومن تلامذته الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، وعدد كبير من طلبة العلم والعلماء في البكيرية.

يقول عنه المترجَم - حفظه الله - وهو يثني عليه: إنه من العلماء الأفاضل

المتبحرين، ولو كان يوجد وظائف قضاء كثيرة في ذلك الوقت، لكان على رأس إحدى تلك الوظائف.

* الشيخ/ عمر بن محمد بن سليم:[1]

هو العلامة القاضي الشيخ عمر بن العلامة الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله بن حمد بن صالح بن حمد بن محمد بن سليم.

ولد في مدينة بريدة عام ١٢٩٩هـ، ونشأ بها، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظه استظهاراً في الحادية عشرة، وطلب العلم على والده الشيخ محمد - رحمه الله - وكان والده معجباً به متوسماً فيه الخير.

كان رابع أسرة آل سليم العلمية المشهورة، الذين تعاقبوا على قضاء بريدة وهم:

١/ الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم.

٢/ الشيخ محمد بن عمر بن سليم.

٣/ الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم، فضلاً عن عشرات من طلبة العلم وأئمة المساجد من هذه الأسرة المباركة إلا أنه بحق أشهرهم على الإطلاق.

وصل الشيخ عمر ببريدة إلى قمة توهجها العلمي، فقد التف عليه مئات من طلبة العلم، ليس من القصيم فحسب، بل حتى من أطراف المملكة العربية السعودية ونواحيها.

تولى القضاء بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم سنة ١٣٥١هـ.

---

(١) انظر (علماء آل سليم) (١/ ٩٨) وعلماء نجد للبسام (٥/ ٣٢٩) ومشاهير علماء نجد (٣٥٧) والمبتدأ والخبر لعلماء القرن الرابع عشر لإبراهيم السيف، وعميد الرحالين لمحمد المشوح.

وابتدأ في التدريس بعد وفاة أخيه مباشرة وهو في السابعة والعشرين من عمره، ورزقه الله محبة وقبولا قلّ أن يوجد لها نظير، وعاش في حلّة سلفية نقية، وقد وهبه الله مهابة وإجلالاً من الناس قاطبة مع ما كان يتحلى به من زهد وورع وعبادة وتقوى.

يصفه الشيخ عبد الله البسام في كتابه علماء نجد بقوله (كان إلى علمه الواسع ونفعه المتعدي إلى العباد، أوقاته في غير الدروس معمورة بالتلاوة والذكر والصلاة، فلا يمل من ذلك ولا يفتر، وقد أعطاه الله رغبة في ذلك وجلداً عليه، وكان يتابع بين الحج والعمرة في تلك المشاق والأسفار الطويلة، والطرق البعيدة الشاقة.

وإلى جانب ذلك كان من الكرماء الأجواد، الذين بيوتهم عامرة بالحاشية والأتباع، وخاصة بالضيوف والزائرين بنفس طيبة وخلق كريم.

قال الشيخ صالح العمري:(١) كان آية في الحفظ والذكاء، حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في شهر واحد عندما قال له والده الشيخ محمد: إنك ستؤم الناس في صلاة التراويح فاقرأ بهم عن ظهر قلب، فكان عند حسن ظن والده، وأم الناس في رمضان، ولا مبالغة في ذلك فهو ابن الشيخ محمد ابن سليم الذي قال عنه الشيخ الجليل عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ كلمته المتضمنة ما معناه: استيعاب العلم في صدره وحفظه التقارير وحفظ الدروس في أول سماع لها.

لقبه الشيخ عبد الله بن بليهد بـ (إمام العلماء) ويقدمه للإمامة وهو أسن منه، وكان بحق أهلاً لتلك المكانة العالية.

---

(١) في جريدة القصيم بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٣٨٣هـ.

ويقول العبودي عنه: (كان الشيخ - رحمه الله - شخصية فذّة عظيمة، حتى إنني أذكر أنه إذا مر في السوق تسارع الناس لرؤيته)

التحق العلامة العبودي بحلقات الشيخ ابن سليم - رحمه الله - وجلس للطلب؛ ولكن ذلك كان في أواخر أيامه، فقد انتقل الشيخ عمر إلى رحمة الله سنة ١٣٦٢هـ ولكن الشيخ أدرك القراءة عليه في عدد من الكتب والعلوم، وخاصة في التفسير والحديث والفقه وغيرها.

وتوفي في ١٦ من ذي الحجة ١٣٦٢هـ وقد صلّى عليه وشيع جنازته جميع أهالي بريدة وما حولها من القرى القريبة التي علمت بوفاته.

*** الشيخ/ صالح بن أحمد الخريصي[1]:**

هو الشيخ صالح بن أحمد بن عبد الله الخريصي (١٣٢٨ هـ/ ١٤١٥هـ) مولده ووفاته في بريدة، حفظ القرآن الكريم وجوده على يد الشيخ صالح بن إبراهيم بن كريديس، وطلب العلم على عدد من المشايخ، منهم الشيخ محمد ابن عبد الله بن حسين آل أبو الخيل، والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، والشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليم، وأخوه الشيخ عمر بن محمد ابن عبد الله بن سليم، ولازمه كثيراً واستفاد منه.

تولى في السادسة والعشرين من عمره إمامة أحد أكبر مساجد بريدة والتدريس فيه وذلك سنة ١٣٥٣هـ، ثم تنقل في وظائف القضاء حتى استقر رئيساً لمحاكم القصيم، إلى أن أُحيل إلى التقاعد سنة ١٤٠٧هـ إلى جانب

---

(١) انظر في ترجمته: علماء نجد (٢/ ٤٣٧)، غير أنه ذكر عن ولادته (١٣٢٨ هـ) وهذا مخالف عما في كتابنا هذا، وانظر تتمة الأعلام (١/ ٢٣٥) وأعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر (١/ ٥٩)، والمبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر. إبراهيم بن محمد السيف (٢/ ١٩-٣٤).

قيامه بالتدريس، وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء.

وقد قرأ عليه الشيخ محمد العبودي في عدد من العلوم كالتفسير والفقه والحديث، وقد أثنى الشيخ كثيراً على الخريصي خصوصاً فيما منحه الله إياه من عبادة وزهد وتقوى.

*** الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد:**(1)

(1) هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حميد، من آل حسين بن عثمان، وآل حسين ابن عثمان هم أسرة من عشيرة آل حميد أحد أفخاذ قبيلة بني خالد. وأسرة المترجم القريبة جاؤوا من الأحساء، فنزلوا قرية معكال، وكانت معكال قرية مستقلة ويقابلها بالأهمية قرية (مقرن)، وكان بين القريتين عداء وقتال، وقد ولد في ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ وقد كف بصره في طفولته، ولم يكن ذلك عائقا له عن طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية فحفظ متونها، ومع اهتمامه بالعلم واجتهاده فيه، أخذ كثيراً من العلوم والفنون على صفوة من العلماء، اختص كل واحد منهم في باب من أبواب العلم وفن من فنونه.

من مؤلفاته:

مؤلفاته رسائل ليست على قدر علمه ومقامه، فهو من العلماء الذين يرون الاكتفاء بما سطره العلماء السابقون في أسفارهم، ولكنه كتب رسائل يرى أن الحاجة داعية إلى تحريرها منها:

١. الدعوة إلى الجهاد في الكتاب والسنة.

٢. كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.

٣. دفاع عن الإسلام.

٤. حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.

٥. هداية الناسك إلى أحكام المناسك.

٦. الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.

٧. تباين الأدلة في إثبات الأهلة.

وما زال في أعماله في رئاسة مجلس القضاء، ورئاسة المجمع الفقهي، وعضوية المجلس التأسيسي للرابطة، -

ومن أكثر شيوخه تأثراً فيه وتأثراً به هو سماحة الشيخ العلامة: عبد الله ابن محمد بن حميد -رحمه الله- الذي اختاره الملك عبد العزيز - رحمه الله - خلفاً لعلامة القصيم الشيخ عمر بن سليم -رحمه الله-، فكان اختياراً مناسباً وموفقاً، فسماحة الشيخ عبد الله بن حميد يعد بحق مجدداً للنهضة العلمية في القصيم.

ويصف الشيخ العبودي شيخه ابن حميد فيقول: الشيخ عبد الله بن محمد ابن حميد - رحمه الله - يعد شخصية (عالمية) وهو شخصية شملت بعلمها عدداً من طلبة العلم والمشايخ والقضاة على مستوى المملكة، وما أنا إلا أحد تلاميذه، وكان يخصني بمزيد من العناية، وقد تخرجت به، ومعظم استفادتي في العلوم المختلفة كانت من الشيخ عبد الله؛ سواء في الفقه أو النحو أو غيره من الفنون.

لقد كان فقيهاً حقاً، وقد قرأت أنا عليه عدة كتب في الفقه منها: كتاب مخطوط وهو (غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى) لمرعي بن يوسف

= وعضوية هيئة مجلس كبار العلماء والتدريس والإفتاء، وفي بذل جاهه وعلمه في قضاء حوائج المسلمين حتى أصيب بمرض عضال سافر من أجله إلى أمريكا وأجريت له عمليات، ولكن المرض الخبيث يزداد معه فأدخل مستشفى القوات المسلحة في الطائف، وبقي فيه حتى وافاه أجله، وذلك في يوم الأربعاء (٢٠/ ١٢/ ١٤٠٢هـ).

وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة، وحضر الصلاة وتشييع جنازته أمم عظيمة يتقدمهم العلماء والأمراء والأعيان، وصار مشهداً عظيماً شعر المسلمون بفراغ كبير بعده فانعكس ذلك على حزن عميق ومصاب كبير فرحمه الله تعالى.

انظر روضة الناظرين (٢/ ٥٥) وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (٤/ ٤٣١).

الحنبلي، وذلك قبل أن يطبع.

ويتابع الشيخ العبودي حديثه عن شيخه ابن حميد فيقول: (كانت القراءة على الشيخ عبد الله بن حميد فتحاً عظيماً لي من الله سبحانه وتعالى، فقد كانت له طريقة خاصة في التعليم مغايرة للطريقة التي يعرفها الناس سابقاً، وهي طريقة الإمرار، و الإمرار أن يمر الكتاب أي يستمر ويبدأ الإمرار بكلمة (سم) وينتهي بكلمة (بركة)، وكلمة (بركة) يقولها الشيخ إذا استمر طالب العلم يقرأ عليه وأراد أن يوقفه قال له (بركة) أي قف، وقد قدم الشيخ عبدالله بن حميد إلى بريدة أول الأمر مدرساً وليس قاضياً، واستمر ثلاثة أشهر ونيفاً، ثم ذهب إلى الرياض، وعاد مرة ثانية قاضياً ومدرساً.

وكان يناقش الطلاب ويشرح لهم ما أشكل عليهم، ويسألهم في المسائل العلمية، بل لقد استطاع أن يقدم مقررات لطلبة العلم شهرية خاصة، كان ينالني - والكلام للعبودي - منها اثني عشر ريالاً، وأعلى شخص كان يأخذ ثمانية عشر ريالاً، وهما اثنان فقط، ثم ينزلون إلى نحو ريالين. واختصني الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - وجعلني قيماً على المكتبة، هكذا أي بمعنى (أمين مكتبة) فكنت أهيئ الكتب، وأحضر المراجع المتعلقة بالدرس، وكانت طريقة إحضار الكتب والمراجع في الدرس والبحث في المسائل المشكلة جديدة على بعض الناس.

لذا كانت طريقة الشيخ ابن حميد ومنهجه مع طلبة العلم وسيلة جذب مهمة أعجبت الطلاب وجعلت الدروس أكثر عمقاً وجدية وفهماً وتحصيلاً، وفتح - رحمه الله - آفاقاً رحبة للنقاش والحوار والمسآءلة مما جعل الطالب يخرج بنتيجة مقنعة في المسائل المطروحة.

ويتابع الشيخ حديثه فيقول: كان يطلب مني أن أرافقه في السفر إلى

الرياض وغيرها، وقد رافقت الشيخ عبد الله بن حميد في رحلة استغرقت تسعة أشهر، وذلك حين شكا عدد من أعيان المنطقة الغربية للملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - تأخير القضايا في بعض محاكم الحجاز، وذكروا أن بعض القضايا تمكث عشرين سنة أو نحوها دون حسم، وكان ذلك في عام ١٣٧١هـ، فأمر الملك عبد العزيز - رحمه الله - بأن يذهب صاحب السماحة الشيخ عبد الله بن حميد لإنهاء تلك القضايا المتأخرة.

وقد كتب له الملك عبد العزيز بأن يكون معه لجنة من طلبة العلم تساعده، ويختارها هو، ويكون عددهم اثنين أو ثلاثة لمساعدته في هذه المهمة التي هي إنهاء القضايا القديمة في محاكم الحجاز. وتشمل كلاً من: مكةالمكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف.

فاختار الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - ثلاثة من طلبة العلم هم: الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد، وكان في ذلك الوقت رئيساً لمحاكم جازان، وليست له قرابة بنسب صاحب السماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله -، والثاني الشيخ علي بن عبد العزيز العجاجي، من كبار طلبة العلم في بريدة، وأنا الثالث محمد بن ناصر العبودي.

ثم أبرق الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله -إلى الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة بأن الشيخ ابن حميد سيأتي لإنهاء القضايا المتأخرة في بعض محاكم المنطقة الغربية، وحدِّدت بأنها القضايا التي مرت عليها خمس سنوات في المحاكم فأكثر.

وكان الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - رجلاً حازماً وعنده صبر وجلد، إلى جانب تبحره في الفقه، ومرانه على القضاء، فأنهى كثيراً من القضايا، وكنا نساعده فقط، أما القضاء فكان بيديه.

فكان الشيخ عبد الله - على سبيل المثال - يأمرني - وكنت أصغر المساعدين له - أن أراجع المسائل في كتب الفقه في المراجع، كما كنت أقرأ عليه الحجج والصكوك الطويلة المكتوبة بخط اليد.

لذلك كان الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - رجلاً قوي الشخصية وحازماً؛ حتى أنهى كثيراً من المعاملات المتأخرة.

بعد ذلك قبل النظر في المعاملات التي مضت عليها ثلاث سنوات دون أن تبت فيها المحاكم؛ فكانت تحال للشيخ - رحمه الله -.

وقد جلس في مكة قرابة ستة شهور لإنهاء تلك القضايا والمعاملات المتأخرة المتعلقة بها.

وكانت مكة في ذلك الوقت لا يوجد بها كهرباء، وكان بها بعوض كثير، وقد هيأت لنا الحكومة سيارتين: سيارة للشيخ، وسيارة للهيئة المساعدة.

إضافة إلى بيت ضيافة، وضيافة سخية يومية للوجبات الغذائية، وكنا بعد صلاة العشاء في المسجد الحرام نخرج إلى ما يسمى آنذاك بحوض البقر، وهو الآن شمال العزيزية، ولم يكن فيها سكان، بل ليس فيه أنيس ولا نور، ولا يمر به أحد، ولكن الهواء به طلق، فكنا نخرج إليه هرباً من البعوض، وننام إلى آذان الفجر حيث نعود لأداء الفجر في المسجد الحرام، ثم بعد ذلك انتقلنا إلى الطائف وجلسنا فيها أربعين يوماً لإنهاء القضايا القديمة.

وبعد ذلك ذهبنا إلى جدة ومكثنا فيها خمسين يوماً، ثم ذهبوا إلى المدينة المنورة، ولكنني لم أذهب معهم إليها لأنني كلفت من صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الكليات والمعاهد العلمية آنذاك بافتتاح المعهد العلمي في بريدة وإدارته، والذي كان ثاني معهد يفتح في المملكة بعد المعهد العلمي في الرياض.

* سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف - رحمه الله -:

من العلماء أفذاذ جمعوا أشتات المكارم، وكانوا أعلاماً في كل المعالم، ومن هؤلاء الأفذاذ، الذين أناروا السبيل للسالكين فأرشدوا إلى الهدى خطى اللاحقين، ومروا على هذه الدنيا مرور الغيث الهامع، فاخضلت الأرض غب عبورهم، فحمدهم الوارد، ومدحهم الراقع، فسجل التاريخ حديثهم للرواة، وجعل أيامهم عبرة للوعاة. أقول من هؤلاء: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضاتها في وقته -، ينتهي نسبه إلى آل مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهو عالم من عالم من عالم، وفقيه من فقيه من فقيه، وزعيم من زعيم من زعيم، توارث أباؤه وأجداده الصدارة في العلم والوجاهة والقيادة.

لقد كان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم إماماً مجمعاً على إمامته ووفور عقله وشفوف حسه، وزكاء نفسه، وكرم أخلاقه، وشرف منازعه، وجمعه بين الشمائل الباهية، والمعارف المتناهية، كيف لا وهو العلامة الحجة والفقيه المحقق والأصولي المتمكن والمحدث المفسر المطلع النسابة البحاثة، مفيد الطالبين، ومرجع القضاة والمفتين، وشيخ كبار العلماء في الديار السعودية غير منازع.

وفضلاً عن ذلك فقد كان ذا هيبة ووقار، وقدرة مذهلة على معرفة الرجال، وكان ذا فراسة نادرة في اكتشاف المواهب، وتقييم الكفاءات، وبالجملة فقد كان سماحته - رحمه الله - سابقاً لعصره، بحراً في علمه، سديداً في توجيهه، وقد مكنته مؤهلاته العالية في حسن الخلق من أن يعرف لذوي الفضل فضلهم، والفضل يعرفه ذووه.

ولد الشيخ محمد في مدينة الرياض في حي ((دخنه)) في السابع عشر من شهر الله المحرم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف للهجرة، ونشأ نشأة صالحة وأخذ بأسباب المعرفة والعلم، فتلقى القرآن الكريم وهو ما بين الثامنة والعاشرة من عمره، وقيل إنه حفظ القرآن في الحادية عشرة، وقيل وهو في السادسة عشرة وذلك على يد معلمه الشيخ عبد الرحمن بن مفيريج، وفي السادسة عشرة من عمره أصيب بالرمد في عينيه فكف بصره وهو في السابعة عشرة، ثم واصل بعد ذلك طلب العلم في مختلف الفنون، وتلقّى على جلة من أكابر العلماء في عصره، فطلب العلم على والده العلامة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، كما قرأ التفسير والحديث وأصولهما على الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وفي النحو وعلوم العربية على الشيخ حمد بن فارس وغيرهم، وقد لمس منه مشايخه الألمعية النادرة، والنجابة المبكرة ورأوا منه مزايا عظيمة لا تتوفر إلا في القليل من الرجال فأدركوا أنه الخليفة لهم، وأنه يمكن أن يطمئن إليه في مجالس العلم، ولقد صدقت نظرتهم في هذا الرجل، فلقد كان نسيجاً وحده في العلم والتعليم والصبر والجلد والحكمة والحنكة وبُعد النظر.

لقد بدأ - رحمه الله - التدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة في زمنه، ولما توفي الشيخ سعد بن حمد بن عتيق عام ١٣٤٩هـ توسع في مجالس التدريس فكثر روّاده وقاصدوه لما رأوا منه من غزارة العلم وعظيم الفائدة.

ولقد كان - رحمه الله - يعطي مجالس العلم حقّها من الاحترام والتقدير، ويحرص على إيصال الفائدة للطلاب حتى أنّه ليكاد يغني شرحه عن المطالعة، وكان له طريقة بديعة في تدريسه ليس هذا مجال بسطها، لقد كان - رحمه الله- يتمتع بأخلاق عالية جعلت له مكانة في قلوب الخاصة والعامة،

ولقد وهبه الله صفات كثيرة كانت سبباً في نبوغه وألمعيته، كما كـان يتميـز بطهارة القلب، فكان لا يحمل ضغينة غلى أحد أسـاء إليـه، بـل كـان ديدنـه الصفح والتجاوز بل المحافظة على سمعة من آذاه والدفاع عنـه مـن أن ينـال بباطل، ولا غرو في ذلك فهذه أخلاق العلماء والعظماء.

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب   ولا يَنال العلى من طبعه الغضب

لقد تخرج به أفواج كثيرة من الطلاب والذين أصبحوا بعد ذلك من كبـار العلماء وشغلوا مناصب مهمة في الدولة، ولعل من أبـرزهم حيـث يصـعب تعدادهم وحصرهم لكثرتهم:

١ - الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله -، وآخـر عمـل تـولاه: رئيس المجلس الأعلى للقضاء.

٢- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -، مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء.

٣- الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمي - رحمه الله -، آخـر عمـل تـولاه: الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

٤- الشيخ عبد الله بن يوسف بن وابل - رحمه الله -، قاضي أبها ونزيلها.

٥- الشيخ عبد العزيز بـن نـاصر بـن راشـد - رحمـه الله -، أول رئـيس لمدارس البنات، وآخر عمل قام به: رئيس محكمة التمييز بالرياض.

٦- الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ، شقيق الشيخ محمد - رحمهما الله -، آخر عمل تولاه: رئاسة هيئات الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر بالمنطقة الغربية.

٧- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بـن حسـن آل الشـيخ - رحمـه الله -، وآخر عمل قام به: منصب وزير المعارف ثم رئيـس هيئـات الأمـر بالمعروف

والنهي عن المنكر.

٨- الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - رحمه الله -، أحد علماء الرياض ووجهائها.

٩- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً.

وغيرهم.

توفي - رحمه الله - يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٨٩هـ في مدينة الرياض، فبكته العيون وشيعته القلوب وحملته أيدي كبار العلماء من أبنائه وطلابه والمحبين له إلى المرقد.(١)

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: مشاهير علماء نجد: (١٦٩)، والنعت الأكمل: (٤٤٠)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون: (١/ ٢٤٢)، والأعلام لخير الدين الزركلي: (٥/ ٣٠٦)، والمبتدا والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر لإبراهيم بن محمد بن ناصر السيف.

۞ زمـــلاؤه وأقـــرانه

لقد عاصر الشيخ محمد بن ناصر العبودي جهابذة من العلماء والمثقفين الذين يمثلون الصفوة من أقرانه وزملائه في الطلب والتحصيل، ومن هؤلاء الشيخ: حمد الجاسر، والشيخ عبد الله بن محمد الخميس، والشيخ عبد الكريم الجهيمان وأضرابهم.

إن مصطلح الزمالة عند الشيخ العبودي متباين ومختلف، يمر بعدة مراحل، فهناك زملاء طفولة، وهؤلاء كما يرى الشيخ لا ينبغي ذكرهم لأن المرء في تلك السن لا يعني شيئاً، لذا فذكرهم قد لا يجد المرء منه كبير فائدة.

أما الزملاء الذين يجدر ذكرهم ويحسن التنويه بهم؛ فهم زملاء الطلب والمدارسة والتعليم، وهم في الغالب يحمل المرء معهم ذكريات جميلة في أعز مراحل عمره، وأغلى ساعات حياته..

*** ومن أبرز زملائه وأقرانه:**

١. الأستاذ علي بن عبد الله الحصين.

٢. الشيخ سلطان بن سليمان بن سلطان العرفج.

٣. الشيخ فهد بن عبد العزيز السعيد.

٤. الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم.

٥. الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح.

٦. الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي.

٧. الأستاذ صالح بن عبد الله المضيان.

٨. الشيخ علي بن سالم السالم.

٩. الشيخ علي بن راشد الرقيبة.

١٠. علي بن عبد العزيز العجاجي.
١١. عودة بن عبد الله السعوي.
١٢. عبد العزيز بن عبد الرحمن العودة.
١٣. الشيخ صالح بن إبراهيم الرسيني. وغيرهم.[١]

❁ ❁ ❁

(١) انظر عميد الرحالين، لمحمد بن عبد الله المشوح (ص: ٧١-٧٥).

المبحث الثالث

مؤلفاته

الشيخ العبودي بقية من أولئك الجادين الذين لا تغريهم المناصب، ولا تشغلهم مباهج الحياة، كان يهوى رياضة الصيد، لكنه تركها ليعاني من رياضة العقل، أصبح هاويا لاصطياد المشاهد، وهي مشاهد تنطلق من هم ذاتي أملاه عليه عقله ودينه قبل منصبه كأمين مساعد لرابطة العالم الإسلامي، لم يكن همه الرحلة قدر همه الكشف عن الأحوال والديار، إنه قد كشف عنها أو عن بعضها في أكثر من عشرين ومائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع، مستخدما لغة طيعة، لينة سهلة.

إن كل تلك المؤلفات تمثل جهداً عظيماً خاصة عندما يكشف فيها عن حالة من أحوال المسلمين الذين يعيشون في أنحاء عدة من هذه الكرة.

إن (العبودي الرحالة) قد استغل تنقلاته ليسجل لنا كل مشاهداته، لا بل مذكراته لتمثل جسراً للتواصل ليحول الكتابة بهذه القدرة إلى (نشاط إنساني)، فالكتابة في أساسها (خدمة للناس وليست لنيل إعجابهم) كما قال: (لوكاس).

إن المهم في رحلات العبودي لقاءاته بالمسلمين، وزيارته لأماكن عباداتهم (المساجد)، إن هذه اللقاءات وتلك الزيارات قد كشفت لنا شيئاً كثيراً عن أحوال إخواننا المسلمين، وهو كشف يجعلنا نشعر بشعورهم، والمسلم هو من يحس بأخيه المسلم ويشعر بشعوره، فيفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، ويرى أنه جزء منه.

إن هذه الكتب والمؤلفات التي أنتجها العبودي والتي تعتبر بحق معينا ثراً وفيضاً غامراً ومورداً عذباً لكثير من العلوم والفنون والثقافات، جنينا من

ثمارها طائفة كثيرة من عيون الكتب وأدب الرحلات في وصف البلاد وطبائع العباد وتراجم الرجال وغرائب العادات والتقاليد والمشاهدات.

فشخصية العالم الرحالة والأديب المبرز متعددة الثقافات، مصقولة المواهب، فهو موسوعي المعرفة، دقيق الملاحظة، وقد استفاد من وقته وسعة ثقافته وتعدد مواهبه؛ فقد أثرى المكتبة السعودية خاصة والعربية عامة بالعدد الكبير من الكتب المتميزة والنفيسة عن مشاهداته وانطباعاته في مختلف بلدان العالم، فهو يعتبر بحق رمزاً شامخاً من رموز الثقافة الإسلامية.

إن هذه الكتب الكثيرة فيها معلومات لا نجدها في غيرها عن بلدان يعيش فيها مسلمون كما أن في هذه الكتب آراءاً وانطباعات وأحاسيس إنسانية، وهي كتب أسلوبها سهل ممتع، تصور المكان بأبعاده وألوانه بما فيه ومن فيه، يأخذك مؤلفها معه في رحلته، يتحدث معك بصدق، فتثق به وتأنس بما يقول، لقد بلغ عدد كتب الرحلات المنشورة إلى عام ١٤٢٨هـ مئة وثلاثة وستين كتاباً، وهذا رقم قد يجعل العبودي أكثر مؤلف عربي معاصر ألّف في مجال الرحلات، لكن تَميُّز كتب رحلات العبودى ليس بسبب كثرتها وحسب؛ وإنما أيضاً لكون هذه الكتب تعتمد على رحلات قام بها المؤلف لهدف خدمة الإسلام والمسلمين خاصة في البلدان التي فيها أكثرية غير مسلمة، وبالأخص البلدان التي لا نعرف عن المسلمين فيها إلا القليل، أولئك المنسيون من إخوانهم في الدول الإسلامية من أجل هؤلاء رحل العبودي إلى كل القارات وكثير من جزر البحار والمحيطات، وكتب عن المسلمين هناك وعن البلدان مذكرات يومية تحولت إلى هذا العدد من الكتب[1].

---

(١) انظر ((تائه في تاهيتي)) للشيخ محمد بن ناصر العبودي. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، وقد ذكر المؤلف أن عدد الكتب التي قام بتأليفها إلى هذا التاريخ في فن الرحلات بلغت ٦٥ كتاباً، وفي غير الرحلات ١٦ كتاباً.

۞ ومن أبرز مؤلفاته في الرحلات.

١. كتاب: إطلالة على موريتانيا.

٢. كتاب: رحلات في أمريكا الجنوبية (غيانا و سورينام) مشاهدات وأحداث عن المسلمين.

٣. كتاب: حديث قيرغيزستان (دراسة مشاهدات ميدانية)

٤. كتاب: في بلاد المسلمين المنسيين (بخارى وما وراء النهر).

٥. كتاب: رحلات الشمال - مواطن إسلامية ضائعة (مشاهد في مولدوفا وأرمينيا).

٦. كتاب: يوميات آسيا الصغرى.

٧. كتاب: ذكريات من يوغسلافيا (رحلة ودراسات في شؤون المسلمين).

٨. كتاب: سياحة في كشمير (وحديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم).

٩. كتاب : الرحلات الهندية - في جنوب الهند (رحلات في ولايات: تامل نادو وكارناتك واندرا براديش).

١٠. كتاب: في غرب البرازيل.

١١. كتاب: بلاد الشركس (الإديغي) – اجتياز القوقاز

١٢. كتاب: في شرق البرازيل (الرحلات البرازيلية).

١٣. كتاب: كنت في ألبانيا (رحلة وحديث عن الإسلام بعد سقوط الشيوعية).

١٤. كتاب: داخل أسوار الصين (رحلة وحديث في شؤون المسلمين) الجزء الأول والثاني.

١٥. كتاب: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية أو بقية البقية من حديث إفريقية.

١٦. كتاب في إندونيسيا - أكبر بلاد المسلمين.

١٧. كتاب مع المسلمين البولنديين (رحلة وحديث عن الإسلام).

١٨. كتاب: بين الأرغواي والبارغواي.

١٩. كتاب بلاد التتار و البلغار.

٢٠. كتاب من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (الرحلات القوقازية).

٢١. كتاب نظرة في وسط إفريقية (رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين).

٢٢. كتاب على قمم جبال الإنديز (رحلة إلى بيرو والإكوادور).

٢٣. كتاب: جولة في جزائر البحر الزنجي (أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - رحلات إلى موريشيوس ورينيون وجزر القمر وزنجبار).

٢٤. كتاب الشمال الشرقي من الهند (من الرحلات الهندية - رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين).

٢٥. كتاب مشاهدات في تايلند.

٢٦. كتاب رحلات في أمريكا الوسطى (مشاهدات في المكسيك، وكولومبيا وبنما وكوستاريكا).

٢٧. كتاب: بورما (الخبر والعيان).

٢٨. كتاب: نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان (جولات في أقصى جنوب المحيط الهاديء).

٢٩. كتاب: نظرة إلى الفلبين (بين زيارتين: رسمية وخاصة).

٣٠. كتاب: في نيبال بلاد الجبال (رحلة وحديث في شؤون المسلمين).

٣١. كتاب: تائه في تاهيتي.

٣٢. كتاب: رحلات في جمهوريات الموز - هندوراس ونيكاراغو وكوستريكا (جولة في أحوال العرب والمسلمين).

٣٣. كتاب: من أنغولا إلى الرأس الأخضر (رحلة وحديث عن الإسلام).

٣٤. كتاب: غرينادا و سانتا لوسيا ودومنيكا.

٣٥. كتاب: المستفاد من السفر إلى تشاد.

٣٦. كتاب: مقال في بلاد البنغال.

٣٧. كتاب: الرحلات الهندية - راجستان بلاد الملوك (زيارة وحديث عن المسلمين).

٣٨. كتاب: مدغشقر (بلاد المسلمين الضائعين).

٣٩. كتاب: على أرض القهوة البرازيلية (جولة في المنطقة الجنوبية الغربية من البرازيل وحديث عن أوضاع المسلمين).

٤٠. كتاب: عن بلاد التكرور (سطور من المنظور والمنثور).

٤١. كتاب: إطلالة على استراليا (وحديث عن المسلمين).

٤٢. كتاب: زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية.

٤٣. كتاب: من غينيا بيساو إلى غينيا كوناكري (رحلة وحديث في أمور المسلمين).

٤٤. كتاب: رحلات في جنوب روسيا: إقليما سمارا وأستراخان (مشاهدات وأحاديث عن المسلمين).

٤٥. كتاب: العودة إلى الصين - الرحلات الصينية (مشاهدات وأحاديث في أحوال المسلمين).

٤٦. كتاب: كنت في بلغاريا (رحلة وحديث عن أحوال المسلمين).

٤٧. كتاب: رحلة إلى جزر مالديف (إحدى عجائب الدنيا).

٤٨. كتاب : قصة سفر في نيجيريا.

٤٩. كتاب: بقية الحديث عن إفريقية.

٥٠. كتاب: زيارات للمسلمين (في بلاد الروس والباشقرد) ذكريات من الاتحاد السوفيتي.

٥١. كتاب: إلى أقصى الجنوب الإفريقي (جولة وحديث حول الإسلام).

٥٢. كتاب: بلغاريا ومقدونيا (جولة وحديث في شؤون المسلمين).

٥٣. كتاب: بلاد العربية الضائعة (جورجيا).

٥٤. كتاب: رحلة هونغ كونغ وماكو.

٥٥. كتاب: مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية (جولة وحديث في شؤون المسلمين).

٥٦. كتاب ذكريات من خلف الستار العقدي (سياحة في شرق أوروبا وحديث في أحوال المسلمين).

٥٧. كتاب : بالي جزيرة الأحلام.

٥٨. كتاب: بلاد البلطيق (رحلة وحديث عن المسلمين).

٥٩. كتاب: مشاهدات في بلاد العنصريين (رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين).

٦٠. كتاب: إلى أقصى الجنوب الأمريكي (رحلة إلى الأرجنتين وتشيلي).

٦١. كتاب: العودة إلى ما وراء النهر (رحلة إلى آسيا الوسطى وحديث عن شؤون المسلمين).

٦٢. كتاب: جمهورية أذربيجان (زيارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي).

٦٣. كتاب: أيام في فيتنام.

٦٤. كتاب: إلمامة بجنوب الفلبين (لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى).

٦٥. كتاب: بلاد الداغستان (زيارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي).

٦٦. كتاب: المسلمون في لاوس وكمبوديا (رحلة مشاهدات ميدانية).

٦٧. غايتي من السفر إلى هايتي (رحلة وحديث عن الإسلام).

٦٨. القلم وما أوتي في جيبوتي.

٦٩. مال الشمال: النرويج وفنلندا (غير مطبوع).

٧٠. من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس (غير مطبوع).

٧١. خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين (غير مطبوع).

٧٢. العودة إلى داغستان (غير مطبوع).

٧٣. على أعتاب الهملايا (غير مطبوع).

٧٤. بلاد الهند والسند: باكستان (غير مطبوع).

٧٥. وسط الهند (غير مطبوع).

٦٦. رحلات في بلاد الملايو (غير مطبوع).

٧٧. في أحناء إندونيسيا (غير مطبوع).

٧٦. الحل والرحيل في بلاد البرازيل (غير مطبوع).

٧٩. العودة إلى البرازيل (غير مطبوع).

٨٠. رحلة إلى الجنوب (غير مطبوع).

٨١. فنزويلا وترينداد (غير مطبوع).

٨٢. وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية(غير مطبوع).

٨٣. في وسط الصين (غير مطبوع).
٨٤. دومنيكا وقوادي لوب وأنتيقوا (غير مطبوع).
٨٥. التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق (غير مطبوع).
٨٦. رحلة الشمال (غير مطبوع).
٨٧. زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين (غير مطبوع).
٨٨. من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (غير مطبوع).
٨٩. في شمال الهند (غير مطبوع).
٩٠. في أقصى شرق الهند (غير مطبوع).
٩١. الشمال الغربي في الهند (غير مطبوع).
٩٢. في مهد الترك : تركستان الشرقية (غير مطبوع).
٩٣. جمهورية قازاقستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية (غير مطبوع).
٩٤. وسط البرازيل (غير مطبوع).
٩٥. رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية.
٩٧. شمال البرازيل (غير مطبوع).
٩٧. رحلات فنزويلية (غير مطبوع).
٩٨. تلبية النداء لزيارة كندا (غير مطبوع).
٩٩. المارتنيك وبربادوس (غير مطبوع).
١٠٠. بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان (غير مطبوع).
١٠١. كرواتيا وسلوفينيا (غير مطبوع).
١٠٢. في شمال أستراليا (غير مطبوع).
١٠٣. في شرق أستراليا (غير مطبوع).

١٠٤ . غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة (غير مطبوع).
١٠٥ . بلاد المكسيك وقواتيمالا (غير مطبوع).
١٠٦ . التشريق بعد التغريب في بحر الكاريب (غير مطبوع).
١٠٧ . إلى الشرق الأقصى الروسي (غير مطبوع).
١٠٨ . غرب سيبيريا (غير مطبوع).
١٠٩ . أستراليا وجنوب المحيط الهادىء (غير مطبوع).
١١٠ . في جنوب أستراليا (غير مطبوع).
١١١ . في غرب أستراليا (غير مطبوع).
١١٢ . الإلمام بالمحيط الهادىء من أستراليا إلى جزيرة قوام (غير مطبوع)
١١٣ . السفر والأوبة من كوبة (غير مطبوع).
١١٤ . جمهوريات القبائل الروسية (غير مطبوع).
١١٥ . مقال في السفر إلى منطقة الأورال (غير مطبوع).
١١٦ . شرق سيبيريا (غير مطبوع).(١)

* * * * *

ب - كتبه في غير الرحلات:

١ . حكم العوام (الحكمة من أفواه العامة).
٢ . المملكة العربية السعودية بين الماضي و الحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية).
٣ . سوانح أدبية.

---

(١) انظر كتاب ((على أرض القهوة البرازيلية)) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ وفي هذه الطبعة ذكر المؤلف - حفظه الله - بعضاً من مؤلفاته والتي بلغت في هذا المؤلف (١١٢) كتاباً.

٤. حكايات تحكى.
٥. المقامات الصحراوية (رواية أبي ناصر النجدي عن أبي زيد الخيالي).
٦. أخبار أبي العيناء اليمامي.
٧. مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز (بمناسبة مرور مائة سنة على تأسيس المملكة العربية السعودية).
٨. صور ثقيلة.
٩. رابطة العالم الإسلامي (إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين).
١٠. الدعاة إلى الله شرف مهمتهم وطرق دعمهم.
١١. العالم الإسلامي والرابطة.
١٢. نفحات من السكينة القرآنية.
١٣. معجم الألفاظ العامية (المعجم الكبير)(٢٢) مجلداً (غير مطبوع).
١٤. تكملة المعجم اللغوي في جزيرة العرب أو معجم ما ليس في المعجم (ست مجلدات) (غير مطبوع).
١٥. الكناية والمجاز في اللغة العامية (غير مطبوع).
١٦. المقامات البلدانية (مطبوع).
١٧. وجهة نظر (غير مطبوع).
١٨. كلمات دخيلة في لغتنا الدارجة (مجلدان) (مطبوع).
١٩. الصيد والقنص في المأثورات الشعبية (غير مطبوع).
٢٠. ستون عاماً في الوظيفة الحكومية (غير مطبوع).
٢١. أخبار حمد الصقعبي (مطبوع).
٢٢. ديوان غير شاعر (غير مطبوع).
٢٣. فالح ومنيرة (قصة) (غير مطبوع).

٢٤. أخبار مطوع اللسيب (مطبوع).
٢٥. الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة (٦ مجلدات) (غير مطبوع).
٢٦. الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة (اثنا عشر مجلداً).
٢٧. المطوع في باريس (قصة) (غير مطبوع).
٢٨. باقة من رياض الصالحين (مجموعة من الأحاديث التي ينبغي أن تقدم للمسلمين وغيرهم وتترجم للغات أخرى (غير مطبوع).
٢٩. مع الناس (غير مطبوع).
٣٠. ألفاظ الحضارة في المأثور الشعبي (غير مطبوع).
٣١. يوميات نجدي (٣ أجزاء).
٣٢. المستغرب (قصة طويلة) (غير مطبوع).
٣٣. موضوعات الأمثال العامية (غير مطبوع).
٣٤. ألفاظ الفروسية والحرب في المأثور الشعبي (غير مطبوع).
٣٥. أخبار الملاّ ابن سيف (مطبوع).
٣٦. أخبار قني (مطبوع).
٣٧. أخبار علي المقبل وابنه سليمان (غير مطبوع).
٣٨. غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الفصيحة (غير مطبوع).
٣٩. معجم أسر القصيم (غير مطبوع).
٤٠. المستدين (قصة) (غير مطبوع).
٤١. أدب الرحلات (غير مطبوع).
٤٢. الحوار في الإسلام (غير مطبوع).
٤٣. يوميات موظف بعد الستين سنة من العمل (غير مطبوع).
٤٤. هكذا أوحى إليّ الناس (غير مطبوع).

٤٥. شعراء من القصيم (غير مطبوع).
٤٦. شعراء العامية في بريدة (غير مطبوع).
٤٧. غرائب الألفاظ النجدية (غير مطبوع).
٤٨. سوانح بوارح (مطبوع).
٤٩. معانٍ لا يتصورها الأبناء (غير مطبوع).
٥٠. صور من الحياة في بريدة قبل (٧٣) سنة (غير مطبوع).
٥١. أخبار محمد الربدي (مطبوع).
٥٢. شعراء العامية في القصيم (غير مطبوع).

المبحث الرابع
أعمـــالـه ووظـائــفه

تسنَّم الشيخ العبودي - حفظه الله - وظائف عديـدة، وشـغل مناصـب علمية ودعوية مهمة، وأهم هذه الوظائف وأجلها: وظيفة الدعوة إلى الله عز وجل، فهي وظيفة الأنبياء والمرسـلين، والصـحابة والتـابعين، ومـن تـبعهم بإحسان إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.(١)

والشيخ محمد العبودي - حفظه الله - من هذا الطراز الموفق من الـدعاة، فهو داعية صدق، يدعو إلى الله على بصيرة واضعاً نصب عينيه قول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.(٢)

ففي هذه الآية الكريمة شرع الله لعباده بما أنزل من كتابه، ومـا كـان مـن بيان رسوله ما فيه استنارة عقـولهم، و زكـاء نفوسـهم، واسـتقامة أعمالهـم، وسماه سبيلاً ليلتزموه في جميع مراحل سيرهم في هذه الحيـاة لـيفضي بهـم إلى الغاية المقصودة وهي السعادة الأبدية في الحياة الأخـرى، وأضـافه إلى نفسـه ليعلموا أنه لا شيء يوصل إلى رضوانه سواه.(٣)

لقد ظل الشيخ محمد العبودي ومازال يؤدي دوراً مهما وفـاعلاً في الحيـاة

---

(١) سورة فصلت، الآية (٣٣).

(٢) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٣) انظر الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية للشيخ عبد الحميد بن باديس (ص: ٢٥).

العلمية والاجتماعية على نحو مشرف وغاية سامية و نبيلة.

۞ ومن أبرز الوظائف التي تقلدها:

١- قيِّم مكتبة بريدة.

إن الحركة العلمية والتهافت الهائل الذي شهدته بريدة إبّان وجود المشايخ: آل سليم وغيرهم أدت إلى ضرورة التفكير في أهمية إيجاد المراجع المهمة والكتب الضرورية لطلبة العلم، وكان لإهداء كتب الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي - رحمه الله - إلى جامع بريدة مدعى قوي دافع للشيخ عمر ابن سليم - رحمه الله - إلى إيجاد مكتبة في الجامع.

وبالفعل تم بناء المكتبة التي كان يرغب الشيخ عمر بن سليم أن يجمع فيها شتى الكتب الموقوفة على طلبة العلم إلى جانب ما تيسر جمعه من الكتب الأخرى.

وبعد وفاة الشيخ عمر بن سليم سنة ١٣١٢هـ خلفه الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - في حلقات التعليم والتدريس والإفتاء سنة ١٣٦٣هـ، وكان - رحمه الله - شخصية فذة في علمه وقدره ووجاهته، فسعى إلى أن تتم أمنية الشيخ عمر بن سليم في المكتبة، فباشر في أول خطوة نحو ذلك، حيث عين الشيخ محمد العبودي قيماً على المكتبة، وهو ما يعرف اليوم بـ(أمين المكتبة)، والتي كانت نواتها مجموعتين من الكتب: الأولى كانت كتباً للشيخين محمد وعلي ابني عبد العزيز العجاجي، والأخرى للشيخ عبدالله بن محمد الرواف - رحمهما الله -.

وكان من مبادرات الشيخ ابن حميد أن أرسل إلى الملك عبد العزيز الرغبة في مواصلة فكرة الشيخ عمر بن سليم في إقامة المكتبة وتهيئتها بالكتب، وأن تكون ملتقى لطلبة العلم، فأرسل الملك عبد العزيز مبلغاً مالياً قدره:

ثلاثة آلاف ريال فرنسي، ثم زاد بعد ذلك، ولم يكن هناك ريال سعودي معروف.

كما قرر الشيخ ابن حميد تقديم الشاي للذين يحضرون ويتباحثون من طلبة العلم، وكان مشرفاً على هذه الأمور فهد بن مزيد الخطاف.

ومن فوائد المكتبة الرجوع إلى الكتب وإيواء طلبة العلم، وبخاصة في ليالي الشتاء الطويلة، وهكذا عاش العبودي هذه المرحلة المهمة من عمره بين ردهات الكتب وعبق العلم؛ فصاغت يداه بذرة صالحة ونواة خير، وغدت هذه المكتبة أول مكتبة عامة في المملكة العربية السعودية والتي على إثرها تم ضمها إلى الإدارة العامة للمكتبات في وزارة المعارف سنة ١٣٧٩هـ.

وفي تاريخ ٢٩/ ٥/ ١٤٢٢هـ صدرت الموافقة السامية الكريمة على تسمية مكتبة بريدة العامة باسم مكتبة الملك سعود ببريدة، وذلك عقب انتقال المكتبة إلى مبناها الجديد الذي يعد تحفة معمارية جميلة تقديراً لجهود الملك سعود - رحمه الله - في شراء أرض لها وعمارتها بجوار الجامع آنذاك.

وقد تم افتتاح ذلكم المبنى من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام في ١١/ ٧/ ١٤٢٣هـ إبان زيارته لمنطقة القصيم بحضور صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم، وصاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن ماجد بن عبد العزيز نائب أمير منطقة القصيم، وجمع حاشد من الأمراء والعلماء والمسؤولين.

٢- المعلم والمدير:

وفي عام ١٣٦٣هـ عين مدرسا بالمدرسة الفيصلية، وبعد ذلك عين العبودي مديراً للمدرسة المنصورية، ورشح معه عدد من المعلمين النابهين

مثل الأستاذ محمد بن صالح الوهيبي، وبعد أشهر عين فيها الشيخ عبد الكريم الفدا، والأستاذ عبد الله بن سليمان الربدي، وصالح بن إبراهيم بن يوسف.

وقد تولى الشيخ محمد العبودي إدارة المدرسة فقام بها خير قيام ليصبح الرجل الثالث من رواد التعليم بمنطقة القصيم بعد الشيخ عبد الله بن إبراهيم السليم، والشيخ صالح بن إبراهيم العمري - رحمهما الله -.

٣- إدارة المعهد العلمي:

يقول العبودي - حفظه الله -: وبعد السنوات الخمس التي قضيتها مديرا للمدرسة المنصورية عينت مديراً للمعهد العلمي في بريدة، وذلك عام ١٣٧٣هـ، وكان هذا المعهد هو الثاني في المملكة بعد المعهد العلمي في الرياض الذي كان يرأسه سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - وقد تسنى لي خلال إدارتي للمعهد المشاركة في التوجيه التربوي، والإسهام في وضع الخطط والبرامج، وعرض المقترحات العلمية والتربوية للمعاهد العلمية في المملكة، وقد امتدت إدارتي للمعهد من سنة ١٣٧٣هـ إلى سنة ١٣٨٠هـ.

٤- الأمانة العامة للجامعة الإسلامية:

يقول العبودي[1] - حفظه الله - وفي عام ١٣٨٠هـ انتقلت إلى وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة النبوية عندما افتتحت، وكنت

---

(١) انظر اثنينية خوجة ((حفل تكريم العبودي)) والاثنينية أحد أبرز الصالونات الثقافية السعودية، مضى على نشأتها أكثر من ٢٥ عاماً أسسها الأستاذ الوجيه: عبد المقصود خوجه. انظر الجزء الرابع من الاثنينية ١٤٠٦هـ - ص ٤٥٩.

بحمد الله من الموظفين المؤسسين للجامعة، وامتد الزمن في هذه الوظيفة ثلاث عشرة سنة، عينت بعدها وكيلاً للجامعة لمدة سنة واحدة، وفي عام ١٣٩٤هـ نقلت إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية برتبة وكيل وزارة في المرتبة الخامسة عشر وبقيت فيها تسع سنوات.

٥- الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي:

حبا الله المملكة العربية السعودية بموقع جغرافي مميز، إذ تقع في قلب العالم، في نقطة التقاء القارتين آسيا وإفريقيا وجعلها معبراً بين الجنوب والشمال أو أستراليا وأوروبا، وممراً تجارياً بين الشرق والغرب، والأهم من ذلك أنها مهد الإسلام خاتم الديانات السماوية، وفيها قبلة المسلمين التي تتجه إليها الأنظار والقلوب في كل لمحة من جميع جهات الأرض مسلمين ومؤمنين قادة وشعوباً، وملتقى لوفود الحجيج من عامة المسلمين وخاصتهم وأمرائهم وعلمائهم.

لذلك ففي كل عام تلتقي وفود الحجيج من أقاصي الدنيا في رحاب المشاعر المقدسة في المملكة العربية السعودية يلتقون ويتعارفون ويتدارسون مشكلات أمتهم، وشعوبهم ويصوغون طموحاتهم، وهكذا كان قدر المملكة أن تحتضن تضامن الأمة وتربط بين شعوبها.

وقد وقفت المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها مع الإخوة المسلمين في كل مكان؛ سعياً لجمع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم، وحل مشكلاتهم، ورِفْعَةِ شأنهم، واستقرار أمنهم، ففيها منظمة المؤتمر الإسلامي التي تأسست عام ١٩٧٢م، حيث دعت إلى مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي عقد بخصوص حادثة حريق المسجد الأقصى في الرباط عام ١٩٦٩م، وفيها البنك الإسلامي للتنمية، وفيها رابطة العالم الإسلامي.

۞ إنشاء رابطة العالم الإسلامي:

في فترة الحج بين الرابع عشر والسادس عشر من ذي الحجة سنة ١٣٨١هـ اجتمعت في مكة المكرمة شخصيات من علماء وزعماء من العالم الإسلامي، واستعرضت أهم ما يشغل المسلمين في سائر أقطارهم من شؤون دينهم ودنياهم، و اتفق المجتمعون على عدة قرارات وتوصيات من أهمها: تأسيس هيئة إسلامية شعبية عالمية تتخذ من مكة المكرمة مقراً دائماً لها تسمى رابطة العالم الإسلامي، وكان ذلك في الرابع عشر من ذي الحجة لعام ١٣٨١هـ الموافق للثامن عشر من مايو ١٩٦٢م، وتم فيه أيضاً اختيار أعضاء المجلس التأسيسي لها من كبار العلماء ورجال الفكر من مختلف الشعوب الإسلامية بغية دراسة السبل لتبليغ رسالة الإسلام ونشرها في أنحاء المعمورة ليعم الخير والسلام والفلاح والسعادة البشرية كلها[1].

* * * * *

* الأهداف التي قامت من أجلها الرابطة:

١. تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه.

٢. دحض الشبهات عن الإسلام والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة.

٣. الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يتفق مع مصالح المسلمين وآمالهم وحل مشكلاتهم.

٤. تقديم الخدمات في مجال التربية والتعليم والثقافة والرعاية الاجتماعية والصحية وغير ذلك مما تدعو الحاجة إليه.

* * * * *

---

(١) انظر العالم الإسلامي والرابطة / محمد بن ناصر العبودي، الدورة التدريبية الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

* ما قامت به الرابطة تجاه المسلمين في العالم:

منذ إنشاء رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في أواخر عام ١٣٨١هـ وهي تقوم بدور بارز لخدمة الإسلام والمسلمين والحفاظ على العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي، والدفاع عن القضايا الإسلامية وبخاصة قضايا الأقليات الإسلامية، وتقوم بتحرك إسلامي إزاء نصرة قضايا العالم الإسلامي؛ وفي مقدمتها قضية القدس وفلسطين، والدفاع عن الأقليات المسلمة، وكذلك التصدي للهجمات التنصيرية الشرسة، والتيارات المادية الملحدة التي تحاول أن تحيط بالعالم خاصة الشباب من خلال الإعلام وغيره. كما أن الرابطة تقوم بكل جهد ممكن لتوحيد صفوف المسلمين في تجاوز الخلافات السياسية أو غيرها.

وهي دائمة الحضور في اللقاءات والمؤتمرات والندوات الإسلامية والدولية خصوصاً التي تعقدها المنظمات الدولية أو الإسلامية الكبرى في العالم، مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، والمنظمات الفرعية لها، وهيئة الأمم المتحدة، والمنظمات الفرعية لها. وجدير بالذكر أن الرابطة عضو مراقب من الدرجة الأولى بين المنظمات غير الحكومية ذات الوضع الاستشاري بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة، ولها تمثيل في عدد من المحافل الدولية، مثل: هيئة الأمم المتحدة، ومنظمة التربية والتعليم والثقافة، (اليونسكو) بصفة عضو. وصندوق الطفل العالمي بهيئة الأمم المتحدة (اليونسيف) بصفة عضو.

ومنظمة المؤتمر الإسلامي بصفة مراقب، وتحضر جميع مؤتمرات المنظمة بما فيها مؤتمرات القمة الإسلامية.

ومن الجهود التي قامت بها الرابطة أيضاً جعل اللغة العربية اللغة

الرسمية في كل المؤتمرات الإسلامية الشعبية.

* * * * *

* مجالس الرابطة:

توجد في رابطة العالم الإسلامي مجالس مهمة تشترك فيها نخبة من علماء المسلمين وأهل الرأي فيهم، وتكاد المجموعات المسلمة في العالم تكون ممثلة كلها في مجموع المجالس المتعددة؛ بحيث إذا كانت هيئة أو جماعة مسلمة غير ممثلة في مجلس فإنها تكون ممثلة في مجلس آخر.

وأهم هذه المجالس:

أولاً: المجلس التأسيسي.

ثانياً: المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

ثالثاً: المجمع الفقهي الإسلامي.

وقد كان المجلس التأسيسي أول مجالس الرابطة إنشاءاً؛ إذ كان إنشاؤه عند عقد الاجتماعات الأولى للرابطة في عام ١٣٢٨هـ، وكان يرأسه صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية ورئيس المجلس الأعلى للقضاء ورئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة حتى توفي - رحمه الله -.

ثم خلفه على رئاسة المجلس صاحب السماحة عبد العزيز بن عبد الله بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

* * * * * *

* الأقليات المسلمة وانتشارها في العالم:

إن الأقليات المسلمة منتشرة في أنحاء العالم وتتوزع في أكثر الدول إن لم

نقل كل دولة، ويقدر عدد أفرادها بما يتجاوز (٤٠٠) مليون مسلم مع قلـه تعيش في دولة غير إسـلامية، إلا أنهـم يشـكلون جـزءً لا يتجـزأ مـن العـالم الإسلامي الذي يراد به الأمة المسلمة.

وأكبر تجمعات الأقليات المسلمة في آسيا، إذ يوجـد فيهـا نحـو (٢٠٠) مليون نسمة في (٢١) دولة، ومعظمهم في الهند والصين، ثم في أفريقيا أكثـر من (٢٨) دولة، والباقون موزعون في أسـتراليا وجزائـر المحـيط الهـاديء، والأمريكيتين الشمالية والجنوبية.

وتعيش الأقليات المسلمة في أواسط مجتمعات وثقافات ومعتقدات دينيـة مختلفة، من هندوسية وبوذية ومسـيحية وغيرهـا، وفي ظـل حكومـات ذات نُظُم وقوانين وضعية متعددة، وتختلف أوضاعها وظروفها وما تتمتـع بـه في حقوق دينيـة واجتماعيـة وثقافيـة ونحوهـا، كـما تواجـه الأقليـات المسـلمة مشكلات وتحديات كثيرة تقف في سبيل ازدهارها؛ بل تقف في وجه حياتهـا الثقافية، ومن هذه المشكلات تَخَلّفها في الناحية الثقافية أو التعليمية، فـبعض أبناء الأقليات المسلمة محرومون من التعليم لأسباب متعددة؛ منهـا: ضـعف الإمكانيات المادية والأدبية، أو قلة المرافق من مدارس ومراكـز وجامعـات، أو ندرة الفرص التعليمية التي يحصلون عليها.

إضافة إلى سياسات تعليمية معادية من قِبَل أعداء الإسلام؛ إلى جانب قلة الطاقات البشرية المؤهلة في هذا المجال من أبناء المسلمين، وعدم توفر المناهج الخاصة بـالتعليم الإسـلامي، ونـدرة الكتـب الإسـلامية المخصصـة لأبنـاء الأقليات المسلمة، والمناسـبة لأوضـاعها وحاجاتهـا؛ وبخاصـة أن بعضـهم يواجهون غزواً ثقافياً مُركزاً من قبل أعدائهم، لذلك فهم محتاجون إلى تـوفير

الثقافة الإسلامية لهم، وبالتالي توعيتهم بمصادر التاريخ الإسلامي وبعطاء الحضارة الإسلامية، وتقويم انتمائهم إلى جذورهم الإسلامية[1].

* * * * * *

* أهمية التواصل والزيارات ونصيب الرابطة من ذلك:

من المعلوم أنه لابُد للتعاون والعمل مع المسلمين في العالم من زيارات واتصالات لتحديد التعاون والعمل المثمر لربط المسلمين بماضيهم، وهي زيارات ميدانية إلى المناطق التي تتواجد فيها تلك الأقليات بقصد إعادة التواصل بينهم وبين إخوتهم المسلمين في هذه البلاد المقدسة.

والرابطة كان لها نصيب من تلك الزيارات، فقد قامت بإيفاد البعثات وعقد الندوات والمؤتمرات في أماكن تجمع الأقليات المسلمة، واتصال بالمسؤولين في حكوماتها لحثهم على الاهتمام بمصالح المسلمين في أوساطها، ولإبراز الاهتمام بقضاياها ومساعدتها مادياً ومعنوياً على ذلك، وقد قام المسؤولون في الرابطة وعلى رأسهم الأمين العام والأمين العام المساعد بعشرات الرحلات إلى أنحاء العالم لهذا الغرض.

ولقد كان للشيخ العبودي - حفظه الله - القدح المعلّى والسهم الراجح في هذا المضمار على امتداد (١٦) سنة، حيث زار أنحاء العالم كله، واتصل بالمجموعات الإسلامية، وحمل المساعدات المتنوعة للمسلمين من ثقافية ومالية أو أوصى بذلك، وكان من توفيق الله تعالى له أَنْ سجل ذلك في كتب تقرأ بلغ عددها (١٥٢) طبع منها (٧٦) كتاباً، وسائرها مخطوط ينتظر

---

(١) انظر رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين، محمد بن ناصر العبودي - طبع مطابع رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.

الطبع، وكلها تتحدث عن هذا العمل الذي انطلق في المملكة العربية السعودية إلى المسلمين في سائر أنحاء العالم البعيد منها والقريب.

وشمل ذلك المساعدة على بناء المساجد، أو الاحتفال بمساجد ساعدت الرابطة على بنائها، أو افتتاح المدارس أو حضور الاحتفال بالمتخرجين فيها، أو عقد مؤتمرات إسلامية إقليمية، أو دورات دراسية تعليمية أو تثقيفية لأئمة المساجد والدعاة في تلك البلاد، أو توزيع كتب علمية، أو ترجمات لمعاني القرءان الكريم بلغة سكان المنطقة، أو تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين فيها، أو توجيه دعوات إلى الحج والعمرة لزعماء المسلمين وعلمائهم على ضيافة الرابطة، أو حتى حضور الاحتفالات الوطنية التي تقيمها دول أقليات مسلمة بُغية توثيق الروابط معها من أجل نفع المسلمين فيها.

وهناك أمر مهم وهو أن الرابطة تضم في مجالسها المتعددة - ومنها المجلس التأسيسي، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد ومجلس المجمع الفقهي- طائفة من العلماء والزعماء والمفكرين من أبناء المسلمين يجتمعون في هذا المجلس في رحاب الرابطة، ويتناقشون ما يهم المسلمين من أمور دينية وثقافية وسياسية، ويصدرون ما يرونه من قرارات.

كما أن الرابطة تدعو زعماء المسلمين وعلماءهم إلى حضور المؤتمرات والندوات التي تقيمها.

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث

جهـــوده

****

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: جهوده الدّعوية**
- **المبحث الثاني: جهوده التربوية**
- **المبحث الثالث: جهوده الأدبية والثقافية**

المبحث الأول

جهـوده الـدعـويـة[1]

الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء والمرسلين، اختار الله لها صفوة خلقه، وكلفهم بإبلاغها إلى أممهم، وهيأهم لحمل هذه الرسالات، وزودهم بما يعينهم على أدائها: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾.[2]

وقد ختمهم بأفضل أنبيائه وأكرم رسله محمدٍ ﷺ، وأمره بإبلاغ هذا الدين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.[3]

وبين له مسؤوليته ومهمته في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾.[4]

ووضح له منهج الدعوة وأسلوب البلاغ في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.[5]

وبين له أن هذه الدعوة هي وظيفته ووظيفة أتباعه من بعده؛ فقال تعالى:

---

(١) انظر الجانب التربوي والدعوي في جهود معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي للأستاذ الدكتور صالح ابن علي العايد.

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

(٣) سورة المائدة: الآية (٦٧).

(٤) سورة الأحزاب: الآيتان (٤٥-٤٦).

(٥) سورة النحل: الآية (١٢٥).

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.(١)

ومدح الله القائمين بها وأثنى عليهم، وأخبر أنهم يمارسون أفضل عمل، ويقومون بأعظم رسالة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.(٢)

كما بين أن أهل الدعوة هم أهل النجاة من العقوبات في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾.(٣)

إن الدعوة إلى الله عمل متعدي النفع، كثير الأجر، يترتب عليه من الحسنات ما لا يعلمه إلا الله – سبحانه وتعالى –، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك فقال: ((إن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه دون أن ينقص من أجورهم شيئاً)). (٤)

لذا فإن الداعية إلى الله يبلغ أعلى الدرجات، وينال أكرم العطايا والهبات، ويسجل له في ديوانه جميع الحسنات التي يعملها من اهتدى على يديه، أو كان سبباً في هدايتهم ودعوتهم إلى الله، لذا رغب النبي ﷺ في الدعوة فقال: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)). (٥)

---

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٢) سورة فصلت: الآية (٣٣).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٦٥).

(٤) رواه مسلم: (٤٨٣١).

(٥) رواه البخاري: (٣٨٨٨)، ومسلم: (٤٤٢٣).

قضى الشيخ محمد العبودي -؛ وما زال - حياته في خدمة الدعوة الإسلامية، يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو داعية من أبرز الدعاة، متميز في علمه ودعوته، وكان لسعة اطلاعه وثراء معلوماته وقوة حجته أبلغ الأثر في نجاح دعوته.

إن حياة الشيخ محمد العبودي وجهوده الدعوية المباركة جديرة بالتأمل، فقد أوقف حياته على خدمة هذه الأمة، والدعوة إلى هذا الدين، وإظهار محاسنه، والدفاع عن ساحته، وترسيخ مبادئه، وتعميق التوعية بمعانيه.

إن الناظر في كتب العلامة العبودي التي سجل فيها رحلاته وتحدث من خلالها عن أوضاع المسلمين، يلحظ من اللحظات الأولى أهدافه الدعوية، وللعبودي جهد في إعداد المشروعات الدعوية المنهجية التي تم تنفيذ العديد منها، **ومن هذه المشروعات العظيمة:**

أولا: مشروع خطة دعوية في منطقة من المناطق، ومن أبرز ما أعده العبودي في هذا المجال خطة الدعوة في الولايات الأمريكية، وخطة الدعوة في أمريكا الجنوبية، وقد أخذت المؤسسات الإسلامية في القارة الأمريكية بذلك.

ثانياً: مشروع رعاية المسلمين الجدد، وهو مشروع يهدف إلى زيادة أعداد الداخلين في الإسلام من غير المسلمين على اختلاف عقائدهم وأجناسهم ومساعدة كل مسلم جديد، وبذل التوجيه والعناية والرعاية اللازمة لهؤلاء وقد تحقق هذا المشروع في رابطة العالم الإسلامي الذي أنشأت هيئة مستقلة لرعاية المسلمين الجدد.

ثالثاً: مشروع صندوق الدعوة الإسلامية، والهدف منه مساعدة المسلمين وإنجاز المشروعات الإسلامية في المواقع الإسلامية، ومواقع الأقليات المسلمة المحتاجة.

إن العبودي يعتصر قلبه حرقة على أوضاع المسلمين في أنحاء العالم لما ألمَّ بهم، ولا سيما أولئك الذين وقعوا تحت العداوات، أو عصفت بهم النوازل، أو حاصرهم الأعداء وحاربوهم، وقد كتب عن كل ذلك.

" قلة من أهل كشمير " كتاب، وله في شعب الشيشان كتاب، وكتب عن الصومال، وعن شعوب الفلبين، وموقع المسلمين بينهم، كما سجل أحداث القرن الميلادي الماضي الكبرى في دول الاتحاد السوفيتي السابق - ودول أوروبا الشرقية، وشرح أوضاع المسلمين في تلك البلدان ومعاناتهم التي امتدت منذ حكم القياصرة وأتباعهم، إلى نهاية الحكم الشيوعي، وخلص إلى العديد من التوصيات لانتشال المسلمين الذين أخرجهم الله سبحانه وتعالى من أتون الشيوعية والإلحاد، وإعادة ما افتقدوه من ثقافتهم الإسلامية، وشخصيتهم العريقة.

ومن أهم الكتب التي تحدث فيها العبودي عن المسلمين في البلدان التي كانت تحكمها الشيوعية :

١- في بلاد المسلمين في بخارى وما وراء النهر.

٢- داخل أسوار الصين (مجلدان).

٣- بلاد الداغستان.

٤- الرحلة الروسية.

٥- مع المسلمين البولنديين.

٦- جمهورية آذربيجان.

٧- في أعماق الصين الشعبية.

٨- ذكريات يوغسلافيا.

٩- في جنوب الصين.

١٠- كنت في ألبانيا.

١١- كنت في بلغاريا.
١٢- نظرة في شرق أوروبا وحالة المسلمين في أوربا الشرقية.
١٣- بلاد القرم.
١٤- حديث قازاقستان.
١٥- يوميات آسيا الوسطى.
١٦- حديث قرغيزستان.
١٧- العودة إلى الصين.
١٨- من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي.
١٩- بلاد التتار والبلغار.
٢٠- بلاد الشركس الإديغي.
٢١- مواطن إسلامية ضائعة.
٢٢- ذكريات من الاتحاد السوفيتي.
٢٣- بلغاريا ومقدونيا.
٢٤- بلاد البلطيق.
٢٥- العودة إلى ما وراء النهر.
٢٦- فوق سقف الصين.

والذي يقرأ في كتب العبودي هذه يجد أن هذا الداعية قدم الكثير للمسلمين في روسيا والقوقاز وآسيا الوسطى وأوروبا الشرقية، حيث دعا إلى ما يلي:

١- استعادة المساجد التي سلبت أو أهملت أو حولت إلى مواقع لأغراض أخرى.

٢- بناء المزيد من المساجد التي تلبي حاجة المسلمين في تلك البلدان.

٣- النهوض بالتعليم الإسلامي من خلال مدارس إسلامية تديرها وتشرف عليها المؤسسات الإسلامية والإدارات الدينية بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والمؤسسات الإسلامية الأخرى.

٤- نشر الثقافة الإسلامية بين الناس، وتذكيرهم بماضيهم العريق، وربطهم بأسلافهم، وصونهم من الذوبان في الأمم الأخرى.

٥- السعي لاستقدام أعداد من المسلمين في البلدان المذكورة لأداء الحج أو العمرة على نفقة الرابطة.

٦- عقد الاتفاقات مع الإدارات الدينية والمفتين والجهات الحكومية المشرفة على الشؤون الدينية.

وإذا كانت هذه الجهود في رصيد داعيتنا العبودي؛ فإن رحلاته التي طاف فيها أنحاء العالم وأركانه أملت عليه توصيات ومقترحاته عامة وخاصة، ومثال ذلك ما قدمه من توصيات للرابطة إثر آخر رحلاته التي أنجزها قبل عدة أشهر، حيث زار خلالها إسبانيا والبرتغال ومالطا.

*** ومن توصياته العامة إثر هذه الرحلة:**

أ- العناية بزيادة وجود المملكة العربية السعودية في منطقة الأندلس في جنوب إسبانيا؛ وذلك عن طريق تقديم المساعدات للجمعيات الإسلامية وأماكن الصلاة هناك.

ب- الحرص على توزيع الجرائد والصحف السعودية على العرب والمسلمين هناك عن طريق سفارتي خادم الحرمين الشريفين في البرتغال وإسبانيا، والجمعية الإسلامية في كل من مالطه وكريت.

ت- تكرار الزيارات المبرمجة بين فئة وأخرى، ويمكن أن يحدد ذلك بمرة واحدة في السنة لوفود من رابطة العالم الإسلامي.

ث- تفعيل المؤسسات الإسلامية السعودية هناك، وزيادة فعاليتها عن طريق إقامة دورات أو مواسم محاضرات لمحاضرين سعوديين من أهل الخبرة والتجربة في مثل هذه الأمور.

ج- دعوة عدد من العاملين في الجمعيات الإسلامية من غير العرب إلى حضور دورات تعليم اللغة العربية لغير العرب في جامعة أم القرى، أو جامعة الملك سعود (معهد تعليم اللغة العربية لغير العرب).

ح- زيادة توزيع ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإسبانية في المنطقة عن طريق سفارات خادم الحرمين الشريفين بالتعاون مع الجمعيات والشخصيات الإسلامية الصديقة.

خ- تخصيص مبلغ (٨٠) ألف ريال لدعم العمل الإسلامي في مالطا يصرف بمعرفة الرابطة.

د- تخصيص مبلغ (١٠٠) ألف ريال لدعم العمل الإسلامي في جزيرة كريت يصرف بوساطة الرابطة.

*** أما توصياته الخاصة، فكانت:**

أ - مواصلة التفاوض مع المسؤولين عن المركز الإسلامي الكبير في لشبونة من أجل الاتفاق على أن تتولى الرابطة إداراته والإنفاق عليه ليكون مثل المركز الإسلامي في مدريد.

ب - مساعدة الجمعية الإسلامية في مدينة (بورتو) الشمالية في البرتغال بمبلغ ثلاثين ألف ريال إسهاماً في شراء أرض للمركز الإسلامي في تلك المنطقة المهمة النائية نسبياً.

ت - إرسال اثنين من للدعاة المتخصصين أحدهما يكون في المركز الإسلامي في لشبونة، والثاني في المركز الإسلامي في بورتو.

ث - تعيين خمسة أئمة محليين بواقع خمسمائة دولار في الشهر في خمسة مراكز، مثل مراكز داميا، ويمكن تعيين إمام للجمعية الإسلامية، ويكون ذلك من قبل الرابطة.

ج - تخصيص مبلغ مائة ألف دولار أمريكي لدعم العمل الإسلامي في منطقة الأندلس عن طريق دعم الجمعيات والمصليات المحتاجة إلى ذلك.

وإذا كان ما ذكرناه أنموذجاً للدعوة في رحلات العبودي، فإن لزياراته كل مدينة أو قرية محطات دعوية سجلها في كتبه، وسجل فيها توصياته للنهوض بالدعوة، وقاريء هذه الكتب لا بد أن يتعرف على جهوده - حفظه الله - في محطات زياراته، ولضيق المجال يمكن الاكتفاء بذكر **بعض ما يفعله العبودي في تلك المحطات:**

١- عقد الاتفاقات الدعوية،وهي كثيرة، ومنها الاتفاقية بين الرابطة وجمهورية برازافيل الإفريقية، وكانت تسمى في السابق الكونغو برازافيل.

٢- المشاركة في مؤتمرات الدعوة وقد سجل ملاحظاته وتوصياته على المؤتمرات الإسلامية التي شارك فيها في سبع مجلدات ضمن كتابين أحدهما عن المؤتمرات؛ أحدها في ست مجلدات، والآخر في مجلدين.

٣- شهد دخول كثير من غير المسلمين في الإسلام، وقد لقَّن العديد منهم الشهادتين، وشرح لهم ما يلزمهم من مبادئ الإسلام وفرائضه، وألقى فيهم الدروس والمحاضرات والمواعظ التي تساعدهم على الثبات.

٤- شارك في مؤتمرات الحوار بين الحضارات، وقدم مبادئ وأفكاراً عرض من خلالها موقف الإسلام من القضايا المثارة في العالم مثل: الإرهاب، والعولمة، وحقوق الإنسان، والتعاون الدولي، ومن أهم المؤتمرات التي شارك فيها في هذا المجال المؤتمر الذي أقامته مكتبة الملك عبد العزيز في الرياض

بعنوان: (الحوار بين الحضارات) حيث قدم بحثاً تم اعتماده، وسوف يطبع ضمن البحوث الفائزة في المؤتمر.

ومن المؤتمرات الدولية التي شارك فيها العبودي في هذا المجال مؤتمر (السلام من أجل الأديان) الذي عقد في مدينة أسترين في إيطاليا، وقد عرض خلال جلسات المؤتمر موقف الإسلام من القضايا المندرجة ضمن محاور المؤتمر، وفي ذلك تعريف لغير المسلمين بالإسلام.

٥- الإسهام في الرد على أصحاب النحل والملل الباطلة، مثل: القاديانية، والبهائية، والبابية، وغيرها، وشارك مشاركة فاعلة في مؤتمرات عقدت لهذا الغرض في كل من بريطانيا وباكستان ونيجيريا وغانا.

٦- الإسهام في وضع تطورات للعمل الدعوي بالتعاون مع دور الإفتاء ومجالس الإدارة في الإدارات الدينية والمشيخات الإسلامية والمجالس الإسلامية العليا، وتركزت تلك التطورات وما تضمنها من أعمال على النهوض بعمل المسجد، وإحياء رسالته، والعناية بالمسلمين، والأقليات المسلمة وتعليم أبنائهم، ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بينهم، بالإضافة إلى تأمين الخدمات التي يحتاج إليها المسلمون.

٧- تمثيل المملكة العربية السعودية في العديد من مؤتمرات الدعوة، ومؤتمرات المنظمات الإسلامية، ومن أولها مؤتمر الجمعيات الإسلامية في أمريكا الجنوبية الذي عقد في مدينة ساوباولو عام ١٣٩٠هـ.

٨- الإسهام في إصلاح ذات البين بين المسلمين المتنازعين، ومثال ذلك ما فعله في كل من الصومال وأفغانستان.

٩- الدعوة إلى اجتهاد المجامع الفقهية في موضوعات فقه الأقليات المسلمة، وفقه القضايا المستجدة في حياة المسلمين، وإيجاد الحلول لها، ومن

ذلك صلاة وصيام المسلمين الذين يعيشون في المناطق القطبية؛ حيث تمر عليهم مدد طويلة لا تطلع عليهم الشمس أو العكس.

١٠- المشاركة في الإشراف على دورات تدريب الأئمة والدعاة وتأهيلهم، ومن أمثلة الدورات التي شارك فيها في هذا المجال دورة منطقة الكاريبي، حيث ألقى فيها العديد من المحاضرات، وذلك في ترينداد عام ١٤٠٥هـ.

۞ نماذج من كتاباته الدعوية

عُرف العبودي داعية إلى الله في أنحاء العالم من أجل خدمة الإسلام ومتابعة شؤون المسلمين، وقلّما يذكر موقع أو مسجد أو مركز أو جمعية إسلامية في العالم لم يزرها العبودي أو لم يتواصل مع مسؤوليها والقائمين عليها.

أما منهج العبودي في الدعوة فهو المنهج الموصوف بالوسطية والاعتدال، والتوسط هنا مرادف العدل الذي لا يميل باتجاه الإفراط، ولا يجنح نحو التفريط، وانطلاقاً من هذا المنهج الذي كان عليه سلف الأمة عرف العبودي بمحاربته لأنواع الانحراف الفكري والغلو في الدين أو التهاون فيه.

وأما أسلوبه فهو الأسلوب الرشيد النافع الذي ذكره الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.(١)

ولا يغفل العبودي عن أهمية العلم للداعية، فهو يحث الدعاة على التعلم والأخذ من علوم الشريعة والعلوم الأخرى ليكون الداعية على بصيرة في كل شيء، وهو ما أمر به الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.(٢)

ولذلك فإن العبودي يصدِّر دروسه ومحاضراته التي يلقيها للأئمة والدعاة والمدرسين بهذه الآيات الكريمة التي تحدد منهاج الداعية وأسلوبه.

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

وفي الصفحات التالية عبارات مشرقة، وكلمات مضيئة، وشذرات وقبسات في فضل الدعوة إلى الله، وشرف الدعاة، تبرهن وتؤكد على ما ذكرته، وهي على سبيل المثال لا الحصر.

۞ القرآن الكريم.. الحجة الدامغة والنعمة السابغة والمعجزة الخالدة

لقد أنزل الله تعالى القرآن على رسوله محمد ﷺ ليكون بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهادياً إلى ما ارتضى لهم من دينه، وسلطاناً أوضح وجهة دينه، ودليلاً على وحدانيته، ومرشداً إلى معرفة عزته وجبروته، ومفصحاً عن صفات جلاله وعلو شأنه وعظيم سلطانه، وحجة لرسوله ﷺ الذي أرسله به، وعلماً على صدقه، وبينة على أنه أمينه على وحيه وصادع بأمره، فما أشرفه من كتاب يتضمن صدق متحمله، ورسالة تشتمل على تصحيح قول مؤديها، بيَّن فيه سبحانه أن حجته كافية هادية لا يحتاج مع وضوحها إلى بينة تعلوها أو حجة تتلوها.

إن من حق قرآننا علينا أن نتدبر معانيه، وأن نفهم مقاصده، ففيه ما يدل على صلاح الأخلاق وتهذيبها، ويرشد إلى الآداب الإسلامية واكتسابها، فهي أمور محكمة، وآداب لكل خير جامعة، ذلك أن القرآن هو كتاب الله الخالد، ومعجزة رسوله الباقية، ونعمته السابغة، وحجته الدامغة، وهو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وبحر لا يدرك غوره، ولا تنفد درره، ولا تفنى عجائبه، ولا تقلع عن الغيث المدرار سحائبه، ولا تنقضي آياته، أنزله ربنا لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصراً، ونسعد به تذكراً، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونجتهد في إقامة أوامره ونواهيه، وكلما ازدادت البصائر فيه تأملاً زادها هداية وتبصراً، أنزله ربنا وصرفه وعداً ووعيداً، وأمراً ونهياً، وترغيباً وترهيباً، وتشريفاً وسياسةً، وحكمةً وعلماً، ورحمةً وعدلاً.

واشتمل على أصول العقائد، وقواعد الأحكام، ودعائم الأخلاق.

إن المتأمل في الآيات القرآنية يدرك غاية القرآن ومراميه، وتركيزه الشديد على بناء الشخصية الإسلامية على أساس من القيم الأخلاقية الرفيعة تركيزاً يبتدئ من تصحيح العقائد، وتطهير النفوس من درن الشرك والجاهلية، والتحلي بالعلم الصحيح، وتنظيم العلائق الاجتماعية، والهداية إلى السداد من القول والعمل، وهكذا يتجلى القرآن العظيم إرشاداً لمحجة، وتبصرة لعبرة، وتذكرة لمعرفة، وإرشاداً من غي، وبصيرة من عمى، وحثاً على تقى، وحياة للقلب، وغذاءً للروح، ودواء وشفاء، وعصمة ونجاة.

نعم.. إن إدامة النظر وإطالة التدبر في هذا القرآن العظيم تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغايتهما وثمراتهما ومآل أهلها، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطِّد أركانه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.(1) وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.(2) وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾.(3)

وبين يدك أخي القارئ لمحات ونفحات من السكينة القرآنية، آيات بينات، وعبر وعظات، حرص المؤلف - حفظه الله - على إظهارها في أجمل صورة، وأروع بيان؛ فقد تحدث عن القرآن الكريم قائلاً: (فإن كتاب الله العظيم فيه شفاء للنفوس، ودواء للقلوب، وجلاء للهموم والغموم، بل هو

---

(1) سورة ص: الآية (٢٩).

(2) سورة محمد: الآية (٢٤).

(3) سورة النساء: الآية (٨٢).

بلسم الأحزان، وشفاء الأبدان، وإكسير الحياة الهانئة المطمئنة التي لا تزعزعها عواصف الشك، ولا تقلقها نوازع الارتياب، ثم تحدث - حفظه الله - عن نفسية المخالفين واتهامهم المستقيمين على أمر الله بعدم العلم والبصيرة.

كما تحدث عن الطمأنينة في الغربة، وأن العبد إذا علم أن الله معه يرعاه ويحرسه ويطلع عليه، طابت نفسه، وهدأ باله، وزالت عنه وحشة الغربة ومرارة الفراق للأهل والوطن.

كما تحدث في هذا الكتاب القيم عن السكينة القرآنية، وعن الحياة الدنيا وزينتها وأنها ظل زائل، وخيال زائر، وأنها سريعة الزوال والاضمحلال، وأما النعيم المقيم والمتاع الدائم الذي ينبغي أن يسعى إليه العقلاء، وأن يتسابق إلى تحصيله الفضلاء؛ فذلك هو طلب المغفرة من الله وطلب الجنة التي عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

كما تحدث - حفظه الله - عن الطريقة المثلى للدعوة إلى الله، وأن على كل مسلم أن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل بالتي هي أحسن، وأن على الداعية أن يتحلى بالصبر وطول النفس في الدعوة إلى الله عزوجل؛ فإن عاقبة الصبر محمودة، قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.(١) وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.(٢)

---

(١) سورة الشورى: الآية (٤٣).

(٢) سورة الروم: الآية (٦٠).

وبين أن العاقبة والنصر والتمكين تكون للمؤمنين قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.(١)

ثم تحدث المؤلف عن الإسلام والمسلمين، وتساءل هل يعود النصر للمسلمين؟.

وأجاب - حفظه الله - أن مما لا شك فيه أن المسلمين إذا ما تمسكوا بدينهم، واعتزوا بإسلامهم، تحقق لهم النصر، إنه الإسلام الذي شرف الله به العرب، وأعز به من آمن به وعمل بمقتضاه، أعز به من ذلة، وأغنى به من قلة، وآمن به من خوف.

فهمه العرب المسلمون الأوائل؛ فالتزموا به قولاً وفعلاً وجهاداً ودستوراً للحياة، فكانت لهم العزة والرفعة والغلبة، وكان لهم النصر والتمكين، والذكر الخالد إلى يوم الدين، ولن يعز العرب ويأمنوا ويرتفعوا إلا به.

فعلى المسلم الذي يلتمس وسيلة لإنهاض العرب من كبوتهم، وانتشال المسلمين من المذلة التي هم فيها الآن بالنسبة إلى دول العالم؛ أن يعلم أن الإسلام الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ كفيل بذلك بشرط أن يأخذ به المسلمون المتأخرون كما أخذ به السلف الصالحون، وأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها.

وفي القرآن الكريم والذكر الحكيم من آيات التأسي وبث السكينة في النفس الشيء الكثير، ولنترك المؤلف ليتحدث عن نفحات القرآن، والآيات التي تدعو إلى التأسي والسكينة والاطمئنان.

* * * * * *

---

(١) سورة الحج: الآية (٤٠).

۞ نفحات من السكينة القرآنية(١)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وبعد: فإن كتاب الله العظيم فيه شفاء للنفوس، ودواء للقلوب، وجلاء للهموم والغموم، بل هو بلسم الأحزان، وإكسير الحياة الهانئة المطمئنة، التي لا تزعزعها عواصف الشك، ولا تقلقها نوازع الارتياب.

فالمؤمن إذا ألمت به نكبة، أو أصابته مصيبة، ثم فزع إلى كتاب الله الكريم بقلب عامر بالإيمان، مفعم بالثقة، يتلوه ويتدبر آياته، ويتنعم بألفاظه، ويصدق وعده ووعيده؛ فإن همه يزول، وغمه ينجلي، بل إن كربه يعود سروراً، وضيقه يعقبه حبور.

ذلك أمر يحس به القوم الذين رزقوا حلاوة الإيمان، وأوتوا لذة التداوي بالقرآن وهم - ولله الحمد - كثير في كل زمان ومكان.

وقد حاول أحدهم أن يذكر للناس ذلك النعيم الذي يشعر به، وتلك الحلاوة التي تملأ فؤاده، والأنس القرآني الذي يغمر قلبه؛ فقال: (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف).

لقد قال: (لو يعلم الملوك) ذلك لأن حلاوة الإيمان ونشوة اليقين لا يعلم بها إلا من ذاقها، ولا يحس بوجودها إلا من نعم بها.

---

(١) انظر نفحات من السكينة القرءانية: طبع ونشر المؤسسة السعيدية بالرياض.

وقال آخر - وقد حبسه أعداؤه -: (ما يصنع أعدائي بي !؟ أنا جنتي وبستاني في صدري). فماذا يصنع الأعداء برجل جنته في صدره: إيمان يملؤه، وطمأنينة لاحد لها، وبستانه الذي يسير فيه فيملأ نفسه فرحاً وسرورا، إنما هو كتاب الله الذي يتلوه في مختلف أحواله، فتنفرج همومه وتزول كروبه.

وفي القرآن الكريم من آيات التأسي، وبث السكينة في النفس، والحث على عدم الأسى على مافات، والاستعداد للمستقبل بنفس مطمئنة مستبشرة آيات كثيرة، وربما مر عليها بعضهم وهو لا يعرف معناها، لأنه يحتاج إلى تفسير الآية، أو تفسير بعض كلماتها.

وقد حاولت أن أجمع آيات التأسي تلك، أفسر ما أظنه يحتاج منها إلى تفسير غير متبع في التفسير قول أحد المتقدمين، إلا ما حسبته صواباً، مضرباً عن اختلافات المفسرين، وأقوالهم المتضاربة؛ إذ المقصود هو عرض الآيات المذكورة مع إيضاح معانيها، واضعاً نصب عيني أن كتاب الله الكريم أنزله الله للتدبر والتفكر إلى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.(٢)

والادِّكار والتدبر لا يكونان في قرن دون قرن، والدعوة إلى تدبر القرآن ليست موجهة لقوم دون قوم، ولا هي مرحلية كانت في زمن معين مضى وانقضى.

---

(١) سورة القمر: الآيات (١٧،٢٢،٣٢،٤٠).

(٢) سورة ص: الآية (٢٩).

على أنني إذ أخص آيات التأسي بالذكر، وأفردها بالإيراد لا ينبغي أن أنسى أن القرآن الكريم كله جالب للطمأنينة في النفس، وباعث على التأسي إذا تُلي بإمعان وتفكر وحضور قلب.

فآيات الوعد والوعيد تزيد المؤمن إيماناً، فتطيب نفسه، ويهدأ باله.

وقصص القرآن فيها من العظة والعبرة ما هو كذلك.

وإنما أخص الآيات الواردة في التأسي والاطمئنان والسكينة.

وقد يقول قائل من الكافرين، ممن ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة: إنه لا يجد في القرآن إلا ما يجده في كتاب آخر غير القرآن.

أو قد يقول قائل من المسلمين ممن رانت على قلوبهم المعاصي، وطمست بصائرهم الشكوك، وأبعدتهم الآثام وأهواء النفوس عن التلذذ بالقرآن، فهو يقول: إنني لا أجد ما تجدونه عند تلاوة القرآن، ولا أحس من نفسي أنها شفيت من آلامها عند قراءته.

والجواب: إن القرآن الكريم هو كما قال تعالى: ﴿.. هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.[1]

فحلاوة الإيمان أمر وجداني، يحس بها من عَمَرت قلبه الطاعة، وصفا ذهنه بتجنب المعاصي، حتى أصبحت تلاوة القرآن تزيده إيماناً إلى إيمان، ولذة التلاوة تضفى على حياة القارئ حلاوة ما بعدها حلاوة، وأنساً دونه كل أنس.

---

(١) سورة البقرة: الآيات (٢-٤).

وذلك أمر ليس كالسّلع التي تُشترى بالمال، ولا هو يُدرك بالاستعجال، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

وهو سبحانه قد يسّر القرآن للذكر، فما على من أراد ما ذكرناه، ورغب في أن يجد ما أوردناه إلا أن يبدأ من ساعته بعزم وتأكيد على نفسه، وبنية صادقة لا تشوب صدقها شائبة، بأن يقلع عما يقارفه من معاص، وأن يبتعد عما يأتيه من آثام، وأن يبذل جهده في إيتاء ما استطاع من القربات، وتقديم ما يقدر عليه من نوافل الطاعات، فضلاً عن الالتزام بالواجبات المفروضة من العبادات، والتخلي عن جميع الظلامات التي كان يأتيها للمخلوقات.

وبالجملة: أن يبدأ من ساعته بالعمل بتقوى الله، وترك محارمه، وإحسان العمل لآخرته ولدنياه التي لا تتنافى مع أعمال الآخرة.

وهو بعد ذلك - إن شاء الله - واجد ما وجده المؤمنون، وواصل إلى ما وصل إليه السابقون المتقون. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وهو حسب المؤمن ونعم الوكيل.

الرياض: ٤/ ٣/ ١٣٩٨هـ- ١١/ ٢/ ١٩٧٨م.

محمد بن ناصر العبودي

نفسية المخالفين

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.[1]

فهاتان الآيتان الكريمتان ينبغي أن يقرأهما المؤمن عندما يتهمه الضالون والمنحرفون بعدم العلم والبصيرة، أو يتوقعون له مستقبلاً لا يبشر بالنجاح وهما - إلى ما فيهما من التأسي وبعث الطمأنينة في النفس - فيهما ذكر الإحسان الذي هو: الإحسان في العمل للدنيا والآخرة، ومن أحسن العمل بقدر استطاعته لدنياه وأخراه، وفي علاقاته بإخوانه المسلمين وعلاقاته بغيرهم من أرباب الأديان الأخرى، وأسلم وجهه لله بالانقياد والطاعة؛ فإنه بلا شك من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أما أولئك الذين يخالفونه في المبدأ ويناصبونه العداء المذهبي، فإنه ينبغي له أن يعلم أنه لا مجال للطمع في رضاهم عنه، والسكوت عما جاء به، فضلاً عن موافقتهم له وتحبيذهم لرأيه، كما قال تعالى في السورة نفسها: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾.[2]

فإذا جعل ذلك نصب عينيه، وفي مقدمة تفكيره؛ فإنه يوطن نفسه عليه، وبذلك تتجنب الانزعاج والانفعال لأقوالهم، والجزع من أفعالهم، وبالتالي تطمئن وتهدأ.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (١١١-١١٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٢٠).

الطمأنينة في الغربة

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.(١)

هذه الآية الكريمة نزلت في القبلة، ولكن المؤمن إذا تلاها وهو في مكان ناءٍ عن وطنه، أو في ركن قَصِيٍّ من الدنيا لم يره من قبل، واستشعر آخر الآية الكريمة، هو وصف الله - سبحانه وتعالى - بأنه واسع وأنه عليم، فإنها تذكِّره صغر الدنيا وما فيها، وتذكره شمول علم الله لكل خلقه في أي مكان من الكون، كما يتذكر من قوله تعالى: ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ أن الله معه يرعاه ويحرسه، ويطلع على حركاته وسكناته أينما كان، وفي أي موقع حلّ، فتطيب نفسه، ويهدأ باله، وتزول عنه وحشة الغربة، ويهون عليه بُعْدُهُ عن الوطن، لا سيَّما إذا تلا هنا الآية الكريمة الأخرى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾.(٢)

فالأرض - رغم سعتها - هي موضع لعبادة المؤمن لربه؛ لأنه - سبحانه وتعالى - معبود في كل مكان، وهو - تعالى - الذي يستحق العبادة في أقصى الأرض وأدانيها؛ لأنه - تعالى -: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾

---

(١) سورة البقرة: الآية (١١٥).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٥٦).

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.[1]

فسواء كان المؤمن في بلده أو في بلاد غير بلاده قريبة أم بعيدة؛ فإن ربه - تعالى - معه، لأنه - تعالى - قبل علم غيره وبعد علم غيره، وهو عالم بما كان كيف كان، وبما يكون كما هو كائن، وبما سيكون كما سيكون، لأنه هو - تعالى - الذي خلق المخلوقات العظام من السموات والأرض، والذي خلق السموات والأرض يعلم ما يدخل فيها وما يخرج منها، وما ينزل منها، وما يعرج إليها.

وهو يعلن - تعالى - أنه مع كل مخلوق ومع مخلوقاته على كثرتها، ومع كل آدمي أينما كان في أقاصي الأرض أو أدانيها، أو فيما ارتفع من أجواء الفضاء أو ما انخفض من غياهب البحار والمحيطات، وهو بصير بما يعمل ذلك المخلوق، لا يخفى عليه شيء من عمله؛ لأنه تعالى له ملك السموات والأرض.

انظر إلى هذا التعبير العظيم الذي لا يدرك العقل البشري العادي عظمته إلا بعد أن يطلع على كلام أهل الفلك وعلماء الفضاء عما عرفوه من سعة الكون وعظمته ورحابته، التي يكاد العقل يعجز عن تصورها، والتي هم بدون شك لم يعرفوا إلا جزءاً منها، قد يعرف من يأتي بعدهم أكثر منها كما عرفوا ما لم يعرفه من قبلهم، ممن لا يؤمن بالوحي ولا يقر إلا بالمحسوسات.

وبعد أن تتأمل هذه الكلمات التي تحس لمعناها بالرهبة والخشوع، انظر إلى تلك العبارة التي ختم الله - سبحانه وتعالى - بها هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ فكل أمور الكون على سعته، وكل أسرار

---

(١) سورة الحديد: الآية (٣-٦).

النفس البشرية على تعقيدها، وكل علوم ابن آدم ومعلوماته على تشعبها، بل وكل المخلوقات مرجعها إليه: سبحانه وتعالى.

ثم ذكر تعالى مثلين: أحدهما: لعظمة هذا الكون ولطف صنعه تعالى فيه، وهو قوله: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾، هل تصورت الإيلاج أي: دخول الليل في النهار، ودخول النهار في الليل، على تفاوت بقاع الأرض، وتغاير فصول السنة، كل ذلك بنظام دقيق، ووفق سنن ثابتة، وقوانين غاية في الدقة والانضباط.

والثاني: هو لهواجس النفس البشرية ونوازع هواها وما يختلج فيها من خير وشر، قبل أن يكون فعلاً يراه الناس ويحسون آثاره، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

إن المؤمن الصادق الإيمان إذا تلا هذه الآيات الكريمة؛ فإنه سوف يستشعر عظمة الخالق عزوجل ومعيته له في كل مكان من الأرض، وفي كل زمان من الأزمنة، فيشعر بالطمأنينة والسكينة، وينفي عن خاطره خواطر الضياع.

وليتل أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.(1)

* * * * *

(1) سورة المجادلة: الآية (٧).

مصابرة الأعداء

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾.(١)

قد تضيق صدور المؤمنين عند مقارعة الكافرين ومقاتلة من يقاتلونهم من أهل الضلال، ولكن الله سبحانه وتعالى يأمرهم بألا يضعفوا، ولا يحزنوا؛ لأنهم الأعلون مكانة في الحق، ولأنهم مؤمنون بذلك، أما ما يصيبهم من مشقات الحرب وويلاتهم، أو من مصاعب المقارعة والمنازلة، فإن ذلك من طبيعة الأمور، لأنهم بشر، يصيبهم ما يصيب البشر، وإن أعداءهم يقاسون ما يقاسونه من تلك المشقات والمصاعب، كما أن الله - سبحانه وتعالى - لحكمته وعلمه قد يجعل دولة في يوم من الأيام لقوم، وفي يوم آخر لقوم آخرين، ولكن العاقبة للمتقين.

ومن حكمته في ذلك: ليتبين القوم الذين يؤمنون بالله إيماناً حقا لا تزعزعه العواصف، ولا تتطرق إليه الشكوك، كما أن في إصابة المؤمنين ببعض المصاعب والهزائم في الحروب تمحيصاً وتطهيراً لهم من ذنوبهم، ومحقاً للكافرين الذين لا يؤمنون بحكمته - تعالى - وبأن النصر الأخير هو للمؤمنين الصابرين، وتلك سنة الله في أن لا يدخل المؤمنين الجنة إلا بعد أن

---

(١) سورة آل عمران: الآيات (١٣٩ - ١٤٢).

يبتليهم، وبعد أن يعلم قوة صبرهم على أوامره - تعالى - واحتمالهم لها.

ولذلك قال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.(1)

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.(2)

هذه الآية العظيمة في التوكل على الله، وانتظار النصر من عنده، وردت في سياق قصة يوم أُحد، ليتبين للمؤمنين أنهم إذا نصروا الله بأن اتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه؛ فإنه سينصرهم، وإذا أراد - سبحانه وتعالى - نصرهم فإنه لا غالب لهم، ولذلك يجب أن يتوكل عليه المؤمنون الذين نصروه بالفعل، واستفرغوا الجهد في ذلك.

وفي الآيات الكريمة التالية دستور إلهي في القتال، يشتمل على التوصية بالصبر أثناء المعركة، وبذل الجهد في القتال، ثم كيفية معاملة الكافرين بعد أن تميل المعركة إلى جانب المسلمين، ويأخذوا من الكفار بعض الأسرى، وماذا يصنع المسلمون بهم، ثم بيان حكمته - تعالى - في ألا يجعل المعارك كلها في كل الحروب وفي جميع الأزمان تنتهي بهزيمة الكفار وانتصار المسلمين فيها، ثم بين أن ما قد ينشأ عن إرادته تلك من استشهاد بعض المؤمنين؛ إنما هو إكرامهم بالشهادة، وعدم ضياع تضحياتهم التي يكون لها الثمرة في أن تكون عاقبة الحروب لإخوانهم من المؤمنين الذين نصروا الله

(1) سورة النساء: الآية (104).

(2) سورة آل عمران: الآية (160).

واتبعوا أوامره، واجتنبوا نواهيه، وأنهم هم الذين يثبت الله أقدامهم في الحروب، فيهزم بهم الأعداء ويبدد قوتهم.

ثم عقب تعالى بذكره ما جاء ذكره في الآيات السابقة من ابتلاء المؤمنين والمجاهدين، حتى يتضح صبرهم، ويتبين صدقهم في العمل في سبيله – تعالى – وتقديم التضحيات؛ فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾.(1)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.(2)

فهذه الآيات في التأسي بالشهداء في سبيل الله الذين هم أحياء عند ربهم، وهم فرحون بالشهادة، مستبشرين بإخوانهم الذين ينتظرون الشهادة مثلهم ولما يلحقوا بهم بعد، وأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.(3)

---

(١) سورة محمد: الآية (٤-٧).

(٢) سورة آل عمران: الآيات (١٦٩-١٧١).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٧٦).

إذا رأى المؤمن أهل الكفر والعصيان يتمادون في كفرهم وعصيانهم، بل يسارعون إلى ذلك؛ فإنه لا ينبغي له أن يحزن ويموت أسىً، لأنهم لن يضروا الله شيئاً، ولأنهم سيلقون جزاءهم العادل، وطبيعي أن ذلك يكون معه أن يستنفد جهده في دعوتهم إلى الخير بقدر استطاعته، وفي نطاق إمكاناته.

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.(١)

لا بد من أن يبتلى المؤمنون في أموالهم وفي أنفسهم، كما يبتلى غيرهم من بني الإنسان، ولابد أن يسمعوا ممن يخالفهم في المبدأ ما يؤذيهم، ولكن العلاج لذلك كله هو: الصبر والتقوى؛ ولأن ذلك من الأمور التي تحتاج إلى عزيمة وقوة إرادة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.(٢)

هذا الخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته أسوة به، فقد أمره الله ألا يحزن من كيد عمل المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويتولون

---

(١) سورة: يل عمران: الآية (١٨٦).

(٢) سورة: المائدة: الآية (٤١).

الكفار من أعداء الدعوة؛ لأن من يريد الله له عدم الهداية لما يعلمه تعالى من خبثه ورداءة معتقده؛ فإن الناس لا يستطيعون أن يهدوه ولو بذلوا كل جهودهم.

والمهم في الأمر أن يتذكر المؤمن ذلك فلا يحزن لعدم هداية الضال ويأسف لذلك؛ ولا يمنعه الخوف من مكر المخالفين في الدين من الثبات على الحق، ولأنه مهما كان مكرهم كبيراً فإن قدرة الله فوق ذلك، كما قال - تعالى - : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾.[1]

❁ ❁ ❁

(١) سورة إبراهيم: الآية (٤٦).

۞ الاستغناء عمن تولى عن الحق

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾.(١)

إذا رأى المرء من تنكب الطريق السوي من المسلمين، ونكص على عقبيه عن الدين، فليعلم أنه إنما يضر نفسه؛ لأن الله سبحانه وتعالى سيعوض المسلمين خيراً منه، وسيأتي بقوم أكثر عطفاً على المسلمين وأعظم فائدة وأكثر ثباتاً على الحق منه، كما قال تعالى مخاطباً لبعض الناس: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾.(٢)

وقال - تعالى - مخاطباً للمؤمنين، مخبراً إياهم بأنه - تعالى - هو مولاهم، وأنه - تعالى - نعم النصير لهم إذا تولى بعض الناس عن الحق، وانصرفوا عن الدين، فقال عزوجل: ﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾.(٣)

وكيف لا يجد المؤمن الصادق الإيمان العزاء عن تولي من تولى - من الكافرين - عن الدين؛ وهو يسمع وعد الله في إيجاد الإخوان المخلصين

---

(١) سورة المائدة: الآيات (٥٤-٥٦).

(٢) سورة محمد: الآية (٣٨).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٤٠).

المؤمنين الصادقين الذين تلك صفاتهم النادرة العظيمة، والتي هي للمؤمنين الصادقي الإيمان صدقاً، لا لمدعي الإيمان بأفواههم، أو تقليداً لمن سبقهم من آبائهم، وأجدادهم دون تحقيق ذلك من عمل صالح، وتقوى لله تنهاهم عن الإقدام على المحارم، وعن الإنصراف عن أوامره - تعالى - لاسيما إذا تأمل المؤمن هذه الجملة البليغة المؤثرة، التي ختم - عز وجل - بها الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. فهو واسع القدرة والسلطان، لا يعجزه - تعالى - أن يهدي من يشاء، ولا أن ينصر عباده المؤمنين، وأن يخذل أعداءهم من أعداء الدين، ذوي الأعمال السيئة في الدنيا والآخرة.

وهو - تعالى - عليم بمن يصلح للخير ومن يصلح للشر، وهو عليم بالأوقات المناسبة لهداية العباد، وعليم متى يكون النصر ومتى يكون الابتلاء والامتحان، وليتذكر المؤمن أن وليه الحق هو الله - سبحانه وتعالى - ومن يوفقهم إلى الخير من الذين آمنوا: الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وأولئك هم حزب الله الغالبون في النهاية على كل حال.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.(1)

ثم أكد - تعالى - عدم الحزن على ضلال من ضلّ، فأمر الذين آمنوا بأن يلتفتوا إلى أنفسهم، فيلزموها بطاعة أوامر الله، والنهي عن مناهيه، ومن طاعة الله بذل الوسع في الدعوة إلى الله، وهداية الضالين وهم إذا فعلوا ذلك لم يضرهم من ضلوا من الضالين؛ لأن مرجع الجميع إليه سبحانه، فيحاسب كلاً على ما اكتسبه، وما قدمته يده من عمل: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

---

(1) سورة المائدة: الآية (١٠٥).

ولذلك قال – تعالى – في آية أخرى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.(١)

والسبب في ذلك أن بعض الناس خلقوا وعندهم استعداد لعدم الاهتداء مهما كان الحق ظاهراً واضحاً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾.(٢)

وتلك حكمة بالغة لله – تعالى – عز شأنه – في أن بعض الناس لا يؤمنون على أية حال، وليس لعجز منه – تعالى – عن أن يجعلهم كلهم من المهتدين كما قال – تعالى – في سورة يونس نفسها. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.(٣)

وهذا الأمر لا ينبغي أن يكون جالباً ليأس الداعي إلى الله، فيكون سبباً في ترك الدعوة إذا ضاق صدره بكفر الكافرين، وجحود الجاهدين كما قال – تعالى – في السورة بعدها: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾.(٤)

فالمؤمن ليس وكيلاً على الناس، بل الله – تعالى – هو الوكيل على كل شيء في الوجود، من آدميين وغيرهم.

---

(١) سورة يونس: الآية (٤١).

(٢) سورة يونس: الآيتان (٩٦-٩٧).

(٣) سورة يونس: الآيتان (٩٩-١٠٠).

(٤) سورة هود: الآية (١٢).

وإنما المؤمن الداعية إلى الله نذير ينهى الناس عن الشر.

أما الهداية فهي بيد الله، كما قال – تعالى –: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾.(١)

فإن آذاه الجاحدون، وعانده الكافرون، ورموه بأنه مفتر مبين، فليتل هذه الآية الكريمة: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾.(٢)

وعليه أن يقول: ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾.(٣)

لأن الأكثرية من الناس ليس عندهم الاستعداد للإيمان، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾.(٤)

وليعلم أن هداية الخلق ليست بيده، وإنما هي بيد الله – سبحانه وتعالى – الذي هو أعلم بالمهتدين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.(٥)

---

(١) سورة فاطر: الآية (٨).

(٢) سورة فاطر: الآية (٨).

(٣) سورة هود: الآية (٨٨).

(٤) سورة يوسف: الآية (١٠٣).

(٥) سورة القصص: الآية (٥٦).

وليقـــــل: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.(١)

وإذا فعل الداعي ذلك فليركن إلى النتيجة المرضية في الاطمئنان والثبات على الحق، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.(٢)

وإن الله سيكفيه كيدهم واستهزاءهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.(٣)

وعليه أن يصبر على ما يصيبه منهم، وألا يثنيه ذلك عن واجبه في الدعوة إلى الله، وليستعن على ذلك بذكر الله وتحميده وتسبيحه وتمجيده في أثناء الليل وأطراف النهار، وليكثر من ذلك ولا يقصر فيه.

فذلك أجدر بأن يعينه على المصاعب التي يلاقيها كما قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾.(٤)

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان (١١-١٢).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٢٧).

(٣) سورة الحجر: الآيتان (٩٥-٩٦).

(٤) سورة الإنسان: الآيات (٢٤-٢٦).

وعليه أن يواصل عبادة ربه والقنوت إليه، والتضرع عند بـابه حتى يلقاه، كما قال تعالى بعد ذلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾.[1]

❁ ❁ ❁

(١) سورة الحجر: الآيتان (٩٨-٩٩).

عرض الدنيا زائل

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١)

إن حياة الإنسان في هذه الدنيا بما فيها من مغريات ومتع وزينة، هي مؤقتة وليست دائمة، بل إنها في بعض الأحيان سريعة الزوال والاضمحلال، كالعشب الذي نبت بسبب المطر الذي جاءه وأروى أرضه، حتى إذا ازدهر نباته، وازدهى منظره أتته جائحة من الجوائح، من: جفاف، أو رياح جافة أو جراد، أو نحو ذلك، فاضمحل حتى كأن لم يكن، ولم يبق لأهله منه إلا الحسرة والأسف.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.(٢)

وأصبحت بقاياه هشيما، تطير من الرياح، لا يقدر أهله عليه، ولا ينتفعون بما بقي منه، وذلك ليعلم بنو آدم أن الحياة ليست باقية ولا خالدة، بل ليست مما يركن إلى دوامه كما قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ

---

(١) سورة يونس: الآية (٢٤).

(٢) سورة الكهف: الآية (٤٥).

يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.(1)

وفي هاتين الآيتين يذكر تعالى هذا المعنى، ولكن فيهما زيادة حتى أنه على افتراض أن ذلك الغيث الذي هو مثل لزينة الحياة الدنيا لم تصبه جائحة غير عادية، فإن طبيعته أن يكون ازدهاره إلى أجل، وبقاؤه إلى غاية محدودة، فهو يعجب الناظرين، ثم يهيج فتراه مصفرا، ثم يكون حطاما، وذلك لأن متاع الحياة الدنيا ما هو إلا غرور من الغرور.

أما النعيم المقيم، والمتاع الدائم الذي ينبغي أن يسعى العقلاء إليه، وأن يتسابقوا إلى تحصيله، فذلك هو طلب المغفرة من الله، وطلب الجنة التي عرضها السموات والأرض.

وقد وجدنا نحن في عصر جعلنا أكثر تصوراً لسعة السموات والأرض ممن سبقنا من الأمم، وذلك بسبب الاختراعات الحديثة وعلوم الفضاء المستحدثة التي قربت للعين البشرية البعيد، وقربت للخيال البشري الأبعد منه، فإذا هو يكتشف أن الفراغ الذي بين هذه الأرض وبين السماء الدنيا إنما هو فراغ هائل طائل، قد يجد العقل نفسه عاجزاً عن تصوره التصور الكامل، وما بالك بمسافة تفوق مسافة مئات الألوف من السنين بالسرعة الضوئية التي هي سرعة البرق.

---

(١) سورة الحديد: الآيتان (٢٠-٢١).

ولك أن تتصور شيئاً من عظمة الخالق سبحانه، وأن تتصور شيئاً من صغر الآدمي المخلوق في حد ذاته، وأنه إنما صار عظيم الحق بما أعطاه الله تعالى من عقل وعواطف.

ثم لك أن تتصور بعد ذلك سعة تلك الجنة التي هي في عرض السموات والأرض، وتتصور أنه لو دخل جميع أهل الأرض من بني آدم - منذ أن بدأت حياة أبيهم آدم على هذه الأرض إلى- تلك الجنة، فإن كل واحد منهم سيجد فيها له ما يعجز عقله عن إدراكه، من اتساع المساحة وفنون الحياة التي لا يعلمها إلا خالقها. إن جنة بهذا الوصف لحرية بأن يتسابق الناس إليها وأن يسعوا إلى رضوان الله الذي جعل إدراكها مشروطاً به، أي هذه الحياة الدنيا الفانية المحدودة في مساحتها وزمنها وكل شيء مادي فيها، فإنه لا يغتر بها إلا مغرور لم يرزق حظا من العقل الوافر، ومن التوفيق الإلهي الهادي إلى الصواب.

ولذلك نهى الله نبيه محمداً ﷺ - الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وهاديا ومرشدا إلى الصراط المستقيم - أن يغتر بتلك الحياة الدنيا ويركن إليها، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾.(1)

فمتاع الحياة الدنيا يعطاه العاصي كما يعطاه الطائع، ولكن الذي لا ينبغي للمؤمن أن يفعله هو أن يغتر بذلك، وأن يركن إليه حتى ينسيه آخرته، وحتى لا يسعى في تحصيل النعيم المقيم في الدار الآخرة، ولذلك ورد

---

(1) سورة طه: الآية (١٣١).

الإخبار عن مثل الحياة الدنيا في الآيات السابقة بصيغة التعميم، وليس بصيغة التخصيص.

أما في هذه الآية الكريمة، فقد خصص المؤمن بالنهي عن الاغترار بمتاع الحياة الدنيا، الذي يعطاه الكافرون.

وكيف لا ينهى المؤمن عن ذلك، ومتاع الدنيا ينفد ويضمحل، وإنما الذي يبقى هو العمل الصالح، وهو الذي يجعل الحياة الدنيا طيبة؛ فيجلب السعادة لمن عمله من ذكر وأنثى، وإلى جانب عاقبته المحمودة في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.[1]

أليس حريا بالمؤمن الذي يتأمل هذه الآيات الكريمة، وما فيها من وصف لمتاع الحياة الدنيا وما فيها من ذكر لنعم الآخرة أن يطمئن إلى ما وعده الله من الخير، وألا يحزن على ما فاته من نعيم مادي عجز عن أن يحصل عليه، وبذلك تسكن نفسه وتطمئن، فلا تجزع ولا تأسف.

❁ ❁ ❁

(١) سورة: النحل، الآيتان: (٩٦-٩٧).

۞ طريق الدعوة إلى الله

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.(١)

الطريقة المثلى للدعوة التي تكفل النجاح للمؤمن الداعي لربه - وكل مؤمن ومسلم مدعو للقيام لله، بإبلاغ ما يعلمه من دينه إلى من لا يعلمون بحسب طاقته وقدرته – وفي الوقت نفسه تكفل له تجنب الكثير من المتاعب والمصاعب، وتجلب الكثير من المصالح والمنافع قد رسمها القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة، وما سنتلوه عليك من أخوات لها كريمات.

ذلك بأنه تعالى يقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾، وهذا خطاب موجه إلى رسول الله ﷺ، ولكنه موجه إلى جميع أمته وأتباعه من المسلمين؛ لأنه لم يرد دليل على تخصيصه به، دون أمته، وبدليل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾.(٢)

فسبيل كل مسلم وطريقه أن يدعو إلى ربه، أو بعبارة من عبارات هذا العصر: أن كل فرد من المسلمين ينبغي أن يكون مبشراً: أي بالإسلام: أي داعية إلى دين الله، ثم بين تعالى في هذه الآية أن الدعوة إلى سبيل الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه المناسب له، من حيث الأحوال الحاضرة، والنتائج المتوقعة، والموعظة

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

الحسنة، هي الموعظة باللين وعدم العنف، ومعرفة وقتها المناسب، وما يناسب أصول المدعوين من طرق مختلفة، قد يصل اختلافها إلى درجة التناقض، فلا يؤلف بينها إلا الموعظة الحسنة.

أما إذا كان الأمر يتطلب جدالا ونقاشا، لإظهار الحق بأن لج الخصوم، وكابروا، وأوردوا شبهاً لابد من دحضها وكشف زيفها بالجدال والنقاش، فليكن ذلك الجدال بالتي هي أحسن، أي بأحسن الطرق لإيضاح الحق، وعدم تنفير المدعوين، من قبوله وعدم اللجوء إلى العنف في النقاش عندما يشعر الداعية أن اليأس قد بدأ يدب إلى نفسه من هدايتهم؛ لأن الله تعالى هو أعلم بالمهتدين، وهو أعلم بالضالين، وهو أعلم بمن يرجى أن يهتدى ومن لا يكون كذلك.

أما من عجزت محاولات الموعظة الحسنة عن إيقاف جداله، وكبح جماح لجاجه، فإنه لا مانع من الانتصار منه بالقول الأشد. والقوة الأنكى له، وإن كان ذلك هو الاستثناء وليس القاعدة كما في الآية الكريمة التالية: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.[1]

أرأيت بلاغة هذا الأسلوب وجماله وإنصافه؛ فالمجادلة تكون بالتي هي أحسن، إلا في الحالات الاستثنائية التي يتعدى فيها الخصم حده فيظلم الداعية، فلا مانع من رده ظلمه، ثم هذا القول الذي يقتضي بيانه المشاركة في الشعور بما يؤمن به الخصمان معا، هو بالنسبة لأهل الكتاب إيمان المسلمين بما أنزل الله إلى الرسل كلهم، ثم تذكيرهم بأن إله الجميع هو الله تعالى.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

وكل داعية مسلم تبع هذه الطريقة، وسار على هذا المنهج، وعمل صالحاً في نفسه ومع غيره، وفي أمور دينه أو دنياه؛ فإنه المثالي الذي لا أحسن قولاً منه كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.[1]

❁ ❁ ❁

(١) سورة: فصلت، الآية: (٣٣).

۞ طول النفَس في الدعوة

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾.(١)

هاتان الآيتان الكريمتان في الصبر على مكر أعداء الدين، وعدم الضيق بمكايدهم.

وهما من الآيات التي ينبغي أن يتخذها المؤمن الداعية الصادق الإيمان نصب عينه، وقبلة اهتمامه.

وهما من آيات بث السكينة في النفس، وبعث الاطمئنان فيها.

ففي أولاهما يقول تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: اصبر على ما تلقاه في سبيل الدعوة، وإنك لا تستطيع أن تصبر كل ذلك الصبر، إلا بتوفيق من الله الذي أنزل عليك الصبر، بسبب قيامك له تعالى بواجب الدعوة والبلاغ.

ثم يقول تعالى بعد ذلك: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: لا تحزن على ما فاتهم من الخير الذي تريد ألا يفوتهم، من الهداية إلى طريق الحق والرشاد، وبعده: ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: ولا يضيق صدرك بما يعدونه من مكر ومكيدة لك ولمن اتبعك من أهل الخير.

هذه الآية الأولى الكريمة، فيها الأمر بالصبر، وعدم الحزن، والضيق بمكر الأعداء، فهل المطلوب من المؤمن ذلك، دون أن ينظر إلى شيء آخر؟.

---

(١) سورة النحل: الآيتان (١٢٧-١٢٨).

وإذا كان الجواب بالإيجاب، أفلا يورد بعض الملحدين شبهة على ذلك، بأن الداعية إلى الإسلام أمر بأن يكون سلبياً، حيث يصبر ولا يحزن؟.

والجواب يكون في الآية الكريمة الثانية، التي وردت بعد هذه الآية لحكمة عظيمة وأمر خطير، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾.

ومعنى الآيتين معاً أن المؤمن إذا اتقى الله بما تدل عليه كلمة التقوى من طاعة الأوامر واجتناب المناهي، وأحسن العمل لأخراه ودنياه فيما لا يتعارض مع أمور أخراه، وأحسن العمل للدعوة؛ فإن الله معه، فلا ينبغي أن يحزن ولا يضيق صدره بمكر الأعداء؛ لأن العاقبة الحميدة ستكون له حتماً، لأن الله معه، ومن كان الله معه فإنه لا خوف عليه ولا حزن.

وينبغي أن نذكر هنا: أن حسن الاستعداد المادي لملاقاة الأعداء بكل ما يستطيعه المسلمون، هو من الإحسان في العمل الذي أمر به المتقون، بدليل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾.(1)

وورد الأمر بالصبر على كيد الأعداء وعدم الضيق بمكرهم في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾.(2)

أما الأمر بالصبر على ما يقوله الأعداء ويبثونه من مفتريات، فقد ورد في آيات عدة مقرونا بالأمر بذكر الله تعالى من التسبيح والتحميد، الذي هو عدة من أعظم عُدد المؤمن التي تقوى بها نفسه، وبعدها للصبر ومواجهة

---

(١) سورة: الأنفال، الآية: (٦٠).

(٢) سورة النمل: الآية (٧٠).

الصعاب، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾.(٢)

وقرن سبحانه وتعالى الأمر بالصبر بالأمر بالثبات على الحق، وعدم التأثر بما يقوله أو يفعله الكافرون، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.(٣)

❀ ❀ ❀

(١) سورة طه: الآية (١٣٠).

(٢) سورة ق: الآية (٣٩).

(٣) سورة الروم: الآية (٦٠).

۞ وراثة الأرض

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾.(١)

تأمل هاتين الآيتين الكريمتين تجد فيهما قاعدة كونية وسنة من سنن الله الثابتة، وهي: أن الأرض يرثها من عباد الله من كانوا صالحين، أي صالحين لوراثتها بالعمل الصالح على عمارتها بالعدل والأخذ بأسباب صلاح الأرض ومن عليها، وبالعمل اللازم لذلك.

وليس المراد بالصلاح هنا مجرد صلاح المرء في نفسه لأعمال آخرته دون دنياه، بدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾.

فالعبادة الخاصة المجردة عن الأخذ بأسباب الحياة؛ لا تكفل وحدها وراثة الأرض.

والأمثلة على ذلك لا تحصر، ولكن يمكن الاستشهاد بحالة المسلمين أنفسهم في الصدر الأول، عندما عملوا على الإصلاح في الأرض، عن طريق الجهاد في سبيل الله، ثم لما فتح الله عليهم أصلحوها بالعدل و اتباع أوامر الله في الحكم. ثم مرت على المسلمين أزمان اشتغل بعضهم بالعبادة دون العمل على إصلاح الأرض، واشتغل بعض قادتهم بغير ذلك، فلم يعملوا لإصلاح الأرض، ولا لإصلاح الدين، فسلط الله عليهم من أعدائهم من كانوا أكثر عملاً لدنياهم منهم، فغلبوا على أرضهم.

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (١٠٥-١٠٦).

تلك سنة من سنن الله في الكون، ينبغي على كل مسلم- وبخاصة قادة المسلمين ومفكريهم- أن يعوها ويحفظوها، ويعملوا بموجبها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾.(١)

أخبر سبحانه وتعالى أنه يدافع عن الذين آمنوا، وهنا نكتة لا بد من تأملها، وهي: كونه تعالى أخبر أنه يدافع عن الذين آمنوا، وقد نعتهم هنا بنعت الإيمان فقط، وذكر المدافعة عنهم فقط، أما الذين ينصرونه، وهذا عام وإذا مكنهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وهذا خاص فإنه ينصرهم، وهذا يدل على أن الاعتقاد المجرد من العمل الصالح للدنيا والآخرة ليس من موجبات النصر على الأعداء، وهذا تأكيد على أهمية العمل الصالح لعاقبة الدنيا والآخرة، وهو أمر تكرر ذكره والتنبيه عليه في آيات كثيرة من الكتاب الكريم، أشرنا إلى بعض ما ذكره منها، وعندما كان السلف الصالح من المسلمين متنبهين لذلك محققين له بالقول والعمل والالتزام؛ كانت لهم العزة والغلبة، وبعد أن تجاهله الخلف وجهلوه، أو تركوه استثقالاً منهم للعمل، وتفضيلاً للراحة على التعب،

(١) سورة الحج: الآيات (٣٨-٤١).

فقدوا تلك الكرامة في أكثر أحوالهم، بل إن أعظم ما أصيب به الخلف من المسلمين: أنهم نسوا أهمية هذا الأمر؛ حتى أصبحوا يهتمون بنوافل العبادة أكثر من اهتمامهم بأصول المعاملات الإسلامية، حتى أصبح عندهم بعض من يظهرون الزهادة، ويقومون بنوافل العبادة من الصلاة والصيام أرفع منزلة في نفوسهم، من الذين لا يزيدون على الفرائض الدينية، ولكنهم ينفعون المسلمين بعملهم الذي هم فيه من صناعة يحكمونها، أو زراعة يقومون عليها، أو دفاع عن ثغر من ثغور المسلمين يكفلون بالدفاع عنه على قدر طاقتهم.

والحاصل أنه ينبغي التنبه إلى هذه النكتة البديعة في هذه الآيات المحكمات، وفي الآية الثانية منها يخبر تعالى أن الذين اعتدي عليهم جديرون بأن يهيئ الله لهم أسباب النصر، وأن يعينهم على أعدائهم إذا أخذوا بأسباب ذلك.

ثم نوه سبحانه بأهمية دفع الناس بعضهم ببعض، والناس هنا لفظ عام يشمل المؤمنين وغيرهم، وأنه لولا ذلك لحدثت مفاسد عظيمة، وهذه سنة من سنن الله في الكون الثابتة إلى يوم القيامة.

وهذه الآيات بمجموعها تبين أن النصر في الدنيا لمن نصر الله وأطاعه باتباع أوامره.

ومن ذلك إقامة الشعائر المفروضة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا أمر جامع لا يقتصر على أمور الدين فقط، بل يشمل الأمور الدنيوية التي يحتاج إليها انتظام شأن المسلمين في معايشهم، وهي كثيرة لا تحصر هنا؛ فيجب أن يكون ولي الأمر وكل مسلم بحسب منزلته، وعلى مقدار طاقته بالأمر بالمعروف فيها والنهي عما هو منكر ضار.

أما في الآخرة فقد نوه تعالى بأنها خالصة للذين لا يبغون في الدنيا علواً ولا فساداً، ثم ختمها بهذه الجملة البليغة العامة، وهي أن العاقبة للمتقين، فقال: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.(١)

وقد وعد سبحانه وعداً، ووعده هو الصادق بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ستكون له عاقبة التمكين في الأرض، فقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.(٢)

فبعد وصفهم بالإيمان وعمل الصالحات، أمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول، وأخبر بأن نصر المؤمنين على الكافرين لن يعجزه تعالى، لأن الذين كفروا لن يكونوا معجزين لمن قاومهم وحاول غلبهم، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾.(٣) فالنصر في الدنيا والآخرة للرسل وأتباعهم، ولكن الشأن في تحقيق الانصاف باتباع الرسل، والأخذ بكل ما يبتغيه ذلك من عمل، وما يفرضه من واجبات.

---

(١) سورة القصص: الآية (٨٣).

(٢) سورة النور: الآيات (٥٥-٥٧).

(٣) سورة غافر: الآية (٥١).

وعلى المؤمن الحق أن تطمئن نفسه إلى نصر الله إياه، إذا كان من أتباع الرسل حقاً؛ لاسيما أن: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾.[1]

فالذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، كثيراً ما يغفلون عن تلك الحقيقة الكونية التي لا تبديل لها، وهي نصر المؤمنين الذين يعملون الصالحات لدينهم، ولأمور معاشهم، ويأخذون بأسباب النصر، ولو تأملوا أحوال الرسل لعرفوا ذلك كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.[2]

❁ ❁ ❁

(١) سورة الروم: الآيات (٤-٧).

(٢) سورة الصافات: الآية (١٧٣).

هل يعود النصر للمسلمين

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾.[1]

جدير بمن يفكرون في كيفية إنهاض العرب من كبوتهم الحاضرة، فيحارون في الوسيلة إلى ذلك.

ويترددون بين الدعوة إلى القومية العربية، وبين التماس وسيلة أخرى غربية أو شرقية.

وإذا طلب منهم طالب أن يكون تفكيرهم في إنهاض العرب بما نهض به أجدادهم العرب الأولون، شككوه في ذلك، وقالوا:(أو قال بعضهم)، إن عنصر العرب كفيل بأن يتجدد في هذا الزمان بمثل ما عليه كان، أو بأكثر مما كان.

وكأنهم نسوا (أو تناسوا) أن الإسلام الذي تنهض به العرب لم يكن عنصرياً، ولم يكن قومياً، ولذلك لم يخاطب القرآن العرب بمفردهم فيه، كأن يقول يا أيها العرب، ولم يذكر جزاءاً حسناً لمن كان عربياً، ينتفي عن غيره إذا لم يكن كذلك.

وإنما شرف الله العرب بالإسلام فذكر أن الرسول ﷺ هو النبي العربي، وذكر القرآن الكريم بأنه بلسان عربي مبين، وهو تشريف كفل للعاملين منهم بالإسلام بحق وصدق مقامات من الفضل باقية ما بقي الدهر؛ بل إن

---

(١) سورة الفيل: الآيات (١-٥).

بعضهم أصبحوا نماذج إنسانية رائعة يحتذى ما كانت تتمتع به من خلق رفيع كل من أراد الخلق الرفيع، ولو كان من غير المؤمنين بالإسلام.

ولكنك إذا ذكرت ذلك ربما لا تستطيع إقناع المفتونين بالقومية، المخدوعين بالألفاظ الأجنبية.

فإذا كان الأمر كذلك فاقرأ عليهم هذه السورة (سورة الفيل) وأوضح لهم كيفية نزولها، وفصل لهم تفصيلاً قصة الفيل وما سبقها وما لحقها من أفاعيل:

قل لهم: إن بعض العرب العاربة كانوا قبيل مولد الرسول ﷺ محكومين من قبل الأحباش.

أولئك الأحباش الذين كان العرب في الجاهلية يحتقرونهم؛ بل ربما كان منهم أفراد يستبعدونهم، وكان حاكم اليمن من الحبشة في ذلك الوقت اسمه (أبرهة)، وقد تطاول أبرهة إلى أرفع من مقامه في حكم اليمن، فأراد أن يحكم الحجاز، أو أن يقضي على قداسته في نفوس العرب بأن يهدم الكعبة التي هي مصدر العز والفخر لعرب الحجاز.

فجهز جيشه، وقاد معه الفيل من اليمن حتى صار في المغمس قرب مكة.

ولما بلغ قريشاً ما فعل، وعرفوا أنه آت لتخريب الكعبة وإذلال سدنتها والقائمين عليها، تركوه وشأنه، وخلوا بينه وبين الكعبة، ولم ينسوا أن ينجوا بمواشيهم معهم، وقال كبيرهم في تبرير فعله: إن للبيت رباً يحميه.

ولكن الله رب العالمين، رب كل شيء، وهو الذي أعطى ابن آدم الفضل والتدبير، وأعطاه من ذلك أن يعرف أن القتال يدفع بالقتال، وأن ذلك العدد اللئيم الذي جاء لهدم البيت الحرام، وإذلاله وأهله، يجب أن يدافع ويقاتل كما يدافع كل عدو ويقاتل.

ولا شك أن كبير قريش يعرف ذلك، ولكنهم ليست عندهم إرادة للقتال دفاعاً عن البيت الحرام، لأن الغزاة أناس أقوياء في نظرهم، مع أنهم دخلاء غرباء في بلاد العرب، لو أن العرب كانوا على هدى في ذلك الوقت لما استطاعوا الوصول إلى المغمس فضلاً عن أن يخيل إليهم أنهم سيصلون إلى الكعبة.

ولو كان أهل مكة دافعوا عن البيت الحرام بما استطاعوا، ثم هزموا بعد بذلهم الجهد، واستفراغ الوسع في القتال لكانوا بلغوا عذراً.

ولكنهم خلوا بين البيت الحرام وغزاته حتى أرسل الله جنداً من جنده غيرهم على أبرهة الدخيل فهزم جيشه، وكر راجعاً على قدميه دون أن يصل إلى البيت الحرام، أو أن يناله بسوء.

ذلك هو تلخيص لقصة الفيل في منتهى الاختصار؛ لأن القصة ليست المقصودة بالذات، وإنما المقصود العبرة والعظة منها، ولعل في نزول هذه السورة (سورة الفيل) من الحكم شيئاً مما سنذكره.

كان عام الفيل هو عام مولد رسول الله ﷺ.

وبعد أربعين سنة من ذلك أنزل الله عليه الرسالة، ثم أكمل به الدين، وختم به النبيين، فتغير بذلك من أمر العرب بخاصة، ومن أمر الإنسانية بعامة ما تغير.

فلننظر بعد مضي ثمانين سنة من عام الفيل على وجه التقريب إلى العرب، ولنر ماذا كان من أمرهم.

إننا نرى أولئك القوم الذين خضعوا للأحباش في عقر دارهم في اليمن، وأولئك القوم منهم الذين خلوا بين أبرهة وبين البيت الحرام، وفروا إلى رؤوس الجبال أمام زحفه.

نراهم وقد نفخت فيهم روح جديدة جعلتهم ينطلقون إلى معاقل كسرى في العراق، وما وراء العراق، وإلى حصون قيصر في الشام وما بعد الشام، يدكون تلك القلاع ويفتحون تلك الحصون، بين عجب العالم في ذلك الزمن؛ بل استغرابه ودهشته.

ربما لا يستطيع الواحد منا في هذا العصر أن يتصور غرابة هذا الأمر بالنسبة إلى العالم القديم إلا إذا ضربنا له مثلاً من حاضره مألوف فلنفعل ذلك.

إن أعظم دولتين في العالم من ناحية القوة المادية في هذا الزمن هما: الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، أرأيت لو أن إحدى الدول الفقيرة (ولنفترض أنها اليمن- في هذا الأمر سيان شمال اليمن وجنوبه،أو كلاهما معاً) حدثتها نفسها بغزو الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية، والتغلب عليهما مجتمعتين، بل وإخضاع سكانهما للدين الذي تدين به تلك الدولة الفقيرة، إلا من رضي منهم بأن يبقى على دينه ويدفع الجزية للمسلمين.

إن دولتي الأكاسرة والقياصرة في ذلك الزمان هما مثل دولتي روسيا وأمريكا في هذا الزمان: أقوى القوى المادية الدولية.

مع ذلك فقد تغلب العرب المسلمون عليهما، وهزموهما، وفتحوا بلادهما حتى دخل سكان تلك البلاد في دين الله أفواجاً، وحتى صار ما هو أبعد من تلك البلاد دار إسلام يذكر فيها اسم الله، ويتلى فيها القرآن، وانتشرت اللغة العربية في أصقاع المعمورة إلى أماكن لم يسمع العرب في جاهليتهم بها حتى بالذكر.

ونكاد ننسى الأحباش، وأين كان مقدار قوتهم من تلـك القـوة الإيمانيـة التي دكت عروش الأكاسرة والقياصرة، إنها - بلا شك - لا تعد شيئاً.

كما نكاد ننسى ما قلناه في أول الكلام عن القومية، وما هو شبيه بالقومية، ولكننا نتساءل: هل تغيرت قومية العرب في ظرف تلك السنين؟

أتبدل عنصرهم في أقل من قرن من الزمان؟

أكانوا عام الفيل من عنصر غير العنصر الذي كانوا منه بعـد مضي ثمانـين من عام الفيل؟

الجواب: لا. وألف لا. إذاً ما الذي غيرهم؟ ونقلهم من حال إلى حال؟

إنه-بلا شك- دين الله الذي أنزل على رسوله ﷺ.

إنه الإسلام الذي شرف الله بـه العـرب، وأعـز بـه مـن آمـن بـه وعمـل بمقتضاه: أعز به من ذلة، وأغنى به من قلة، وآمن به من خوف، فهمه العرب المسلمون الأوائل فالتزموا به: قـولاً، وفعـلاً، وجهـاداً، ودسـتوراً للحيـاة، فكانت لهم العزة، والرفعة والغلبـة، وكـان لهـم الـنصر والتمكـين، والـذكر الخالد إلى يوم الدين، ولن يعز العرب، ويأمنوا ويرتفعوا إلا به.

وتسألني: أهم الآن على دين غير دين الإسلام؟

وأجيبك بأن بعضهم بما يفعل على دين غير دين الإسلام، يجاهرون بذلك ولا يستخفون، ويقولون: إنهم على مذهب القومية أو الشيوعية أو غيرها ممـا يدعون.

وأكثرهم يقولون لك: إنهم على دين الإسـلام مـا يزالـون، وإنهـم عليـه باقون، وبه مستمسكون.

ولكن القول شيء، والفعل شيء آخر، بل إن القول الذي يناقض الفعل يجلب الإثم العظيم كما قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾.[1]

فإذا قال قائل: إنه مسلم، ولكنه لا يحقق الإسلام في أفعاله ولا تصرفاته، ولا يحكمه فيما يأخذ به وما يذره، ولا يزن أعماله بميزان الإسلام الصحيح؛ فإن قوله ذلك لن يكفل له ما كفله الإسلام للسلف الصالح من الصدر الأول ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ ﴾ وآمنوا وعملوا الصالحات.

بل إن ذلك الذي يدعي الإسلام دعوى مجردة من الفعل، إنما يضيف جريرة أخرى بافترائه على الله، وبإيهام من لا بصيرة لديه في أمور الزمن بأن ما عليه ذلك المدعي إنما هو الإسلام، فيصده ذلك عن أن يبتغي الإسلام ديناً، أو يتخذه عقيدة؛ لأن كثيراً من الناس الحائرين في أنحاء العالم يودون أن يجدوا ديناً كالدين الإسلامي، دين الفطرة والسماحة والنقاء والبساطة والعدل، والإنصاف، إلا أنهم عندما يرون حالة كثير من المنتسبين إلى الإسلام يعتقدون جهلاً أن ما هم عليه هو الإسلام، وأنهم إذا أسلموا فإنهم سيكونون مثلهم، وهو أمر لا يرضونه ولا يريدونه.

فعلى المسلم الذي يلتمس وسيلة لإنهاض العرب من كبوتهم، وانتشال المسلمين من المذلة التي هم فيها الآن بالنسبة إلى دول العالم أن يعلم أن الإسلام الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمدﷺ كفيل بذلك، بشرط أن يأخذ به المسلمون المتأخرون، كما أخذ به السلف الصالحون، وأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

---

(١) سورة: الصف، الآية: (٣).

وأنه إذا تيقن ذلك، واطمأن إليه هدأت هواجس نفسه، وتبـددت غيـوم حيرته، وبالتالي انشرح صدره لمستقبل الإسلام واطمأنت نفسه.

وبالله المستعان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد بن ناصر العبودي

۞ الدعاة إلى الله شرف مهمتهم وطرق دعمهم[1]

بقلم: محمد بن ناصر العبودي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾.[2] فهو أمر إلهي للرسول ﷺ، والمعروف عند علماء الأصول أن الرسول ﷺ هو أسوة أمته، بمعنى أن أي أمر موجه إليه ﷺ فإنه موجه إلى أمته عليه الصلاة والسلام، مالم يدل دليل على اختصاصه به، فلو فرضنا في غير القرآن قيل ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ فقط لكان هذا خطاباً موجهاً للمخاطب ولكن الرسول ﷺ أسوة أمته، فإذاً يكون الخطاب موجهاً أيضاً إلى أمته ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يوضح هذه توضيحاً إضافياً فقال في هذه الآية: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾،[3] وفي الآية الأخرى قال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾.[4] وجاء فيها الضمير (أنا) زيادة في التوكيد، والله سبحانه وتعالى

---

(١) محاضرة ألقيت ضمن برنامج المحاضرات التوجيهية لموظفي رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة لعام ١٤١٩هـ.

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٥.

(٤) سورة يوسف: الآية (١٠٨)

يؤكد على المعاني التي يريدها من كلامه، وبعض المعاني لا يصل الناس إلى معرفتها إلا بعد أزمان طويلة بسبب الاكتشافات الحديثة والآيات التي اتضحت للناس في الزمن الأخير كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾،(١) وهذا من الذي لم يفهم بعض المسلمين الأوائل معناه من القرآن والسنة إلى الآن؛ أي أن الناس طيلة (١٤) قرناً لا يتصورون بعض تلك المعاني.

وليس المقصود من ذلك مبادئ الإسلام في التوحيد والعبادة وأركان الإسلام وفرائضه والأحكام الكلية أحكام الإسلام والإيمان والبعث والنشور؛ وإنما بعض المعاني المتعلقة بالتفكير بخلق الله تعالى وبالكون، وتعلمون أن بعض دارسي الكتب السماوية قالوا: إنه لا يوجد كتاب سماوي تكلم عن الكون وأمر الناس بالتدبر والتفكر فيه إلا القرآن.

فلا يوجد هذا في الإنجيل ولا في التوراة ولا في الزبور الذي يسمونه الآن مزامير داود (وقد طبع ورأيته) فلا يوجد فيها مثل هذا الأمر بالتبصر في خلق الله وفي الكون في السماوات والأرض، والتحدث عن مخلوقاته العظيمة كالنجوم والكواكب والشهب، والتفصيل عن البعث والنشور.

نعم إنه يوجد فيه الكليات في التوحيد وفي التوراة أكثر من الإنجيل لكن فيما يتعلق بالكون العظيم وخلق السماوات والأرض لا يوجد الحديث عن ذلك تفصيلاً كما هو موجود في القرآن الكريم؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾،(٢) فكل مسلم

(١) سورة فصلت: الآية (٥٣).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

سبيله أن يدعو إلى الله على بصيرة؛ فيجب عليه ذلك؛ لكن الآية الكريمة الأخرى هي التي تحكم هذا الإطلاق، إذاً قد يقول قائل: أنا ليست عندي أداة الدعوة، ليست عندي بلاغة أستطيع أن أوصل المعاني إلى أذهان الناس بها، أو يقول: ليست عندي معرفة بشؤون الدعوة أستطيع أن أفيد بها الناس، أو يقول: ليست عندي قدرة مالية أو جسدية بحيث أستطيع أن أسافر وأدعو إلى الله، فهذا تحكمه الآية الأخرى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾،(١) فأنت عليك أن تدعو إلى الله، وواجب عليك ذلك؛ لأن الله خاطب رسوله ﷺ بذلك، ولكن كل مسلم يدعو بقدر طاقته ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾. وإذا كان الرجل منا لا يستطيع أن يدعو إلى الله بسبب بعض الموانع؛ فإنه يستطيع أن يقدم شيئاً آخر، فإذا كان ذا مال وليس عنده بيان ولا معرفة؛ فيمكنه أن يتبرع ببعض ماله للدعاة ويعتبر مثل هذا داعياً إلى الله. لماذا؟.

لأن الرسول ﷺ يقول في الحديث الصحيح: ((من جهز غازياً فقد غزا)) أي فهو في حكم من غزا وإلا فهو في بيته وبين أهله، لكنه جهز هذا الغازي في سبيل الله؛ فالرسول ﷺ يقصد أن هذا له أجر من غزا في سبيل الله.

فالقرآن الكريم بيّن الله - سبحانه وتعالى - فيه أصول الدين وأحكامه، والدعوة والتفكر في آيات الله، وكيفية المعاملات أكثر مما ذكر أركان الإسلام من العبادات، وليس معنى ذلك أنها ناقصة، ولكننا لو أحصينا الآيات التي تذكر آلاء الله سبحانه وتعالى ونعمه على العباد وتأمر بعبادة الله وحده لا شريك له بما في ذلك قصص الأنبياء وغيرهم والرد على الكفار والملحدين ثم

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٦).

قارناها بالآيات التي ذكر الله فيها الصلاة والزكاة أو الحج والصيام وجدنا أن الأولى أكثر بكثير، لماذا؟.

لأن الإسلام هو الدين الإلهي الذي يخاطب الإنسان لكي يخلص لله العبادة بأن يربط قلبه وعقله بالله تعالى ويعتمد عليه ويركن إليه، وهذا فيه سعادة الدارين ليس الدار الآخرة فقط وإنما حتى الدار الدنيا.

وفي ذهني شاهد الآن ولا أدري هل يتسع الوقت لذكره؛ وهو أن منظمة الصحة العالمية أعلنت قبل نحو عشرين سنة أن أكثر نسبة من الانتحار في العالم موجودة في الدول الإسكندنافية، والانتحار هو أن يقتل الإنسان نفسه، فكيف تكون هذه النسبة العظيمة أكثر من نسبة الانتحار في البلدان المختلفة؛ مثل بعض بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وإنما تكون في الدنمارك والسويد والنرويج وفلندا مع أن أهل هذه البلاد يتمتعون بمزايا اجتماعية، ومن ذلك ضمان اجتماعي لا مثيل له في العالم، حتى إن الذي لديه قطة يستطيع أن يطالب الحكومة بطعام لها إذا كان راتبه لا يتسع لذلك وهذا واقع.

أما إذا قال إن لديه كلباً وراتبه قليل ولا يستطيع أن يطعم منه الكلب؛ فإنهم يزيدونه في الراتب أو يؤمنون له طعاماً للكلب.

فلديهم من النظام الاجتماعي ما لا يوجد عند غيرهم، وهناك أشياء إباحية عندهم مثل الزنى، وأنواع الفجور موجودة، وليس عليها حجاب، ولا يستنكرها الناس، وهذه من شهوات بني آدم.

ثم عندهم الخمر ففي أوربا الذي يسكر في الشارع يعتبر هذا مخالفة للقانون، فتأخذه الشرطة وتفرض عليه غرامة، لكن هناك في بعض الدول الاسكندنافية لا يفرضون عليه شيئاً ولو سكر في الشارع مما يدل على أنهم أباحوا لشعوبهم جميع أنواع الملذات الجسدية الحيوانية الموجودة لدى الإنسان ومع ذلك نجد نسبة الانتحار فيهم أكثر من غيرهم.

فالحكومة السويدية هي أول من تنبه لهذا؛ فدرسوا هذا الأمر وكونوا لذلك لجاناً لأنهم يبحثون عن علاج لكثرة الانتحار، فهذه اللجان درست الموضوع وبعد فترة طويلة وبالتفصيل قالوا: وجدنا أن المتدينين لا ينتحرون وإنما ينتحر من ليس عنده دين في ظل الإباحية والشهوات؛ لذا قررت الحكومة السويدية من أجل مصلحة شعبها أن تفرض ضريبة معينة على بعض الدخول تدفع هذه الضريبة إلى الذين يعملون على نشر الدين أي إلى الجمعيات الدينية حتى تشجعهم على أن يدعوا الناس إلى الدين وأن يدخلوا الناس في الدين؛ لأنه يجلب لهم السعادة، والسعيد لا يقتل نفسه، وقاتل نفسه هو الشخص الشقي. لماذا؟.

لأن في الغريزة التي خلقها الله أن الحيوان لا يقتل نفسه؛ فالحمار الذي يعد من أغبى الحيوانات إذا حفر الإنسان حفرة وأراد أن يرمي الحمار فيها يمتنع الحمار لا يمكن للحمار أن ينتحر، وهو أغبى الحيوانات فكيف بغيره؟ ومع ذلك هؤلاء يقتلون أنفسهم ولديهم عقول تميزهم عن عقول الحيوانات.

والسبب في ذلك الشقاء الروحي الذي يجدونه فيصلون إلى درجة من الشقاء الروحي تجعلهم يعتقدون أن الموت أسهل من العيش مع هذا الشقاء الذي هم فيه ومع وجود هذه المغريات المادية من الشهوات والخمور والنساء... الخ.

لذلك قررت الحكومة السويدية أن تدفع إعانات للجمعيات الدينية، فبدأوا بالجمعيات النصرانية، ثم صاروا حالياً يدفعون معونات للجمعيات الإسلامية.

وفي النرويج وقفت أيضاً على ذلك عند الجمعيات الإسلامية، وأخبرني أهلها بأن الحكومة تدفع لهم مالاً من أجل الدعوة إلى الدين الإسلامي، وهذا من لطف صنع الله سبحانه وتعالى للمسلمين.

إذاً المتدين هو شخص منَّ الله سبحانه وتعالى عليه بنعمة عظيمة لا يعادلها شيء لعظمتها، والرجل الذي يدعو الآخرين إلى أن يصبحوا متدينين هو رجل أسدى إليهم معروفاً لا تمكن مقابلته بمقابل مادي؛ لأنه مهما عمل الإنسان من ناحية المادة لا يمكن أن تأتي له بسعادة نفسية مستقرة، وإنما يمكن أن تأتي له بنشوة مؤقتة كنشوة الخمر، لكن بعد ذلك تضمحل أو تنقلب إلى شقاء. أما الشخص الذي أعطاه الله الإيمان فإن الإيمان يكون معه أينما كان حتى في الشدائد، كما يروي عن بعض الصالحين أنه قال: ماذا يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، يعني: أنه يتلو كتاب الله سبحانه وتعالى، أو يناجي ربه؛ فهذا هو الجنة والنعيم.

وقال رجل آخر من العباد: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من نعمة الإيمان لجالدونا عليها بالسيوف.

وذلك لأنهم أسعد منهم، والمقصود أن يعمل المرء عملاً يجلب إلى نفسه السعادة؛ حتى الرجل المادي الذي يغتصب حقوق الناس يزعم أنه يقوم بذلك ليسعد بما يكتسبه منهم؛ فهذا لا يسعده بل يشقيه شقاء قد يلازمه طول حياته ولا يسعده إلا الإيمان.

أيها الإخوة الكرام من العاملين في رابطة العالم الإسلامي، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾،[1]

---

(١) سورة فصلت: الآية (٣٣).

الدعوة إلى الله مقرونة بالعمل الصالح مثلما قرنت في الآية الأخرى الدعوة إلى الله على بصيرة.

لماذا؟ لأن الرجل إذا كان يدعو إلى الله ولا يعمل بما يدعو إليه لم يقبل الناس منه دعوته، بل ربما كان هذا سبباً من أسباب الصد عن الدين؛ إذ قد يقولون: لو كان ما يدعو إليه هذا الشخص صحيحاً لظهر ذلك في عمله أو لبدأ بنفسه.

وتكون الدعوة وفقاً لما جاء في الآية الكريمة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾،(١) والآيات في الحث على الدعوة كثيرة وربما لا تخفى على بعضكم، ولكننا نريد أن نذكر عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.(٢)

الدين الإسلامي هو دين دعوة ليس انعزالاً ورهبانية؛ فالرسول ﷺ أمره الله بالدعوة كما نعلم في عدة آيات، وأمر بالدعوة على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة، وقال الرسول ﷺ: « لا رهبانية في الإسلام » لماذا؟ لأن الرهبانية نوع من أنواع الانعزالية والهروب من الحياة؛ فالذي يترهب يريد أن يسعد نفسه فيما يزعم ولا يهمه سواء أسعد الناس أم شقوا؛ فهذا معناه أنه رجل أناني.

لكن المسلم يدعو إلى الله وينفع المسلمين وغير المسلمين بدعوته، ولذلك قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على آذاهم ».

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

فالإسلام دين دعوة والدعوة ذات وجوه كثيرة، وينبغي أن نعلم ما فعله الصحابة والمجاهدون في سبيل الله الذين فتح الله بهم القلوب؛ ففي أول الأمر هو جهاد في سبيل الله؛ فهو قتال للطاغين الذين يريدون أن يصدوا المسلمين عن الدعوة، ولكنه فتح قلوب؛ فلو كان فتح حروب لانتهى بانتهاء الحرب ورجع الناس إلى ما كانوا عليه قبله. ولذلك نجد أن الإسلام موجود في أكثر البلدان بل كل البلدان التي فتحها الإسلام إلا ما فرط المسلمون فيه بأمر الله فعصوا أمر الله، وعصيان أمر الله هو ألاّ يعملوا بما يأمرهم الله به فإذا ضيعوا أمر الله ولم يعملوا بما يأمرهم به ما الفرق بينهم وبين غيرهم من غير المسلمين، لا فرق بينهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾.(١)

فإذا افترضنا أن العرب أو غير العرب من الأقوام المسلمة تخلو عن أمر الله وضيعوا دينهم الإسلامي فإن الله سبحانه وتعالى حافظ دينه، وهذا الدين مستمر لأن الرسول ﷺ يقول في حديث ثوبان في صحيح مسلم: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى » ويروى: « حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك».

فالمنة لله سبحانه وتعالى على المسلمين وغيرهم الذين يهديهم الله ويصبحوا مسلمين، يقول الله سبحانه وتعالى في بعض الأعراب الذين امتنوا على الرسول ﷺ بأنهم أسلموا: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.(٢)

---

(١) سورة محمد: الآية (٣٨).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٧).

فالمنة لله تعالى على عباده، وليس لعباده عليه؛ لأن المسلم إذا عرف ربه صار كما قال بعض السلف: (من عرف الله هانت مصيبته)، حتى المصائب تأتي إليه فتهون، لأنه إذا أصابه خير حمد الله وعلم أنه من الله، وإذا أصابه غير ذلك حمد الله وعلم أن هذا مقدر عليه فطابت نفسه وعلم أن ما أصابه لم يكن يخطئه. أما غير المؤمن فإنه يصبر كما تصبر البهائم، والمصائب تصيب المؤمن وغيره، فهذه سنة الله في خلقه؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾،(١) فالإنسان سواء أكان مسلماً أم غير مسلم في كبد؛ فهذه من طبيعة الإنسان التي خلقها الله؛ لكن المسلم المؤمن المتمسك يستعين بإيمانه على مواجهة مصاعب الحياة.

أما الدعاة إلى الله فنقول: يكفيهم شرفاً أنهم يعتبرون خلفاء للأنبياء والمرسلين، وهذه كلمة (خلفاء) ليست من عندي وإنما رأيت المسلمين في الصين والمناطق الشرقية يسمون طلبة العلم الخلفاء؛ إنني رأيت ذلك في مدينة (خوخاخوت) عاصمة منغوليا الداخلية التابعة للصين.

ورأيت طلبة العلم مميزين وعليهم عمائم بيض، فقالوا: هؤلاء الخلفاء، وقالوا، نحن نسمي طلبة العلم الخلفاء.

تأملت هذه التسمية فإذا لها وجه لأن دعوة الدعاة هي دعوة الأنبياء والرسل؛ فهم اقتدوا بالأنبياء والرسل، وليس معنى ذلك أن لهم منزلة الأنبياء والرسل؛ لكنهم امتثلوا أمر الله في الدعوة إلى الله التي قال الله سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله ﷺ بشأنها: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾.(٢)

---

(١) سورة البلد: الآية (٤).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

فهم اتبعوا أمر الله ودعوا إلى الله، فوظيفة الأنبياء والرسل هي تعليم الناس الخير، والدعاة يعلمون الناس الخير فهذا يكفيهم شرفاً عظيماً.

لكن ينبغي لنا أن نلاحظ أن أسلوب الدعوة له شروط، وللدعوة ظروف يمكن أن تلخص بعبارة (مرحلية الدعوة).

فمرحلية الدعوة ليست نظرية بل نأخذها من سيرة المصطفى ﷺ فالله سبحانه وتعالى عندما بعث رسوله ﷺ ظل الرسول سنوات وهو يدعو إلى التوحيد فقط ولم تفرض الفرائض ولم تحد الحدود؛ وإنما كان يدعو للتوحيد وعبادة الله وحده ويحارب الشرك، وبعد ذلك فرضت بقية أركان الإسلام، وحتى الخمر كما نعلم لم تحرم دفعة واحدة بل حرمت على قول أكثر العلماء بالتدريج أولها بصيغة النهي الإخباري: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾.[1]

ثم لنا أسوة بفعل رسول الله ﷺ في مرحلية الدعوة، وأنه في وقت من الأوقات كان يعطى المؤلفة قلوبهم وهم من زعماء العرب وأغنيائهم وليسوا بفقراء فيعطيهم من بيت مال المسلمين ولا يعطى فقراء المسلمين الذين هم أكثر حاجة من أولئك إلى المال وهم من السابقين الأولين؛ إنما هؤلاء يكلهم إلى إيمانهم، وهذا من مرحلية الدعوة وقد أقرها الإسلام إلى يوم القيامة، وليست منقطعة؛ فجعل للمؤلفة قلوبهم مصرفاً من مصاريف الزكاة الثمانية تدفع إلى المؤلفة قلوبهم، فهذا يدل على مرحلية الدعوة.

وأذكر أن أحد علمائنا وهو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - عندما زرت (مدغشقر) في عام ١٣٩٨هـ أي منذ ٢١ سنة حدثته عما رأيته

---

(١) سورة المائدة: الآية (٩٠).

من قلة الدين فيها وكثرة المنكرات وتعجب مما رأيت؛ فقال: هؤلاء يحتاجون إلى من يدعوهم بالتدرج؛ فلا يبدؤهم بتحريم الخمر ونحوها لأنهم منهمكون فيها من أول الأمر؛ وإنما يدعوهم إلى أصل الإسلام، فإذا أسلموا فلا شك أن إسلامهم سينهاهم عن ذلك.

وهذا صحيح نجد بعض الناس من الذين أسرفوا على أنفسهم إذا ذكرته بالله وبينت له مزايا الإيمان به، والعواقب السيئة للإقامة على المعصية فقد يوافقك ويدخل هذا في ذهنه، ولكن إذا أتيته مباشرة بذكر أعماله غير الطيبة قد يكابر ويمتنع حتى عن الإصغاء إليك.

فمرحلية الدعوة أن الداعي لا بد أن ينظر إلى حالة المدعو، وأذكر أنه في (يوغندا) وأنا من أوائل من ذهب إلى هناك قبل ٣٥ سنة وجدت إقبالاً من بعض الناس هناك للدخول في الإسلام؛ لكن حدثونا حديثاً عجيباً قالوا: كانت (بوغندا) بالباء الموحدة وهي منطقة داخل يوغندا بالياء المثناة في أوله، ولكنها أرقى من بقية البلاد في القديم، كان لها ملك يسمى الكاباكا، وكان أهلها متحضرين، وعندما قدم الإنجليز وعقدوا حماية مع بوغندا وضموا البقية من يوغندا على أنها مستعمرة على اعتبار أنها لا يوجد فيها حكام قبلهم أي قبل مجيء المستعمرين، وذكروا أنه قبل ٣٠ أو ٤٠ سنة من وصول الإنكليز عندما دخل الإسلام لأول مرة إلى بوغندا، وقد دخل عن طريق دعاة من زنجبار وهي كما نعلم جزيرة في بحر الزنج (المحيط الهندي في شرق إفريقيا) فوصل إليهم الدعاة ودعوا إلى الله بعض الناس فأسلم عدد قليل من الناس لكن توصلوا إلى أن يتصلوا بالملك وهو (الكاباكا) ليشرحوا له محاسن الإسلام؛ فرأى منهم حسن معاملتهم للناس، وأراد أن يدخل في الإسلام فقالوا له: أيها الملك إن من يسلم لا بد له من أن يختتن، وأنت لا بد

أن تختتن في البداية، وكانت لديهم تقاليدهم في منطقة بوغندا أن دم الملك لا ينبغي أن يسقط على الأرض فإذا سفك دم الملك خربت المملكة في اعتقادهم فقال لهم: لا.

وبقي هو ومن معه لم يسلموا بسبب هذا الرأي غير الصائب من داعية من الدعاة عندما قال للملك: لا بد أن تختتن، مع أن الاختتان ليس شرطاً للدخول في الإسلام؛ وإنما الإختتان سنة من سنن المرسلين.

وقد رأيت بنفسي في أماكن متفرقة من العالم أن هناك أناساً كباراً في السن دخلوا في الإسلام وختنوا حديثاً، ولدى بعض الجمعيات الإسلامية في الهند مثلاً جمعية إسلامية في كيرالا في الهند فيها غرف مخصوصة لهذا الغرض؛ فهناك حبال فيها تتدلى من السقف؛ فالمختون ينام على سريره وهذا الحبل المتدلي يربط به أعلى ثوبه لئلا يمس ثوبه مكان الختان؛ فهي مخصوصة بمن يختتنون من المسلمين الجدد الكبار في السن؛ ولكن ليس شرطاً للإسلام بأن تقول له إما تختتن أو لا تسلم.

وأضرب مثلاً برئيس الجمعية الإسلامية في جزيرة (مارتينيك) واسمه محمد انجلوين، وهي جزيرة في البحر الكاريبي كانت مستعمرة فرنسية، وفي زمن الجنرال ديقول عندما أعطى سكان المستعمرات حرية الاستقلال خير أهل المستعمرات بين الاستقلال وبين الانضمام إلى الاتحاد الفرنسي؛ فبعض المستعمرات انضمت إلى فرنسا، ومن بينها هذه المستعمرة التي أصبحت أرضاً فرنسية إلى الآن.

ومحمد هذا أصله إفريقي لأن سكان هذه البلاد من أصل أفريقي من الذين جلب آباؤهم من أجل العمل في مزارع السكر، والبلاد تنتج السكر، وهذا الرجل مسيحي ولكنه أسلم، وحدثني عن سبب إسلامه فقال: عندما

سمعت المؤذن في أذان الفجر وأنا في الجزيرة ملتحق بالجيش الفرنسي وقتها، وحالياً تقاعدت؛ قال: عندما سمعت المؤذن تعجبت ودخل في قلبي هذا الصوت خاصة في آخر الليل والناس نيام، صوت لا يمنعه الليل ولا محبة النوم؛ فيقوم المؤذن ويدعو إلى الله في هذا الوقت المبكر، وهذا هو السبب الذي جعلني أفكر في الإسلام، وبالفعل أسلمت، لكن العجيب أنني وبعد خمس سنوات ذهبت إلى المستشفى في المارتينيك وقلت: أريد أن أختتن، وكان عمري وقتها ٣٥ سنة فقالوا: لماذا؟ فقلت: إنني أسلمت.

فقالوا لا نعمل عملية إلا بسبب، قال: فوكلت محامياً ودفعت مصاريف حتى استطاع أن يلزم المستشفى بالقيام بالختان لي.

وقد قرأت قبل سنوات في موضوع الأذان عن ابن سيناء قرأت أنه كان لابن سيناء تلميذ يحبه كثيراً ويمتثل لما يأمر به، وكان يكتب له ما يمليه عليه، وكان الوقت شتاء في بلاد ماوراء النهر، وبلاده هي أوزبكستان، وهي شديدة البرد في الشتاء، وبينما كان ابن سيناء يكتب هو وتلميذه في نهاية الليل احتاج ابن سيناء إلى ماء ليشرب فقال لتلميذه: يا فلان أحضر لي ماء فأنا عطشان، وكانت الجرة التي فيها الماء ليست قريبة منهما فثقل على التلميذ إحضار الماء لشدة البرودة خارج الغرفة فكرر عليه ابن سيناء مرات عديدة طالباً منه إحضار ماءٍ له ليشرب.

ثم قال التلميذ - وهو ملحد وابن سيناء يملي عليه من كلامه ليكتبه -: يا سيدي كلامك هذا عجيب؛ فلو أنك عملت للناس شيئاً مثل القرآن أو مثل غيره؛ فإنك تأتي بشيء عجيب قد يأخذ به الناس ويتركون ما جاء به محمد.

فسكت ابن سيناء وبعد قليل أذن المؤذن لصلاة الفجر (الله أكبر الله أكبر) بعد أن صعد المؤذن المنارة؛ فلما سمع ابن سيناء المؤذن قال لتلميذه: يا فلان،

قال: نعم، قال: هل سمعت المؤذن؟ قال: نعم، فقال ابن سيناء: ما الذي حمل المؤذن على أن يخرج من مكانه من منامه الدافيء وقد يكون عنده زوجة يحبها ويتركها في هذه اللحظة ثم يصعد إلى هذه المنارة العالية بعد أن يتوضأ بالماء البارد ثم يقول الله أكبر؟.

فسكت التلميذ.

فقال ابن سيناء للتلميذ: إذا كان الرجل أطاع محمداً ومحمد قد مات قبل مئات السنين وهو مدفون في المدينة في جزيرة العرب ومع ذلك فالمسلمون أطاعوه وحملت طاعته المؤذن على أن يتجشم البرد والعناء في آخر هذا الليل فيتوضأ ويصعد المنارة ليؤذن؛ وأنت تلميذي وتحبني وتعجب بي ومع ذلك لم تستطع أن تأتيني بكأس ماء بسبب الخوف من البرد، كيف تظن أن الناس يتبعون قولي ويتركون قول محمد؟.

وقصة ثانية: حدثني الشيخ عمر عبد الخبير من كبار المسلمين في كيب تاون بجنوب أفريقيا قال: في جنوب أفريقيا وفي زمن الحكم العنصري كانت هناك اضطرابات؛ فكانت هناك دوريات من الشرطة بالليل وفيها ضابط كبير من الشرطة، فقال للشيخ عمر: والله ما رأيت شيئاً يدخل على قلبي السرور والاطمئنان مثل أذان الفجر، وهو مسيحي، قال الشيخ عمر: فقلت له: لماذا؟. فقال: إنني أكون في كرب لا أدري هل أصادف أحد المجرمين يقتلني برصاصة وأنا خائف بالليل؛ فإذا سمعت الأذان عرفت أن النور قد انبلج وأن الصبح قد جاء؛ فجلب الأذان لي الأمن والطمأنينة؛ فالأذان له فضل كبير على هذا الضابط وغيره من غير المسلمين؛ فلا شك أن لله سبحانه وتعالى حكماً في التشريع الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ فلا توجد مصادفة في فعل الباريء عزوجل وإنما تلك لحكم أرادها الله سبحانه وتعالى.

أما ميدان العمل بالنسبة للدعاة فإن كل الكون الذي يصل إليه الإنسان هو ميدان للعمل الدعوي لله سبحانه وتعالى لماذا؟ لأن الأرض هي أرض الله والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾.[1] فأي مكان في العالم هو مكان للدعوة إلى الله.

في الأزمنة القديمة كان العالم يقسم إلى قسمين: قسم يمكن للمسلم أن يدعو الناس إلى الله فيه وهو بلاد المسلمين، وقسم لا يستطيع أن يدعو أو لا يظن أن للدعوة نتيجة فيه وهو بلاد غير المسلمين أي ذلك القسم من الأرض الذي لا يوجد فيه إسلام.

والآن تغير الوضع تماماً فلا توجد دولة في العالم ولو صغيرة إلا وفيها مسلمون؛ لكن أولئك المسلمون يختلف عددهم كثرة وقلة ويختلف عملهم الإسلامي قوة وضعفاً، ولكن لا يوجد مكان إلا وفيه مسلمون.

لأن الإسلام دين عالمي وليس دين عنصرية ولا دين إقليمية محلية؛ وإنما هو دين الله أرسل الله رسوله ﷺ به إلى جميع البشر، وإمكانية الدعوة إلى الله موجودة في كل مكان في الدنيا وإن كانت تختلف صورها حسب وضع كل بلد.

بقي علينا شيء يتعلق بالدعوة والدعاة، وهو: هل واقع الدعوة إلى الله تعالى في هذا الوقت على الوجه المطلوب، أم لا؟ بمعنى هل الدعاة من حيث الكثرة والمقدار على الوجه المطلوب؟.

طبعاً لا شك وبدون مواربة أن نقول: لا، لأن بلاد الله واسعة والدعاة عددهم محدود؛ ولكننا نقول: لا، إذا أردنا بالدعاة الموظفين في الدعوة، أما

---

(١) سورة البقرة: الآية (١١٥).

إذا أردنا بالدعاة الذين يقومون بالدعوة متبرعين أو غير معروفين فلا نستطيع أن نقول إنهم قليل لأنهم كثير ولله الحمد.

لقد رأيت بنفسي أعداداً من المثقفين في أمريكا الجنوبية واستراليا أسلموا بغير جهود الدعاة الرسميين؛ وإنما بدعوة أخرى وهي هداية عجيبة؛ من ذلك شخص محام في (ليما) عاصمة (بيرو) عندما ذهبت قبل سنة إلى أمريكا الجنوبية ووصلت إلى بيرو، وجدت المركز الإسلامي هناك كبيراً تبرع به أحد الإخوان المسلمين من أصل فلسطين، وتقدر قيمة المركز بأكثر من مليون دولار، وسجله رسمياً وقفاً للجمعية الإسلامية.

وفي المركز مسجد تقام فيه الصلوات الخمس، فكنا نذهب للمسجد قبل المغرب؛ لأنه ليس هناك مجال للتجوال في خارج المدينة أو ضواحيها فنصلي المغرب مع المسلمين ونبقى في المركز الإسلامي حتى نصلّي العشاء وننصرف.

قال لي أحد الإخوة الذين أسلموا حديثاً: لقد أسلمت بفضل الله، ولم يدعني أ ي شخص للإسلام فقلت له: كيف؟.

قال: نشأت في مدرسة ابتدائية كاثوليكية (لأن المذهب الكاثوليكي هو المذهب الأكثر هناك؛ لأنهم أخذوا النصرانية عن الأسبان وهم كاثوليك) فقد تخرجت من المدرسة الابتدائية قال: ولم أكن أهتم بأشياء كثيرة مما درسته لصغر سني؛ فأدخلني والداي في مدرسة ثانوية كاثوليكية أيضاً وتلك المدارس المسيحية كانت من قديم الزمان تجمع بين البرنامج المدني والديني، ولكن الدراسة النصرانية مكثفة، وينفقون على هذه المدارس نفقات طائلة.

فالشخص الذي يتخرج من هذه المدارس يستطيع مواصلة دراسته الجامعية ويتخرج بعد ذلك طبيباً أو مهندساً أو نحو ذلك (ليست كما في

المدارس الدينية التي لا تؤهل الإنسان للدراسة في الجامعات الأدبية والعلمية) لكن هؤلاء فطنوا إلى أنه لابد من أن يجمعوا بين المنهجين.

قال: وقد دخلت المدرسة الثانوية المسيحية وبدأت أشك فيما يقوله لي المنصرون والمدرسون؛ لأنني لم أفهم ما يقولون من أن الناسوت وهو مريم (الإنسان) اتصل باللاهوت (الله) تعالى عما يقولون؛ فنشأ عن ذلك الروح القدس وهو عيسى فصارت ثلاثة آلهة؛ فهذا شيء غير معقول.

وقال: بدأت أناقشهم لكن بعض المدرسين لم يقبلوا المناقشة وهددوني بالفصل، وقال لي طلبة آخرون: نحن مثلك غير مقتنعين بما ندرسه، وكذلك قال لي بعض المدرسين لتلك العلوم.

قال: وتخرجت من المدرسة الثانوية المسيحية ودخلت الجامعة وهي مدنية ليست دينية؛ لذلك كنت أجهر بقولي في هذه الجامعة المدنية الحرة ولكني لم أجد من يقنعني بالحقيقة، فقال لي أحدهم وهو مدرس للنصرانية: لدي ترجمة معاني القرآن بالأسبانية، قال: فقرأته فحبب الله إليّ الإسلام وأسلمت ولم يدعني أي شخص. وبعد أن هنأته على ذلك ودعوت له قال لي: ادع الله تعالى لي عند الكعبة أن يجعلني أستطيع قراءة القرآن بدون ترجمة قبل أن أموت وذلك بأن أتعلم العربية لغة القرآن الكريم.

وهكذا نجد الكثير من الذين دخلوا الإسلام دخلوه بدون جهد من دعاة رسميين؛ ولكن ليس معنى هذا أن الدعاة عملهم سهل، أو أنه ينبغي للناس التقليل من شأنهم؛ بل بالعكس فهم أداة فعالة لإرشاد الدعاة المحليين الذين لا يعرفون الكثير عن الثقافة الإسلامية والأمور الفقهية الإسلامية، وقد أسلم آلاف من الناس بل عشرات الألوف على أيدي الدعاة الرسميين، فضلاً عن قيامهم بإرشاد المسلمين الأصلاء وتبصيرهم بأمور دينهم.

فالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى واجبة على المسلم من استطاع بجهده أو من استطاع بماله؛ ولكن لا ينبغي لنا أن نحقر جهود إخواننا الدعاة المسلمين من غير الموظفين في الدعوة؛ فهناك في أفريقيا رأينا أناساً عندهم أشياء عجيبة جداً في الدعوة إلى الله تعالى مع أنهم لا يأخذون من أحد راتباً ولا يرجون جزاء ولا شكوراً إلا من رب العالمين، كذلك وجدناهم في آسيا وفي أماكن عديدة من العالم، وإلا فإن واقع الدعاة الآن يجعلنا نقول إن عددهم ناقص بالنسبة إلى عظم الحاجة إليهم واتساع ميدان الدعوة أمامهم، وقليل بالنسبة إلى ما ينبغي أن يكون؛ فعدد الدعاة قليل أو لا يكاد يذكر، وعدد المراكز الإسلامية بالنسبة للحاجة قليل، والمساجد بفضل الله موجودة في الكثير من البلدان، ولكن بعضها ليس بالمستوى الذي ينبغي أن يكون عليه من حيث الانتفاع به في أداء الصلاة وفي دعوة غير المسلمين وفي توعية المسلمين.

ونحن لا نقول كما يقول بعضهم: إن البلد المسيحي الفلاني الذي دخله الإسلام حديثاً توجد فيه كنائس ولا يوجد فيه مسجد، وإنه لا يجب أن يبني فيه مسجد إلا إذا كثر المسلمون فيه؛ فهذا غير صحيح؛ لأنه إذا وجد اثنان من المسلمين أو ثلاثة فهم جماعة، فيجب أن نسعى لهم بمسجد ولو كان عددهم قليلاً لأنهم قد يزيدون وهذا الواقع؛ فهناك بلاد لم يدخلها الإسلام إلا حديثاً منذ ٨ أو ١٠ سنوات مثل جمهورية بابوانيوغني ومثل جزر سليمان، وقد عرفنا أخيراً أنه تم إنشاء جمعية إسلامية في جزر سليمان وتسعى لبناء مسجد فيها، وهذه في أقصى جنوب المحيط الهادئ إلى الشرق الجنوبي من استراليا.

وينبغي للداعية أمور كثيرة منها: أن يمثل الداعية ما يدعو إليه تمثيلاً صحيحاً وليس ذلك بالمظهر فقط؛ وإنما بالمخبر يجب أن يكون صدوقاً أميناً عف اللسان محباً للخير ومحباً لمساعدة الآخرين.

فقد جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: ((إن رجلاً دخل الجنة بسبب غصن شائك وجده على الطريق فأبعده عنه))، هذا معنى الحديث.

وفي حديث آخر: ((أن بغياً غفر الله لها بسبب أنها سقت كلباً وهو عطشان))، ويروى: ((أن رجلاً كذلك سقى كلباً رآه يلهث من العطش فغفر الله له بسبب ذلك)). فالإسلام دين إنسانية ودين رحمة يجب على الدعاة أن يتخلقوا بهذه الأخلاق النبيلة، وأن يحثوا المسلمين على التخلق بها، وأن يكون الداعية قدوة لغيره في هذا الأمر وبخاصة مساعدة الضعيف والمحتاج.

كذلك هناك مسائل اجتماعية حث عليها الإسلام مثل عيادة المريض، وتعزية أهل الميت بالدعاء لهم وجبر خواطرهم والدعاء لميتهم، كذلك مساعدة العاجزين على قضاء حوائجهم؛ لأن هذا الأمر يتعلق بالنواحي الإنسانية.

كذلك لابد لنا من تيسير العمل للدعاة؛ فهناك أشياء تتعلق بالدعوة وليست مترتبة على الدعاة أنفسهم كميدان العمل مثلاً، ونحن نعرف أن بعض البلاد بلاد متخلفة في الإدارة ومعنى ذلك أنه لا توجد فيها طرق جيدة يستطيع المرء أن يصل بعدها وهو مرتاح بل إن معظم الطرق جبلية أو ترابية أو بها وديان، فإذا قلنا للداعية ينبغي أن تتجول في هذه البلاد فهذا أمر صحيح ولكن ربما لا يستطيع أن يذهب إلى هناك؛ فينبغي أن نؤمِّن له وسيلة للوصول إلى تلك المناطق إما بدراجة عادية أو نارية أو سيارة قوية أو ما أشبه ذلك حتى يتيسر له كيفية الوصول إلى من يريد أن يدعوهم وهذا أمر مهم جداً.

كما يجب علينا أن نعد الدعاة عن طريق تمرينهم على الخطابة والتبليغ بالكلام؛ فقد لا حظنا أن بعض الدعاة يستحيون ويخجلون لماذا؟ فالخجل

صفة مؤقتة غير لازمة للشخص طوال حياته فهي صفة اجتماعية، وبعض الناس يهزؤون ممن يخطيء ولكن إذا تمرن الداعية أكثر من مرة لم يجد الناس في كلامه ما يهزؤون منه لأنه يكون قد أحسن.

فيجب علينا أن نمرن الدعاة على الخطابة وعلى إبلاغ ما يريدون أن يبلغوه، كذلك ينبغي أن نمرنهم على بعض المشاق الجسدية التي قد تقابلهم في الدعوة، فالداعية المترف الذي لا يقدر على المشي الكثير أو لا يستطيع التحرك لأنه لم يتمرن يكون عمله قاصراً؛ لأنه لا يستطيع أن يصل إلى من يريد أن يبلغهم ويدعوهم إلى الله(١).

فالمسلمون الأوائل كانوا متمرنين بطبيعتهم ولم يكونوا مترفين فلابد من تأهيل الداعية حتى يتحمّل هذه المشاق وبذلك يتعود على العمل.

كذلك هناك أمر مهم وهو كيف ننفق على الدعاة؟.

نلاحظ أن عدد الدعاة أقل مما ينبغي، وكل الذين ينطلقون من المملكة العربية السعودية سواء أكانوا من السعوديين أو من غيرهم، وهم في الأكثر ليسوا من السعوديين؛ وإنما تبعثهم المملكة العربية السعودية فتنفق عليهم الحكومة السعودية وهذا بطبيعة الحال أمر تشكر عليه هذه الحكومة وهو منبعث من إحساسها وشعورها ومعرفتها بأنها في خدمة الحرمين الشريفين؛ ولذلك تلقب قائدها الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - (بخادم الحرمين الشريفين)، وفضل هذا اللقب على اللقب الذي كان قبل ذلك لقب (جلالة الملك).

ومعظم المساعدات التي تأتي للمسلمين في الخارج هي من حكومة

---

(١) انظر «الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة» لمحمد بن ناصر العبودي، صدر سنة ١٤٢١هـ.

المملكة العربية السعودية، والعالم كله يعرف ذلك لأن الحكومة السعودية لا تعمل في هذا الميدان شيئاً خفياً، ونحن نساعد المسلمين على بناء المساجد، وتسهيل أمورهم، وهذا جزء من واجبنا، ولكن هل من المعقول أن يقتصر هذا على ما تنفقه الحكومة السعودية؛ فالحكومة السعودية عليها واجبات أساسية تجاه الدعوة إلى الله؛ ولكن ينبغي أن يسهم المسلمون في هذا الميدان سواء أكانوا من الشعوب الإسلامية أو من غيرها.

ونحمد الله تعالى على أن القطاع الخاص في المملكة العربية السعودية يتبرع لهيئة الإغاثة الإسلامية وغيرها من الهيئات الخيرية، ويتبرعون للمشروعات الإسلامية، وكذلك في بعض البلدان يتبرع الخواص للهيئات الخيرية؛ لكن حكومات البلدان المسلمة التي تتبرع للمشاريع الإسلامية قليلة فغير المملكة لا نعرف أحداً يبذل جهداً له أهمية في مساعدة المسلمين إنما الجمعيات الإسلامية موجودة في المملكة وغير المملكة وإن لم تكن على مستوى ما هو موجود بالمملكة.

لذلك لا بد من معالجة هذا الوضع فالعمل كبير والعالم واسع؛ فلابد أن يكون هنالك صندوق للدعوة الإسلامية توضع فكرته وتدرس في اجتماع للجهات العاملة في الدعوة كرابطة العالم الإسلامي، والأزهر الشريف، والهيئة الخيرية الكويتية، والهيئات الثقافية في العالم الإسلامي، يجتمع المسؤولون فيها ويدرسون كيفية إنشاء هذا الصندوق؛ لأن الكثير من المسلمين يرغبون في التبرع للدعوة، ولكن لا يعرفون كيف يتبرعون فلابد من إنشاء هذا الصندوق؟.

ومن الأحسن أن يكون مقره في مكة المكرمة فهي مهبط الوحي ومنطلق الدعوة الإسلامية، والحمد لله أن فيها من هم محل ثقة ويستبعد الذهن أن

يفرطوا بشيء من هذا المال، لا نقول يستحيل؛ ولكن يستبعد كما نعرفهم ولله الحمد.

فلابد من صندوق الدعوة، وبإمكاننا تقديم مشروع مفصل لإنشائه؛ فالرابطة تقدم مشروعاً مفصلاً، وغيرها يقدم كذلك، ويختار من هذه الموضوعات مشروع صندوق الدعوة الإسلامية، وهذا الصندوق يجب أن يكون أهلياً، ولكن تسهم فيه الحكومات، ويجب أن يقوم عليه أناس ثقات بحيث لا يتطرق الشك في استعمالهم المال في غير ما أريد له.

الشيء الثاني الذي أود ذكره في شؤون الدعوة هو إنشاء هيئة عالمية لرعاية المسلمين الجدد؛ فهذه لابد منها فرابطة العالم الإسلامي والهيئات الأخرى لم تدخر جهداً في هذا الصدد؛ ولكن الحمل أثقل والأمل كبير، نريد إنشاء هيئة ليس لها هم ولا عمل إلا رعاية المسلمين الجدد.

لقد قابلنا في جولاتنا الخارجية من المسلمين الجدد فقراء، قالوا: نحن ندفع ثلث راتبنا للوصول إلى المسجد الفلاني، وذلك أجرة الحافلات (الباصات) ويريدون فقط تأمين أجرة التنقل للوصول إلى المسجد.

وهناك مسلمون أغنياء لكنهم يريدون ملابس عربية يصلون فيها؛ لأن الملابس الإفرنجية غير مريحة للصلاة، وهناك من المسلمين الجدد من يريدون كتباً مترجمة إلى لغاتهم بكمية كبيرة.

فيجب أن يكون هذا من عمل الهيئة المقترحة لرعاية المسلمين الجدد تكملة لأعمال الدعاة التي تقوم بها رابطة العالم الإسلامي ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية وغيرهما من الهيئات الإسلامية والدعاة في البلدان الإسلامية.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي قادة هذه البلاد خيراً على جهودهم في تعضيد الدعاة، وفي دعم الجهات العاملة في ميدان الدعوة الإسلامية وبخاصة كما ترون هذا المبنى الذي نحن فيه، وهذه القاعة الجميلة؛ فكلها هدية من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - أهداها للرابطة هدية حقيقية لماذا؟ لأنها ليست من ميزانية الرابطة ولم تنفق الرابطة عليها قرشاً واحداً؛ وإنما أمر بأن تبنى وتهيأ، وعندما انتهت سلمت مفاتيحها للرابطة إضافة إلى العناية بالإنفاق على رابطة العالم الإسلامي والدعاة إلى الله تعالى في أنحاء العالم.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله في ميزان حسنات خادم الحرمين الشريفين وأن يجزيه خيراً هو وجميع من عمل في هذا الميدان في المملكة العربية السعودية أو خارجها، ونسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدي الدعاة إلى الله من إخواننا المسلمين المستضعفين في الأرض الذين لا يعرفهم الكثير من الناس ولكن يعرفهم رب العالمين.

الدعوة إلى الله ومراعاة حالة المدعوين

بقلم/ محمد بن ناصر العبودي

كل مسلم مخاطب بأن يدعو إلى الله على بصيرة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾(١).

ولكن قدرات الأشخاص من المسلمين تختلف؛ بعضهم لديه من العلم بالدين والفقه فيه ما يستطيع أن يدعو به إلى الله حتى العلماء والأدباء الذين يحسنون الجدل ويقارعون الرأي بالرأي، وبعضهم ليس عنده الرغبة في الدعوة والإخلاص في العمل، قد عصم عن ادعاء العلم بما لا يعلمه؛ فتراه يدعو إلى الله على قدر ما يعرفه وما يفهمه، وبعض الناس ليست لديه المعرفة بأية وسيلة من وسائل الدعوة ولكن لديه القدرة المالية فتكون دعوته بقدر استطاعته وعن طريق تشجيع الدعاة إلى الله والتبرع لهم بالمال الذي يمكنهم من أداء عملهم.

فهذا الأمر تحكمه الآية الكريمة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾(٢).

ولكن المسلم المعاصر قد انفتحت أمامه سبل كثيرة للدعوة إلى الله غير ما كان يعرفه الأولون؛ فهو الآن يستطيع أن يسافر إلى أنحاء عديدة من العالم لتجارة أو سياحة أو عمل آخر، ويستطيع أن يوصل أفكاره وما يريد أن

(١) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٦٨).

يسمعه الآخرون منه إلى أعداد ضخمة من البشر وإلى بقاع لم يكن يعرفها، وحتى بعض النواحي البعيدة من العالم التي كان يعرفها ولكنه لم يكن يستطيع الوصول إليها.

وكثير من البلدان الأجنبية غير المسلمة قد ضعف عند أهلها شأن دينها التقليدي كالمسيحيين حتى حكمت عليه بأنه غير صالح للحياة وعزلته عن التدخل في شؤون حياتها، لذلك قلّ شأنه في نفوس أهله، وبذلك صار لديهم استعداد لسماع ما يريد أهل الأديان الأخرى أن يقولوه لهم؛ ولكن لا بد للمسلم أن يعرف أنه يدعو أناساً مختلفين عنه في المشاعر والآمال، وثقافتهم التي نشأوا عليها مختلفة عن الثقافة الإسلامية؛ لذا يجب عليه أن يفقه (مرحلية الدعوة) التي تعني التدرج فيها، ومخاطبة كل مجموعة من الناس بما يفهمونه ويستطيعون أن يستوعبوه.

وله في سيرة الرسول ﷺ القدوة الحسنة والمثل الأعلى؛ فقد بعثه الله بالإسلام، فبقي سنوات يدعو إلى التوحيد خاصة ولم تنزل عليه الفرائض ولا حددت الحدود؛ بل إنه ﷺ ظل فترة يدعو إلى الله سراً لأن الجهر بالدعوة لا يناسب حال المدعوين في أول الأمر؛ حتى أمره الله بالجهر بالدعوة.

وحتى بالنسبة إلى تحريم بعض المنكرات كان ذلك بالتدريج، فالخمر لم تحرم بجملة واحدة، بل ورد نهي المسلمين أول الأمر عن الصلاة وهم في حالة سكر فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[1].

(١) سورة النساء: الآية (٤٣).

ثم نزلت الآية الكريمة في تحريم الخمر كلية وهي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾(١).

وهكذا استمر هدي الرسول ﷺ في (مرحلية الدعوة ومراعاة حال المدعوين) حتى في عام الفتح الذي هو فتح مكة؛ فكان أن أعطى المؤلفة قلوبهم، وهم من كبار العرب وذوي الأموال من الزكاة ما لم يعط مثله من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، لأنه يتألف أولئك الأعيان من العرب، أما السابقون الأولون فإنه يكلهم إلى إيمانهم.

ونحن الآن بحاجة إلى التمعن في فقه مرحلية الدعوة ومراعاة حال المدعوين - أذكر أنني عندما زرت مدغشقر لأول مرة و رأيت الانحلال الذي عند أهلها، وكثرة شرب الخمر فيها حدثت سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - عن ذلك فقال: يجب على الداعية إلى الله الذي يذهب إلى مثل تلك البلاد أن يدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وألاّ يبدأهم بالإنكار عليهم فيما يتعلق بالزنا وشرب الخمر في أول الأمر؛ لأن المطلوب هو إبلاغ الناس العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهم إذا أخذوا بذلك يمكن أن يتركوا الأمور التي هي من كبائر الذنوب سواء من تلقاء أنفسهم إذا غمر الإيمان قلوبهم، أو بواسطة الدعاة، ولا ينبغي للمسلم أن يفترض في الكفار كلهم أنهم لن يستجيبوا للدعوة، بل حتى لو غلب على ذهنه أنهم كذلك فإنه لا ينبغي أن يمنعه ذلك عن دعوتهم لأن هذا من الإبلاغ، قال الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ وهو يحمل أعظم رسالة في تاريخ البشر:

---

(١) سورة المائدة: الآية (٩٠).

﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾[1]، وأمته أسوته في ذلك.

مع أن الذي عرفنا وعرفه كثير من الناس غيرنا بالتجربة وبالقياس أن الذي يمنع كثيراً من غير المسلمين عن الاستجابة للدعوة إلى الإسلام هو عدم معرفة الدعاة بالطريقة الصحيحة للدعوة.

وإلا فكثير منهم على امتداد العالم كله يعانون من خواء روحي، وفقر نفسي إلى الطمأنينة والإيمان.

ذلك بأن الإيمان بالله يجلب السعادة للإنسان ويجعله يقوى على مواجهة مصاعب الحياة.

والإسلام يخاطب الإنسان لكي يخلص لله العبادة ويعتمد عليه ويركن إليه، وهذا فيه سعادة الدارين ليس الدار الآخرة فقط وإنما حتى الدار الدنيا.

وهناك شاهد دولي واقعي على أثر الإيمان في سعادة الإنسان وهو أن منظمة الصحة العالمية أعلنت أن أكثر نسبة من الانتحار في العالم موجودة في الدول الاسكندنافية، والانتحار هو أن يقتل الإنسان نفسه؛ فكيف تكون نسبة الانتحار هذه النسبة أكثر من نسبة الانتحار في البلدان المتخلفة، وإنما تكون في الدول الاسكندنافية مع أن أهل تلك البلاد يتمتعون بضمان اجتماعي لا مثيل له في العالم حتى إن الذي لديه قطة يستطيع أن يطالب الحكومة بطعام لها إذا كان راتبه لا يتسع لذلك، وهذا واقع.

أما إذا قال إن لديه كلباً وراتبه قليل ولا يستطيع أن يطعم منه الكلب؛ فإنهم يزيدونه في الراتب، أو يؤمنون له طعاماً للكلب.

---

(١) سورة الشورى: الآية (٤٨).

وقد درست الحكومة السويدية هذا الأمر وكونت لجاناً تبحث عن علاج لكثرة الانتحار فيها، فهذه اللجان درست الموضوع، وبعد فترة طويلة وبالتفصيل قالوا: وجدنا أن المتدينين لا ينتحرون، وإنما ينتحر من ليس عنده دين، لذا قررت الحكومة السويدية من أجل مصلحة شعبها أن تدفع إعانة إلى الذين يعملون على نشر الدين أي إلى الجمعيات الدينية، حتى تشجعهم على أن يُدْعَى الناس إلى الدين؛ لأنه يجلب لهم السعادة، والسعيد لا يقتل نفسه، بل قاتل نفسه هو الشخص الشقي روحياً ووجدانياً.

وفي النرويج رأيت أيضاً ذلك عند الجمعيات الإسلامية، وأخبرني أهلها بأن الحكومة تدفع لهم مالاً من أجل الدعوة إلى الدين الإسلامي.

والرجل الذي يدعو الآخرين إلى أن يصبحوا متدينين هو رجل أسدى إليهم معروفاً لا تمكن مقابلته بمقابل مادي؛ لأنه مهما عمل الإنسان من ناحية المادة لا يمكن أن تأتي له بسعادة نفسية مستمرة، وإنما يمكن أن تأتي له بنشوة مؤقتة كنشوة الخمر؛ لكن بعد ذلك تضمحل أو تنقلب إلى شقاء.

أما الشخص الذي أعطاه الله الإيمان فإن الإيمان يكون معه أينما كان حتى في الشدائد، كما يروى عن بعض الصالحين أنه قال: ماذا يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، يعني أنه يتلو كتاب الله سبحانه وتعالى أو يناجي ربه؛ فهذا هو الجنة و النعيم.

* **الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:** يجب أن تكون الدعوة وفقاً لما جاء في الآية الكريمة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾(1).

---

(1) سورة النحل: الآية (١٢٥).

والدين الإسلامي هو دين دعوة ليس دين انعزال ورهبانية؛ فالرسول ﷺ أمره الله بالدعوة كما نعلم في عدة آيات، و أمر بالدعوة على بصيرة، وقال الرسول ﷺ: « لا رهبانية في الإسلام » وذلك أن الرهبانية نوع من أنواع الانعزالية والهروب من الحياة؛ فالذي يترهب يريد أن يسعد نفسه فيما يزعم ولا يهمه سواء أسعد الناس أم شقوا؛ فهذا معناه أنه رجل أناني.

لكن المسلم يدعو إلى الله وينفع المسلمين وغير المسلمين بدعوته، ولذلك قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: « المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

وينبغي أن نعلم ما فعله الصحابة والمجاهدون في سبيل الله الذين فتح الله بهم القلوب؛ ففي أول الأمر هو جهاد في سبيل الله فهو قتال للطاغين الذين يريدون أن يصدوا المسلمين عن الدعوة؛ ولكنه فتح قلوب وليس فتح حروب، ولو كان فتح حروب لانتهى بانتهاء الحرب ورجع الناس إلى ما كانوا عليه قبله.

ولذلك نجد أن الإسلام موجود في أكثر البلدان التي فتحها المسلمون إلا ما فرط المسلمون فيه بأمر الله ولم يعملوا بما يأمرهم به، وإذا فعلوا ذلك - والعياذ بالله - لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم من غير المسلمين؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾.(1)

فإذا افترضنا أن العرب أو غير العرب من الأقوام المسلمة تخلوا عن أمر الله وضيعوا دينهم الإسلامي؛ فإن الله سبحانه وتعالى حافظ دينه، وهذا

(١) سورة محمد: الآية (٣٨).

الدين مستمر لأن الرسول ﷺ يقول في حديث ثوبان: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى »، ويروى: « حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك ».

لذا يجب على الداعية المسلم أن يكون خيراً للجميع من مسلمين وغير مسلمين؛ يساعد من يحتاج منهم إلى مساعدة إنسانية، ويطعم الجائع، ويكسو العاري. كما أنه ينبغي له أن يكون حريصاً على المرافق العامة التي وضعت للصالح العام كالطرق والحدائق والمستشفيات وأماكن وقوف السيارات.

ولا شك في أن المسلم في بلاد الأقليات المسلمة أي البلاد التي يؤلف غير المسلمين الأكثرية من سكانها إذا فعل ذلك والتزم بما أمره الله به من الإسلام فإنه يكون شخصاً فاضلاً، بل مثالياً في عيون الناس من غير المسلمين، وبذلك يكون قدوة لغيره يقبلون أو يقبل بعضهم بما يدعو إليه من دين الله فيدخلون الإسلام على يديه.

ولنا في السلف الصالح من المسلمين قدوة ومثال صحيح، وذلك أنهم كانوا قلة في العدد، ولكنهم كانوا أمثلة عظيمة في العدل والإنصاف وإرادة الخير للجميع؛ فأسلم كثير من الناس اقتداء بهم وإعجاباً بأخلاقهم الإسلامية الرفيعة.

وينبغي أن يفهم الداعية المسلم أن البيئة المحيطة به من غير المسلمين إنما ستعامله بناء على الانطباعات التي تكونها عنه من تصرفاته الظاهرة وتصرفات من يتسمون باسمه من الأقلية المسلمة.

وإنهم ينظرون إلى المظاهر دون ما وقر في القلب مما لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى، والتصرفات الظاهرة أو المظاهر أداء أو امتناع عن أداء، إنها تحلية أو تخلية.

وسيكسب من يلتزم بالقواعـد الأخلاقيـة الإسـلامية مرضـاة الله تعـالى وتقدير الآخرين من مسلمين وغير مسلمين.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للصدق في القول والإخلاص في العمل، وأن يجعلنا هداة مهتدين، إنه سميع قريب.

دور الأقليات المسلمة في الدعوة إلى الله[1]

بقلم محمد بن ناصر العبودي

* التعريف بالأقليات المسلمة وانتشارها في العالم:

جرى العرف على اعتبار الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠ ٪ من مجموع السكان دولة مسلمة، فإن قلّت النسبة عن ذلك كان المسلمون أقلية في تلك الدولة، وإن كان عددهم كبيراً كما في الهند.

إن الأقليات المسلمة منتشرة في أنحاء العالم وتتوزع في معظم دوله أو في كلها، ويقدر عدد أفرادها بما يتجاوز (٤٠٠) أربعمائة مليون مسلم، وهم جزء من الأمة الإسلامية الكبيرة. وتشير بعض الإحصائيات إلى أن أكبر تجمعات الأقليات المسلمة في آسيا؛ إذ يوجد فيها نحو (٢٠٠) مائتي مليون مسلم في (٢١) إحدى وعشرين دولة، ومعظمهم في الهند والصين، ثم في أفريقيا (٢٨) ثمان وعشرون دولة، والباقون موزعون في الأمريكتين الشمالية والجنوبية، وفي أستراليا وجزائر المحيط الهادي، وتعيش هذه الأقليات المسلمة في أوساط مجتمعات وثقافات ومعتقدات دينية مختلفة من هندوكية ومسيحية وبوذية وغيرها.

* * * * * *

---

(١) انظر مجلة رابطة العالم الإسلامي، والمحاضرة التي ألقيت في مدرسة النور الإسلامية في بروكلين بأمريكا.

* مشكلات الأقليات المسلمة

تواجه الأقليات المسلمة مشكلات وتحديات كثيرة تقف في سبيل ازدهارها؛ بل تقف في وجه حياتها الثقافية والدينية، ومن أخطر هذه التحديات أن كثيراً من الأقليات المسلمة توجه لها الأكثريات غير المسلمة ضغوطاً بمحاولة أن تفتنها عن دينها وإبعادها أو قطعها عن جذورها الإسلامية، ويضاف إلى ذلك تخلف الأقليات المسلمة في مختلف مجالات الحياة؛ الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والتعليمية وأمثالها.

* * * * * *

* مساعدة الأقليات المسلمة:

لا بد للنهوض بالأقليات المسلمة من التعاون بين المسلمين في بلاد الأكثريات المسلمة على مساعدة الأقليات المسلمة مادياً ومعنوياً وربطهم بجمهور المسلمين عن طريق الزيارات الميدانية ووسائل التواصل المختلفة، وتقديم مساعدات مالية لإنشاء المرافق الإسلامية كالمساجد والمدارس الإسلامية وغيرها في بلدان الأقليات المسلمة.

* * * * * *

* الدعوة إلى الإسلام ودور الأقليات المسلمة:

فالدعوة إلى دين الله عز وجل واجب إسلامي؛ فكل مسلم مدعو للقيام بهذه الدعوة حسب استطاعته وقدرته، وقد قال الله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1].

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

ودور الأقليات المسلمة في الدعوة إلى الإسلام دور عظيم لأنها تخاطب الشعوب غير المسلمة، وأكثر هذه الشعوب لا تعرف الإسلام إلا عن حال الأقليات المسلمة التي تعيش بين ظهرانيهم، لذا يجب على الأقليات المسلمة أن تتمثل الإسلام تمثيلاً صحيحاً قولاً وعملاً ومعاملة وسلوكاً لتكون قدوة لغيرها من الشعوب؛ وذلك يتطلب معرفة كافية بأحكام الدين وبأساليب الدعوة ومراحلها وطرق التعامل والتأثير على المجتمعات التي تعيش فيها، ولاشك أن القدوة الحسنة لها تأثير كبير على الناس جميعاً.

* * * * * *

* مرحلية الدعوة:

لإنجاح الدعوة في بلاد الأقليات المسلمة لابد من إعداد الدعاة إعداداً جيداً وتأهيلاً كافياً لهذا العمل الدعوي؛ حيث تختلف الظروف الاجتماعية والثقافية والدينية من منطقة أو دولة إلى أخرى؛ فالبلدان الأوروبية أو الأمريكية تختلف عن البلدان الأفريقية، وكذلك الآسيوية والاسترالية وغيرها، ففيها أكثرية مسيحية أو هندوكية أو بوذية، ومنها بلدان لم يصل إليها الإسلام إلا في عهد قريب، ولذلك على الدعاة أن يراعوا مرحلية الدعوة ويختاروا أساليب مناسبة في الدعوة مع التعرف بحال المدعوين ليسلكوا مسلك التدرج مع الأهم فالمهم كما هو المعروف في منهج السلف الصالح والدعاة المهديين.

* * * * * *

* أهم صفات الداعية:

لإنجاح الدعوة على الدعاة أن يتصفوا بصفات حميدة وبأخلاق كريمة

إضافة إلى الإخلاص والعلم والإيمان الصحيح، ومن أهم تلك الصفات ما يلي:

١- عزة النفس والارتفاع عن صغائر الأمور المادية.

٢- اختيار الكلمات المهذبة في الكلام والابتعاد عن تجريح أحد من الناس.

٣- إبراز محاسن الإسلام وفضائله بأعماله وأقواله ليكون قدوة حسنة لغيره.

٤- إشعار المدعوين بأنه أخ لهم في الإنسانية؛ فيعاملهم معاملة إنسانية كريمة.

٥- التعامل بالعدل والأمانة في الحقوق وغيرها.

٦- الأخذ بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

وختاماً فإن دور الأقليات المسلمة في الدعوة إلى الله بين الأكثريات التي يعيشون فيها هو عظيم، وعلى المسلمين الذين يعيشون في بلاد الأكثريات المسلمة أن يقدموا أنواع المساعدات المطلوبة من مالية وثقافية وعلمية وغيرها لكي يتمكن هؤلاء الإخوة من الأقليات المسلمة من القيام بواجب الدعوة على الوجه المطلوب.

وبالله التوفيق،،،

۞ حماية المقدسات الإسلامية[1]

السيد رئيس المؤتمر، السادة الأعضاء المحترمين.

أحييكم بتحية مباركة طيبة من مهبط الوحي من مكة المكرمة من حيث أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلسطين: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾[2].

وأحمل إليكم تحيات رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية تمثل فيها الشعوب الإسلامية، وترتبط معها الجمعيات الإسلامية في كل أنحاء العالم برباط من التعاون والعمل المشترك عملاً بقول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3].

إن أعداء الأمة الإسلامية يهدفون في كل مؤامراتهم إلى أن يظل المسلمون والعرب منهم - على وجه الخصوص - في حالة توتر وغليان دائمين وألاّ تتفرغ شعوب المنطقة العربية للتنمية والأخذ بعوامل التقدم والازدهار، وذلك في الوقت الذي يواصلون فيه احتلالهم لفلسطين وأجزاء أخرى من أراضي عربية مجاورة.

إن التراث الثقافي الفلسطيني هو جزء من التراث الثقافي للأمة العربية والإسلامية، وإن المحافظة عليه هي واجب على المسلمين جميعاً.

---

(١) كلمة رابطة العالم الإسلامي في مؤتمر حماية المقدسات والتراث الثقافي في فلسطين الذي عقد في القاهرة.

(٢) سورة: الإسراء، الآية: (١).

(٣) سورة: المائدة، الآية (٢).

والدليل على ذلك ماثل في المسجد الأقصى الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

ولذلك اهتمت رابطة العالم الإسلامي بموضوع القدس خاصة وبفلسطين عامة،وقامت بجهود محددة في هذا الصدد،ومنها: توعية المسلمين في جميع أنحاء العالم قاصيه ودانيه وبخاصة في بلاد الأقليات الإسلامية التي لا تصل إلى المسلمين فيها معلومات صحيحة كافية عن الوضع في فلسطين.

كما أنها أنشأت صندوق القدس في الأمانة العامة للرابطة، وقامت بحملة واسعة عند أهل الخير والثراء في المملكة العربية السعودية لتغذية هذا الصندوق، وقد تلقت تبرعات لا بأس بها، وصارت تصرف من هذا الصندوق على مساعدة المساجد والمدارس التي تحتاج إلى مساعدة في الأراضي العربية المحتلة.

ولهذا قامت الرابطة بواجبها في متابعة تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد الدولي والمحلي.

وقد أصدرت مجالس الرابطة الثلاثة وهي:

أ- المجلس التأسيسي للرابطة.

ب- المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

ت- مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في مكة المكرمة.

قرارات وتوصيات تجاه القضية الفلسطينية بصفة عامة، وتجاه المحافظة على التراث الثقافي الإسلامي في فلسطين بصفة خاصة.

وكان يتم إبلاغ تلك القرارات أولاً بأول إلى الجهات التالية:

أ- منظمة التحرير الفلسطينية.

ب- وزارات الإعلام في كافة الدول العربية والإسلامية.

ج- سفارات الدول الإسلامية والعربية في المملكة العربية السعودية.

د- الدول الإفريقية التي أعادت علاقاتها مع إسرائيل.

هـ- منظمة المؤتمر الإسلامي.

و- الجمعيات والمؤسسات الإسلامية المتعاونة مع الرابطة والمنتشرة في جميع أنحاء العالم.

ز- وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في العالم الإسلامي.

ولكن في الوقت الذي يسعى فيه العرب إلى السلام، ويؤكدون عليه كثيراً؛ فإن الصهاينة مازالوا يسعون لإلصاق التهمة بكل فلسطيني بأنه إرهابي ولا يعرف السلام.

مع أن الفلسطيني يدافع عن حقه المعترف به شرعياً ودولياً في تحرير أرضه من الاحتلال؛ بل استغل اليهود احتلالهم للقدس الشريف، وراحوا يهودون اللغة والقوانين وكل شي يتيح لهم الهيمنة الكاملة على المدينة المقدسة، وذلك بعد أن يمحوا منها - بزعمهم - الصبغة الحضارية العربية.

وصاروا أيضاً يعملون على إزالة الملكيات العربية والإسلامية عن طريق استملاك الأراضي العربية في القدس العربية لما أسموه بالأغراض العامة.

وليس أدل على ذلك من القرار الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي في يوم ١٩/ ١٢/ ١٩٧٢م بمصادرة الأراضي في القدس العربية لما أسموه بالأغراض العامة.

وبناء عليه استمرت المصادرات في طريقها المرسوم، كما استمر إنشاء المستوطنات اليهودية فيما حول القدس الشريف.

إضافة إلى إنشاء الأحياء السكنية الضخمة في أطرافها على أنقاض الأحياء العربية التي يهدمونها.

وإلى جانب ذلك تستمر الحفريات عما يزعمونه بحثاً عن آثار يهودية قديمة.

وكان آخر الاعتداءات الصهيونية على القدس والمسجد الأقصى قد تصاعدت مع بداية العام الحالي حين دخل جماعة من أعضاء الكنيست الإسرائيلي ساحات المسجد الأقصى بدعوى تحديد مكان لصلاة اليهود فيه؛ فتصدت لهم جماعات المصلين، وقوبل هذا العمل الصهيوني بالاستنكار والتنديد من الهيئات والمنظمات الإسلامية في أنحاء العالم.

وبالنظر إلى أن أعضاءاً من اللجنة الداخلية في الكنيست الإسرائيلي هم الذين دخلوا المسجد الأقصى بصفة رسمية لاختيار موقع لصلاة اليهود داخل حرم المسجد؛ فإن ذلك يمثل بعداً سياسياً جديداً للعدوان إضافة إلى العدوان على المقدسات الدينية.

وفي منتصف العام الماضي أرسلت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ضمن جهودها المستمرة حول هذه القضية برقية للرئيس الأمريكي (رونالد ريغن) أكدت فيها موقف أعضاء المجلس التأسيسي للرابطة بشأن القدس ومكانتها في قلوب المسلمين.

وقد تلقت الرابطة الرد من وزير خارجية الولايات المتحدة، وتضمن عنايتهم بشعور رابطة العالم الإسلامي تجاه هذه القضية، وأن الرئيس ريغان كان قد أعلن ضمن مبادرته للسلام في الشرق الأوسط عام ١٩٨٢م أن القدس يجب أن تبقى موحدة.

ومن المعلوم أن مبادرة الرئيس ريغان قد ماتت في مهدها، وأن وزارة الخارجية الأمريكية لم تتابعها، كما أن معنى أن تبقى القدس موحدة - في قاموس السياسة الإسرائيلية - هو أن تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية.

* **مقترحات بالتوصيات اللازمة:**

إن رابطة العالم الإسلامي وهي تتابع بقلق بالغ المؤامرات الخطيرة التي تحيكها إسرائيل بدعم أو بإقرار من بعض الدول الكبرى ضد المقدسات والتراث الثقافي في فلسطين تضع أمامكم هذه التوصيات ليتبناها المؤتمر في قراراته، وهي:

١- الاستمرار في إعلان الاستنكار لقيام السلطات الصهيونية بمصادرة أملاك الوقف الإسلامي، وانتزاع الأراضي المملوكة للعرب في القدس، وحول المسجد الأقصى، وعرض هذا الموضوع في المحافل الدولية.

٢- إنشاء صندوق باسم (صندوق القدس) تساهم في التبرع له الهيئات والحكومات والأفراد حتى يمكن إعمار المسجد الأقصى والمؤسسات الثقافية التي تتعرض للعدوان الإسرائيلي من هذا الصندوق، وترميم ما يحتاج منها إلى ترميم.

ويمكن أن تقوم عدة هيئات عربية وأجنبية ثقافية بتبني القيام بحملة عالمية لجمع التبرعات لهذا الغرض.

٣- استنكار المذابح والاعتداءات التي يتعرض لها أبناء الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة يومياً دون مراعاة لحقوق الإنسان أو النظر إلى الشرعية الدولية في معاملة المدنيين الواقعين تحت الاحتلال.

٤- تخصيص ساعة أو أكثر في الأسبوع في مختلف المراحل الدراسية في الوطن الإسلامي للحديث عن القدس الشريف، وعن التراث الثقافي في فلسطين بغية توعية الطلاب بالمؤامرة اليهودية لطمس ذلك التراث.

٥- مناشدة وسائل الإعلام لتكثيف جهودها حول تقديم مادة إعلامية مرتبطة ببيان أهمية المحافظة على التراث الثقافي والحضاري في فلسطين.

وداعية إلى إحياء ذلك في نفوس الناس على امتداد الوطن الإسلامي.

٦- دعوة وزارات التربية والتعليم في الوطن الإسلامي لإدخال مادة أساسية في مناهج التعليم تتحدث عن هذا الموضوع خاصة، وعن قضية فلسطين بصفة عامة.

٧- العمل على إقامة معرض دائم، ينتقل بين البلدان المختلفة يوضح المقدسات الإسلامية والثقافية في فلسطين، ويكون مدعماً بالصور والوثائق والبيانات المتنوعة التي تؤكد حقوق العرب، وتبين تعديات الصهاينة على مقدسات المسلمين والمسيحيين في القدس الشريف.

وأن تشرف على هذا العرض لجنة مشتركة من المؤسسات والهيئات الثقافية المعنية بالأمر، ويمكن لهذا المؤتمر أن يختار أسماء هذه المؤسسات من الهيئات المشتركة فيه.

ممثل رابطة العالم الإسلامي
محمد بن ناصر العبودي
الأمين العام المساعد للرابطة

۞ وجوب العمل على وحدة الأمة الإسلامية ونبذ الفرقة والخلاف

إن الإسلام دين عظيم، وشرع شامل كريم، جاء به محمد ﷺ رحمة للعالمين، وحجة للعباد أجمعين، لا صلاح إلا بالاستمساك به، ولا بقاء إلا لمن سار على نهجه، عقيدة نقيه، وشرع كامل، وتنظيم شامل، إنه المنظم لعلاقة المسلمين بعضهم ببعض، وهو مصدر عزهم وسعادتهم، ولقد حثنا هذا الإسلام العظيم، والدين القويم على التراحم والترابط والتئام الصف ووحدة الكلمة والتزام جماعة المسلمين.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾(٢).

لقد أرسل الله محمداً ﷺ إلى عربٍ متوحشين في الصحراء، يعبدون الأصنام والأوثان، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما سواه، فاستجاب من هداه الله لدعوته، وتمسكوا بشريعته فتملكوا البلاد وسادوا العباد ودانت لهم الدنيا، وسعد بهم المجتمع.

وعن وجوب العمل على وحدة الأمة الإسلامية، واجتماع كلمتها، ونبذ الفرقة والخلاف بينها يتحدث الشيخ العبودي فيقول:

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٣).

أيها الإخوة:

إننا نفهم أن من أهداف هذا المؤتمر الدعوة إلى وحدة المسلمين وإيضاح عوامل هذه الوحدة وضرورتها في هذا الزمن الذي تواجه فيه الأمة المسلمة هجمة ثقافية شرسة على دينها، وعلى ثقافتها وحضارتها، وجاء انعقاد هذا المؤتمر في ظل ما نعيشه في عالمنا من متغيرات وتحديات خطيرة شملت كل جوانب الحياة، وفي زمن غطرسة القوة المعادية، ومحاولة تيار العولمة فرض هيمنته ونفوذه على العالم كله وعلى البلدان الإسلامية بوجه خاص، ومع حالة التراجع للدور القيادي والعطاء الحضاري للمسلمين يصبح من الواجب أن تكون لنا نحن المسلمين وقفة نرقب فيها حال أمتنا بين ما كانت فيه من وحدة وما تعيشه الآن من فرقة، وما ينبغي أن تكون عليه في المستقبل.

لقد شهد العصر الحديث غزواً استعمارياً لأجزاء كبيرة من أوطان الأمة المسلمة، ولم يخرج الاستعمار من أراضيها إلا بعد أن ترك وراءه آثار الغزو الثقافي التغريبي ليكون بديلاً عن الانتماء إلى الهوية الإسلامية.

ولقد تتابعت المتغيرات على الأمة بتواطؤ الاستعمار الغربي مع الحقد الصهيوني على استمرار ذلك إلا أن صحوة بعض المفكرين في الأمة الإسلامية لم تتأخر.

حيث ظهرت دعوات إعادة تحكيم الإسلام في حياة الشعوب المسلمة وتوحيد جهودها، وما قام به الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - عندما تنادت وفود من حجاج بيت الله الحرام منذ (٣٠) عاماً، على مبايعته - رحمه الله - قائداً للمسلمين، فقال جلالته بعد شكرهم على الثقة في سياسة

المملكة العربية السعودية: (إن الدعوة إلى مثل هذا الأمر ربما تزيد الأمور تعقيداً أو تزيد الفرقة بين شعوب الأمة المسلمة، وخير من ذلك وربما أكثر تحقيقاً للهدف المرجو من فكرة الخلافة هو الدعوة إلى التضامن الإسلامي).

* * * * * *

عوامل وحدة المسلمين

العامل الأول: وحدة المعتقد:

إذا كان علماء الاجتماع في الغرب الصليبي يبعدون العامل الديني عن أن يكون عامل توحيد، فإنهم يقيسون الدين الإسلامي على دينهم الذي استبعدوه عن التأثير عليهم، وإذا حصل أن تواضعوا في التعامل معه؛ فإنهم يضعونه في ذيل قائمة العوامل الأخرى التي في مقدمتها الجنس واللغة والثقافة.

وإذا كان هؤلاء الغربيون يبعدون (الدين) عن التأثير في بناء وحدة أتباعه؛فنحن المسلمون نرى تأثير الإسلام في بناء وحدتنا من الإيمان والانقياد كما تحدث به كتاب ربنا (القرآن الكريم) الذي قرر ذلك في آيتين كريمتين هما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾(2).

ثم في أمره الصريح للأمة في الاعتصام جميعا بحبل الله ونهيه إياها عن التفرق والاختلاف ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(3).

إن العقيدة الإسلامية هي العامل الأكبر والأعظم من عوامل توحيد أمتنا في المشاعر والأهداف، بل في الآلام والآمال، لكل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج

---

(1) سورة الأنبياء: الآية (٩٢).

(2) سورة المؤمنون: الآية (٥٢).

(3) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

بيت الله، بغض النظر عما وراء ذلك من اختلاف في الفروع قد يوجد مثيلها داخل كل مذهب من المذاهب[1].

العامل الثاني: وحدة التاريخ المشترك:

إن المتابعة الواقعية لأحداث التاريخ تؤكد أن ما وقع في تاريخ المسلمين من هزائم أو انتصارات قد عاش المسلمون نتائجه معاً وإن تباعدت بينهم الأقطار، وأن كل حدث يقع يترك صداه وتنعكس ردود أفعاله على الجميع أياً كان موقعهم بدءاً من الانتصارات العظمى على يد الرسول صلوات الله عليه وسلامه، وعلى يد خلفائه الراشدين ومن تبعهم من قادة الأمة المخلصين مروراً بحطين وعين جالوت ومواجهة التتار والصليبيين في الحروب المعروفة وما صحب حركات الجهاد التي قام بها عبر التاريخ كثيرون من أبناء أمتنا في سائر الأقطار الإسلامية إضافة إلى حركات الإصلاح والتجديد، وتنقية العقيدة من الشوائب، وفي مقدمتها ما قام به في الجزيرة العربية الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وما قام به آخرون في مصر والشام مثل: محمد عبده، وعز الدين القسام، وغيرهم من كبار العلماء في الجزائر والمغرب على سبيل المثال.

وهذا كله يؤكد وحدة التاريخ ووحدة الآلام والآمال التي عاشتها الأمة المسلمة عبر تاريخها الطويل، بل يؤكد أن لهذا التاريخ آثاره التي يجب أخذها في الاعتبار عند تقويم أوضاع الأمة ودراسة الإيجابي والسلبي من المواقف والتصرفات التي ينبغي أن تستفيد منها في التخطيط للمستقبل.

---

(١) انظر ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

العامل الثالث: وحدة المستقبل والمصير:

التحديات التي تواجهها الأمة توجب توحيد تعاملها مع المتغيرات المستجدة، بل يجب على كل الحكومات والشعوب الإسلامية، بل وعلى الأفراد المسلمين من ذوي الرأي والمشورة أن يعملوا على تحقيق ذلك، وأن يكونوا على وعي شامل بخطر ما يخبئه المستقبل للإسلام وللمسلمين.

إن بعض المفكرين الغربيين الحاقدين على الإسلام يصرحون بأن المستقبل سيكون في صالحهم.

من ذلك ما صرح به (صموئيل هانتجتون) فيلسوف الاستراتيجية الغربية المعاصرة في كتابه الشهير (الإسلام والغرب آفاق الصدام) حيث زعم أن الصراع في القرن الحادي والعشرين هو صراع الحضارات، وأن التفوق الحتمي هو للحضارة الغربية (أي للمادية العلمانية) وللعالم الصليبي وليس للعالم الإسلامي ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1].

بل إن الأمر في الغرب لم يقف عند تصريحات رجال الدين المخططين من صناع الفكر السياسي، بل قد جاوز الأمر إلى أن يعلن بعض مفكريهم البارزين أنه بعد القضاء على العدو الأحمر (الاتحاد السوفيتي) لم يبق أمام الغرب بزعامة الولايات المتحدة سوى العدو الأخضر (يعنون بذلك الإسلام).

فهل يكون من المقبول أو المعقول شرعاً وسياسة أن نسمح لأنفسنا بالتفريط ولو للحظة في إعلان التفافنا حول شعار وحدة العمل للمسلمين

---

(١) سورة التوبة: الآية (٣٢).

في مواجهة هذه المخاطر الكبار، وليكن شعارنا شعار (التضامن الإسلامي) الذي رفعه الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله وأجزل مثوبته، وهو وإن كان مقولة زعيم سياسي كبير لكنه تعبير عن مضمون ما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي يعتبر المسلمين في صورة الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

العامل الرابع: وحدة العمل لأداء الواجب الإسلامي:

أيها الإخوة: إن لقضية وحدة المسلمين وجهاً آخر عالمياً وإنسانياً مؤسساً على ما هو منوط بنا أن نقوم به نحن المسلمين كما في قول الحق سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1]. فالخيرية هنا لا تستند إلى تمييز للعرق أو الجنس أو اللون أو الشعب أو القبيلة على نحو ما يزعمه بنو إسرائيل من أنهم شعب الله المختار؛ ولكنها خيرية على العمل الصالح والتحذير من الشرور، وذلك كله في نطاق مرحلية الدعوة ومراعاة الظروف المحيطة بالداعي والدعوة.

إن مهمة أمتنا وواجبها أن تأخذ بما أمر به الإسلام في قضايا العدل الاجتماعي وحقوق عباد الله في الحصول على نصيبهم من رزق الله تعالى وأن تعلن للعالم موقف الإسلام من ذلك إعلان أعمال، وليس إعلان أقوال لنكون قدوة لبني البشر، وبذلك يتحقق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما أن من واجبها أن تعلن موقف الإسلام من العلم واعتداده به وتكريمه للعلماء وأن يضعوه في الإطار الأخلاقي النافع للبشرية، لا أن يطلق العنان دون قيد أخلاقي للباحثين أو ديني فيبحث الباحثون في موضوعات

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

تقود البشرية إلى الفناء والدمار مثل الاستنساخ، وتطوير أسلحة الدمار الشامل، والأوبئة الفيروسية.

ورغم أن الوحدة الإسلامية بعيدة التحقق من الناحية السياسية، فإن وحدة العمل الإسلامي ممكنة، بل هي ذات فائدة كبرى للمسلمين؛ لأن بعضهم يكمل بعضاً في نواح عديدة.

ووحدة العمل الإسلامي تشير إلى وحدة المسلمين حيثما يتجهون في جميع أقطار الأرض عند الصلاة إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، فلماذا لا نكثف مساعينا على وحدة المصالح والأهداف والآمال المشتركة؟.

* * * * * *

* توصية مقدمة لهذا المؤتمر

أيها الإخوة في الله: إن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي جئنا منها لهذا الاجتماع قد أصدرت عدة قرارات وتبنت مبادئ تتعلق بوحدة العمل بين المسلمين في ختام اجتماعات مجالسها ومجامعها مثل المجلس التأسيسي للرابطة والمجلس الأعلى العالمي للمساجد.

وإن رابطة العالم الإسلامي التي اتخذت من جوار بيت الله الحرام مقراً لها تؤكد أن من أوجب واجبات العلماء والدعاة وأهل الفكر الإلحاح على أصحاب القرار السياسي في البلدان الإسلامية لتوحيد صفوفهم، والتمسك بكتاب الله العظيم وسنة رسوله ﷺ، وتهيب الرابطة بهذا المؤتمر الذي حضنته أرض البحرين العزيزة أن يؤكد لحكومات الدول الإسلامية أن وحدة المسلمين دون غلو أو تفريط، والإعداد لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين بات واجباً ملحاً على الأمة وقادتها وعلمائها ومؤسساتها الإسلامية.

وندعو المؤتمر كذلك إلى اتخاذ التوصيات التالية:

(١) دعوة الأمة الإسلامية ممثلة في حكامها إلى الأخذ بالأسس الشرعية للتعاون والتضامن والتكافل على طريق تحقيق وحدة الأمة، ويؤكد أن جميع أفراد الشعوب والأقليات الإسلامية إخوة في الله لا يجوز أن يفرق بينهم بسبب الأجناس والألوان.

(٢) التأكيد بأن التفرق بين المسلمين من أسباب ضعفهم، وأن الاستمرار على الفرقة معصية لله سبحانه وتعالى الذي نهى عن التفرق ودعا إلى التمسك بحبله المتين، الذي يعصم من التفرق: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

(٣) التنبيه إلى أن الدعوات المنحرفة التي سادت بعض صفوف الأمة في القرن الميلادي الماضي من علمانية وقومية وشيوعية واشتراكية وغيرها من الدعوات الحزبية فرقت الأمة وشتت طاقاتها وأسهمت في ضعفها، مع التأكيد على أن توحيد صفوف الأمة لا يكون إلا على أسس إسلامية، بينما تؤدي أغلبية المناهج الوضعية والحزبية إلى التفريق والتحزب المقيت الذي يبرأ الإسلام منه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[٢].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٥٩).

(٤) حث المنظمات الإسلامية الرسمية والشعبية على السعي إلى فض النزاعات القائمة داخل بعض البلدان الإسلامية وإصلاح ذات البين بين فئاتها إذا اختلفت؛ وذلك على أسس شرعية تنهي أشكال النزاع بين صفوف الأمة انصياعاً لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(١).

(٥) دعوة جميع المسلمين إلى التضامن والتكافل والتراحم والتعاون على البر والتقوى في جميع شئون حياتهم، وذلك ما أمر الله سبحانه وتعالى به جميع المسلمين ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٢)، وبيان أن التعاون والتراحم والتضامن والتكافل أمور تقتضي من المسلمين وحدة جماعتهم لما حذر منه الرسول ﷺ: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية))، ويحذر المؤتمر من أن تفرق الأمة إلى جماعات وطوائف وأحزاب يسهل على أعدائها أن يقهروها ويهزموها في كل ميدان.

(٦) دعوة المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي إلى إنفاذ جميع المبادئ والقرارات الإسلامية بالتقيد بها وتطبيقها في جميع العلاقات بين البلدان الإسلامية تحقيقاً لمباديء التعاون الإسلامية بين أجزاء الأمة الواحدة، كما في الحديث النبوي الشريف ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)).(٣)

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٤٦).

(٢) سورة المائدة: الآية (٢).

(٣) رواه مسلم في البر و الصلة ٨/ ٢١.

(٧) دعوة حكومات الدول الإسلامية إلى النظر في إيجاد سوق إسلامية مشتركة في مقابل عولمة السوق الاقتصادية وسياستها التي قد تجعل بعض الأمم والشعوب جهات استهلاك فقط، بالإضافة إلى تأثيره على القرارات الاقتصادية للمسلمين، ومطالبة العلماء والفقهاء والاقتصاديين والأكاديميين المسلمين المتخصصين بالإسهام في وضع المشروع الإسلامي للسوق الإسلامية المشتركة التي بات قيامها أمراً ضرورياً وحاجة ملحة.

(٨) حث العلماء والمفكرين وأصحاب الكلمة المسموعة من أدباء وصحافيين على إيضاح ما يأمر به الإسلام من الحث على التآلف بين المسلمين، وعدم الزج ببعض الشباب في متاهات الغلو أو الإفراط، وإنقاذ من انحرف منهم بالدعوة الصادقة المخلصة إلى لزوم الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف.

* * * * * *

- **هيئة علماء المسلمين:**

قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

ففي الآية الأولى النهي عن التنازع، وفي الثانية معالجة هذا التنازع إذا حصل، وذلك برد التنازع إلى الله والرسول بمعنى ما أمر به الرسول أو نهى

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٤٦).

(٢) سورة النساء: الآية (٥٩).

عنه في سنته، وأولوا الأمر هم أصحاب الشأن من الحكام المسلمين والعلماء العاملين؛ لذلك نقترح إيجاد هيئة بمعنى جماعة من كبار العلماء الحكماء في منظمة المؤتمر الإسلامي التي هي منظمة حكومات، أو في رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية مهمتها بحث النزاعات الفقهية أو تلطيفها بمعنى تلافي ضررها الذي قد يستفحل بين الجماعات المسلمة كما قد حصل في الماضي.

ولاشك في أننا إذا ما أردنا قطع النزاع الذي يترتب عليه امتداد الضرر بالمسلمين كان لابد لنا من اتخاذ قاعدة واضحة، والقاعدة موجودة وظاهرة في الرجوع إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وآله وأصحابه قبل حدوث تلك المذاهب فهذا أمر منصف للجميع.

وأما كيفية ذلك، وكيفية الاستفادة منه؛ فإنه أمر ينبغي أن يوكل إلى هيئة العلماء الحكماء.

وإذا لم يتيسر ذلك فلابد من أن يركز المسلمون على نقاط الالتقاء والاتفاق أي ما هم متفقون عليه مثل أركان الإسلام الخمسة التي هي الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج.

فهذه كل المسلمين متفقون عليها، وما تفرع من ذلك مما هو موضع خلاف يجب على الجميع أن يحاولوا عدم إبرازه إن لم يحاولوا تركه وتجنبه، وأن يتعاونوا فيما بينهم على أصول الإسلام المذكورة وما تفرع منها من أحكام ومسائل مهمة. أما إذا أصر أحد الفرقاء على إبراز الخلافات، ونشر الفوضى فإن أمره يجب أن يحال إلى لجنة العلماء الحكماء.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا أننا نطالب كل فريق من فرق المسلمين أن يتنازل عن معتقده للآخرين، ولكن لا نريد أن يبرز ما يتعلق بذلك في

التعامل مع المسلمين، ولا يركز على وجوه الخلاف ما بينه وبين الفرق الأخرى طبقاً لما تقدم.

* **وفي الختام:** فإنني أشكر باسم رابطة العالم الإسلامي حكومة البحرين الشقيقة وبخاصة وزارة الشؤون الإسلامية التي دعت إلى هذا المؤتمر وقامت على عقده، وبالله التوفيق.

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

* * * * *

۞ وحدة العمل الإسلامي هي الطريق إلى الوحدة الإسلامية(١)

وعن وحدة العمل الإسلامي، والدعوة إلى وحدة المسلمين وإيضاح عوامل هذه الوحدة وضرورتها يتحدث الشيخ العبودي فيقول:

لقد جئنا إليكم من جوار بيت الله الحرام من مكة المكرمة جئنا من رابطة العالم الإسلامي التي تمثل الشعوب والأقليات المسلمة، وإنني أوجه الشكر والتقدير إلى المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في جمهورية إيران الإسلامية، على تنظيم المؤتمر السابع عشر للوحدة الإسلامية، الذي يهدف إلى وضع لبنات قوية للتضامن والتعاون والتنسيق في العمل الصالح بين شعوب الأمة المسلمة، وذلك بدءاً من إيجاد أرضية صلبة لوحدة المسلمين.

وأخص بالشكر صديقنا العزيز الأستاذ الشيخ محمد علي التسخيري الذي عرفناه منذ سنوات طويلة عاملاً دؤوباً في هذا السبيل.

أيها الإخوة:

إن من الأهداف الظاهرة لهذا المؤتمر الدعوة إلى وحدة المسلمين، وإيضاح عوامل هذه الوحدة وضرورتها في هذا الزمن الذي تواجه فيه الأمة المسلمة هجمة ثقافية شرسة على دينها، وعلى ثقافتها وحضارتها، وفي ظل ما نعيشه في عالمنا المعاصر من متغيرات وتحديات شملت كل جوانب الحياة، وفي زمن

---

(١) بحث مقدم من الشيخ محمد بن ناصر العبودي - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - عضو المؤتمر الدولي السابع عشر للوحدة الإسلامية طهران ١٥-١٧ / ربيع الأول / ١٤٢٥هـ الموافق: ٦-٨/ ٥/ ٢٠٠٤م .

غطرسة القوى المعادية للإسلام، ومع الأسف الشديد فإن ذلك يحدث في حالة من التراجع المؤسف للدور القيادي والعطاء الحضاري للمسلمين، وبذلك يجب أن تكون لنا نحن المسلمين وقفة نرقب فيها حال أمتنا بين ما كانت فيه من وحدة، وما تعيشه الآن من فرقة، وما ينبغي أن تكون عليه من رص الصفوف وتوحيد العمل فيما فيه مصلحة جميع ا لمسلمين.

لقد شهد العصر الحديث غزواً استعمارياً لأجزاء كبيرة من أوطان الأمة المسلمة، ولم يخرج الاستعمار من أراضيها، إلا بعد أن ترك وراءه إرثاً ثقافياً تغريبياً ليكون بديلاً عن الانتماء إلى الهوية الإسلامية.

ثم تتابعت المتغيرات على الأمة بتواطؤ الاستعمار الغربي الصليبي مع الحقد الصهيوني اليهودي على إجهاض أي محاولة لتوحيد العمل للأمة المسلمة، إلا أن صحوة الأمة لم تتأخر، حيث ظهرت دعوات إعادة تحكيم الإسلام في حياة الشعوب المسلمة وتوحيد جهودها، وظهرت مدارس فكرية وثقافية شخصت حال الأمة، وبينت أسباب تخلفها، وأجمعت على ضرورة السعي لتحقيق أمرين أساسيين تمهيداً لوحدة العمل الإسلامي:

الأول: فض النزاعات بين البلدان الإسلامية أو لنقل بعبارة أدق بين حكام البلدان الإسلامية.

الثاني: العمل على توحيد مناهج الحكم بالاعتماد على الشريعة الإسلامية.

وقد أثمرت تلك الدعوات وجود منظمات إسلامية شعبية ورسمية عبرت عن وحدة شعوب الأمة، ووحدة كيانها، ومن أهم تلك المنظمات رابطة العالم الإسلامي على النطاق الشعبي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي على النطاق الدولي الرسمي.

ومن الضروري أن تقوم وحدة العمل الإسلامي على قواعد صحيحة

وثابتة، تكون أرضية صلبة لوحدة الأمة، ولعل أهم الأسس والعوامل التي ينبغي أن تقوم عليها الأرضية المنشودة أربعة أسس هي:

١- التمسك بالقرآن الكريم:

ولما كان القرآن الكريم مصدر الهداية والإرشاد للبشرية جمعاء فكان أول من أمر باتباعه والاستمساك به هو الرسول ﷺ ليكون قدوة وأسوة لغيره من أمته، فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. وقال أيضاً: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2]. وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وما أمر به الرسول ﷺ هو أمر للمسلمين كلهم، وكذلك أمر الله المؤمنين باتباع ما أنزله إليهم: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

٢- طاعة الرسول ﷺ وعدم مخالفته:

وكما أمر الله سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين بطاعة الله وما أنزله في كتابه، أمرهم أيضاً بطاعة الرسول ﷺ وجعل ذلك مقروناً بطاعة الله فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾[5]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٠٦).

(٢) سورة الزخرف: الآية (٤٣).

(٣) سورة الجاثية: الآية (١٨).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٣).

(٥) سورة النساء: الآية (٨٠).

ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ ﴾(٢)، وقال جل ذكره: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)، والآيات في هذا الباب كثيرة.

وقد نفى القرآن الكريم الإيمان عمن يخالفون رسول الله ﷺ وحذرهم من أن تصيبهم فتنة أو عذاب أليم، بل حتى من أن يجد أحدهم في نفسه حرجاً منه فقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(٤). وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥)، وقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٧).

---

(١) سورة النساء: الآية (٦٩).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية (٣١).

(٤) سورة النساء: الآية (٦٥).

(٥) سورة النور: الآية (٦٣).

(٦) سورة النساء: الآية (١١٥).

(٧) سورة محمد: الآية (٣٢).

إن هذه الآيات وغيرها تتضمن وعيداً شديداً لمن يتجرأ على مخالفة الرسول ﷺ في أوامره ونواهيه وفي جميع سننه، فعلينا معشر المسلمين أن نحذر كل الحذر من الوقوع في مثل هذه العقوبات.

وقد وردت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحذر عن مخالفة سننه، ومن ذلك قوله ﷺ: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)). رواه البخاري.

٣- إشاعة المحبة بين المسلمين:

إن من أهم مباديء الرسالة الإسلامية أنها تدعو إلى أخوة إسلامية شاملة وإلى ترك التفاخر والتنافر بالحسب أو اللون والجنس واللغة والقبيلة وغير ذلك. والأخوة الإسلامية من المبادئ المهمة جداً للمجتمع الإسلامي، والقرآن الكريم والسنة قد أكدا كثيراً على هذه الأخوة فقال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١)، وقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢).

أما اختلاف الألسن أو الألوان أو القبائل فهو للتعارف وليس للتفاخر والتنافر، إنما التفاضل (بالتقوى) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

وقال رسول الله ﷺ: ((لا تباغضوا و لا تحاسدوا و لا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً))(٣). الحديث متفق عليه.

---

(١) سورة الحجرات: الآية (١٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٣) البخاري - الفتح (١٠/ ٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩ ، ٢٥٦٠) واللفظ له.

وقال رسول الله ﷺ يخاطب قريشاً: ((إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء؛ إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ليدعن أقوام فخرهم بأقوام، إنما هم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرا بأنفه))(١). رواه الترمذي.

وقال أيضاً: ((ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية))(٢). رواه أبو داود.

٤- تجنب التعصبات المذهبية والغلو فيها:

من أهم أسباب الخلاف بين الأمة التعصبات المذهبية والغلو فيها، وقد أدى هذا التعصب إلى كثير من الفتن والمشكلات في تاريخ أبناء الأمة المسلمة، حتى وصل الأمر إلى تكفير بعضهم بعضاً وعدم أداء الصلوات خلف بعضهم البعض، والاختلاف والتفرق من أهم أسباب هلاك الأمم السابقة وفشلها، ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من ذلك فقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣).

وقال: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٤).

---

(١) وأخرجه أبو داود (٥١١٦) وقال محقق جامع الأصول اسناده حسن.

(٢) رواه أبو داود رقم (٥١٢١) في الأدب، وله شواهد يتقوى بها فالحديث حسن.

(٣) سورة الأنفال: الآية (٤٦).

(٤) سورة آل عمران: الآيتان (١٠٤-١٠٥)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(١). وقال عز وجل: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾(٢).

إن هذه الآيات تبين أن الاختلاف والتفرق أمر مذموم، وما ذكر الله لنا أحوال أهل الكتاب من الأمم السابقة إلا لنتعظ ونعتبر ولا نكون مثلهم، وأن سبيل الخروج من هذه الاختلافات هو الاعتصام بالكتاب والسنة فقد قال الله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣).

إن الأئمة رحمهم الله الذين تنتسب إليهم المذاهب الإسلامية كانوا من أشد الناس إنكاراً على دعاة التفرق والتنازع، وإنهم جميعا خدموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفنوا حياتهم في إثراء الفقه الإسلامي وتقديم الحلول لكل القضايا التي واجهوها في عصرهم، ولكنهم جميعاً حذروا من الجمود على

---

(١) سورة البينة: الآيتان (٤-٥).

(٢) سورة الشورى: الآيتان (١٣-١٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

بعض الأقوال والفتاوى؛ فقد قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: (إذا صح الحديث فهو مذهبي) وقال أيضاً: (حرام على من يعرف دليلاً أن يفتي بكلامي؛ فإننا بشر نقول اليوم شيئاً ونرجع عنه غداً، أو قال: أتركه بعد غد).

وقال الإمام مالك: (إنما أنا بشر أخطيء وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه).

وقال الإمام الشافعي: (أجمع المسلمون على أن من استبان على سنة من رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد). وقال أيضاً: (إذا صح الحديث فهو مذهبي). وقال الإمام أحمد رحمه الله: (لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، خذوا من حيث أخذوا).

كل هذه الأقوال وغيرها مما ورد عن بعض الأئمة رحمهم الله، وعن بعض أئمة أهل البيت تبين بوضوح أنهم لم يكونوا يرضون بالجمود على الأقوال والآراء، بل كان منهجهم جميعاً هو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد أوجب الله سبحانه وتعالى علينا الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ للخروج من الخلافات فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(١).

إن الأرضية المنشودة للوحدة الإسلامية يجب أن تعتمد على الأسس السابقة التي ذكرناها، وينبغي علينا أن نستلهم دين الأمة في إيجاد عوامل وحدتها، ومن هذا الاستلهام، ومن القواعد الأربع السابقة يمكن أن تحدد عوامل وحدة العمل الإسلامي بما يلي:

---

(١) سورة: النساء، الآية: (٥٩).

العامل الأول: وحدة المعتقد:

إن علماء الاجتماع في الغرب الصليبي ينفون العامل الديني عن أن يكون عامل توحيد، وقد يضعه بعضهم في ذيل قائمة العوامل الأخرى التي في مقدمتها الجنس واللغة والثقافة.

ولذلك كان هؤلاء الغربيون يبعدون ((الدين)) عن التأثير في بناء وحدة أتباعه، ونحن - المسلمين - نرى تأثير الإسلام في بناء وحدتنا ماثلاً كما أمر به كتاب ربنا (القرآن الكريم) الذي قرر ذلك مرتين في قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

ثم في أمره الصريح للأمة في الاعتصام جميعاً بحبل الله ونهيه عن التفرق والاختلاف: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[2].

إن الإسلام هو العامل الأكبر والأعظم من عوامل توحيد أمتنا؛ لأنه الجامع لكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج بيت الله، بغض النظر عن كل ما وراء ذلك من الاختلاف.

العامل الثاني: (وحدة التاريخ المشترك):

إن المتابعة الواقعية لأحداث التاريخ تؤكد أن كل ما وقع في تاريخ المسلمين من هزائم أو انتصارات قد عاشه المسلمون معاً وإن تباعدت بينهم الأقطار، وأن كل حدث يقع يترك صداه وتنعكس ردود أفعاله على الجميع أياً كان موقعهم بدءاً من نصر (بدر) وهزيمة (أحد) في عهد الرسول

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٩٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

صلوات الله وسلامه عليه، ومروراً بمواجهة المغول والصليبيين في الحروب المعروفة، وما صحب حركات الجهاد التي قام بها عبر التاريخ كثيرون من أبناء أمتنا في مغرب العالم الإسلامي إلى مشرقه؛ كل ذلك يؤكد وحدة التاريخ ووحدة الآلام والآمال التي عاشتها الأمة المسلمة عبر تاريخها الطويل، وأن لهذا التاريخ آثاره التي يجب أخذها في الاعتبار عند تقويم أوضاع الأمة ودراسة الايجابي والسلبي من المواقف والتصرفات التي يستفاد منها في التخطيط للمستقبل.

العامل الثالث: (وحدة المستقبل والمصير):

في ظل التحديات التي تواجهها الأمة وهي مجزأة الأوصال؛ فإن توحيد تعاملنا مع المتغيرات المستجدة والتحديات هو واجب على كل الشعوب حكاماً ومحكومين وعلى الأفراد المسلمين من ذوي الرأي والمشورة أو من نسيمهم أهل الحل والعقد أن يعملوا على تحقيق الأهداف وأن يكونوا على وعي شامل بخطر ما يخبئه المستقبل للإسلام وللمسلمين.

من ذلك ما صرح به الأمريكي (صموئيل هنانتجتون) فيلسوف الإستراتيجية الغربية المعاصر في كتابه الشهير (الإسلام والغرب) حول آفاق الصدام، والذي أكد فيه أن الصراع في القرن الحادي والعشرين هو صراع الحضارات، وأن التفوق الحتمي للحضارة الغربية أي للمادية العلمانية، وللعالم الصليبي وليس للعالم الإسلامي.

بل إن الأمر في الغرب لم يقف عند تصريحات رجال الدين المخططين من صناع الفكر السياسي، بل قد جاوز الأمر إلى أن يعلن الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) في كتابه الشهير (الفرصة السانحة) بعد القضاء على العدو الأحمر (الاتحاد السوفيتي) لم يبق أمام الغرب بزعامة

الولايات المتحدة سوى العدو الأخضر (يعني بذلك الإسلام).

فهل يكون من المقبول أو المعقول شرعاً وسياسة أن نسمح لأنفسنا بالتفريط فى إعلان التفافنا حول شعار وحدة العمل بين المسلمين لمواجهة هذه المخاطر الكبار وأمثالها، وشعار (التضامن الإسلامي) الذي رفعه الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله وأجزل مثوبته - وهو وإن كان مقولة زعيم سياسي كبير؛ لكنه تعبير كبير عن مضمون الحديث النبوي الشريف الذي يعتبر حال المسلمين في صورة الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

العامل الرابع: (الوحدة لأداء مهام الرسالة):

على أن لقضية وحدة المسلمين وجهاً آخر عالمياً وإنسانياً مؤسسا على ما هو منوط بنا نحن المسلمين بموجبات ((الخيرية)) التي وصفنا بها القرآن الكريم في قول الحق سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1].

فالخيرية هنا لا تستند إلى تمييز للعرق والجنس أو اللون أو الشعب أو القبيلة على نحو ما يزعمه بنو إسرائيل من أنهم شعب الله المختار؛ ولكنها خيرية مؤسسة على سببية النهوض بالدور الحضاري الكبير الذي ناطه الإسلام بأعناق أبناء هذه الأمة بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويعلنوا الإيمان بالله وبالنبي ﷺ.

إن مهمة أمتنا وواجبها أن تعلن عطاء الإسلام في قضايا العدل

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

الاجتماعي وحقوق عباد الله في الحصول على نصيبهم من رزق الله تعالى، وأن تعلن للعالم موقف الإسلام من آمال البشر، وأنه لا يسمح أبداً باستعباد المال للإنسان؛ بل ينبغي أن يكون المال خادماً للإنسان وسبباً لتمتعه بنعم الله تعالى.

كما أن من واجبها أن تعلن موقف الإسلام من العلم وتشريفه له وتكريمه للعلماء شريطة ألاّ يغتر العلماء بالعلم فيؤلهونه ويحلونه مكان الخالق الذي علمهم إياه في الإجلال والإكبار.

وفوق هذا وضع الإسلام العلم في الإطار الأخلاقي النافع للبشرية والشافي لآلامها.

أيها ا لإخوة المؤتمرون: في هذا الزمن الذي يسعى فيه أعداء الأمة إلى فرض الهزيمة على أمة الإسلام نشطت روح المقاومة الثقافية في الشعوب الإسلامية:هذه الروح تعلن رفضها للانهزام وتدعو بأقصى إمكاناتها إلى إعادة وحدة الأمة المسلمة.

ورغم أن الوحدة لم تتحقق، فإن المطالبة بها ما تزال قائمة، وما دمنا في جميع أقطار الأرض نلتقي عند الصلاة إلى القبلة الواحدة وهي الكعبة المشرفة في مكة المكرمة؛ فلماذا لا نكثف مساعينا على وحدة المصالح والأهداف والآمال المشتركة في أعمال المسلمين؟

أيها الإخوة الكرام: إن التجارب الماضية تجعلنا نلح ابتداء على وحدة الخطاب الإسلامي فذلك أدعى لإيجاد الأرضية المطلوبة لوحدة العمل الإسلامي ولتمكين عوامل التضامن التي تقدم ذكرها في نفوس المسلمين حكاماً ومحكومين.

مقررات وتوصيات:

أولا: أن يلتزم المسلمون في كافة أنحاء العالم الإسلامي جماعات وأفراداً بإبراز عوامل الاتفاق والاجتماع بين المسلمين، وأن يبتعدوا عن عوامل الاختلاف والنزاع؛ لأنه من الطبيعي بين بني البشر كلهم أن تكون بينهم خلافات وبخاصة في العصور القديمة حيث لم يكن يتسنى للكثير من المسلمين أن يلتقوا مع إخوانهم المسلمين من أرباب المذاهب المخالفة لمذهبهم، بسبب تباعد الأقطار وصعوبة السفر في الأزمان القديمة ومخاطره.

أما الآن فقد زال ذلك كله وتيسرت أسباب الاتصال، سواء أكانت شخصية أم جماعية، مقروءة أم مكتوبة؛ فإنه لا عذر لمن لا يحاول أن يفهم ما لدى إخوانه المسلمين البعيدين عنه في الدار.

وما هذا المؤتمر ذو الغاية الشريفة وهو (المؤتمر الدولي السابع عشر للوحدة الإسلامية) إلا أنموذجاً على إرادة الاتصال بين المسلمين بطرح الأفكار التي ينبغي أن يعقبها التفهم والتفاهم بين المسلمين على نقاط الالتقاء والاتفاق، والبعد عن مواطن النزاع والشقاق.

ثانياً: أن تحترم إرادة أهل كل مذهب من المذاهب الإسلامية في حرية التمسك أو عدم التمسك في الأمور الداخلية المتعلقة بمذهبهم إلا إذا اتفقوا مع غيرهم من أهل المذاهب المختلفة، على بحث تلك الأمور بحثاً أخوياً يراد منه الاتفاق و التآلف.

أيها الإخوة المؤتمرون: إن هذا العصر هو عصر الاتفاق بين الذين كانوا مختلفين في أمور جوهرية، بل كان الاختلاف بينهم قد بلغ الحروب الممتدة المتصلة لعشرات السنين كالحروب التي وقعت بين أمم أوروبا مثل حرب السبعين وحرب المائة عام، وهي معروفة في التاريخ، ومع ذلك لم تمنع تلك

الحروب واختلاف التاريخ، بل واختلاف المذاهب أو لنقل الأديان المسيحية بين كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية من أن يجتمع الأوربيون الآن في الاتحاد الأوروبي لأن مصالح شعوبهم اقتضت ذلك.

ونحن المسلمين أولى بهذا الاجتماع والتآلف من الأوروبيين؛ لأن الدين الواحد المتمثل في أركانه الخمسة يجمعنا جميعاً، ولشيء مهم عند العقلاء وهو أننا مستهدفون من قوى عاتية معادية لا تمكن مواجهتها إلا بالعمل الإسلامي الجماعي.

ثالثاً: أن يؤكد المؤتمر على أن من أوجب واجبات العلماء والدعاة وأهل الفكر الإلحاح على أصحاب القرار السياسي في البلدان الإسلامية لتوحيد صفوفهم، والحرص على وحدة العمل الإسلامي.

رابعاً: أن يؤكد المؤتمر على أن جميع أفراد الشعوب والأقليات المسلمة إخوة في الله، لا يجوز أن يفرق بينهم بسبب الأجناس والألوان.

خامسا: التأكد بأن التفرقة بين المسلمين من أسباب ضعفهم، وأن الاستمرار على التفرقة معصية لله سبحانه وتعالى الذي نهى عن التفرق ودعا إلى التمسك بحبله المتين: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

سادساً: التنبيه إلى أن الدعوات المنحرفة التي سادت بعض صفوف الأمة في القرن الميلادي الماضي من علمانية وقومية وشيوعية وأمثالها من الدعوات الحزبية فرقت الأمة وشتتت طاقاتها وأسهمت في ضعفها، مع التأكيد على أن

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

توحيد صفوف الأمة لا يكون إلا على أسس إسلامية، بينما تؤدي جميع المناهج الوضعية والحزبية إلى التفريق والتحزب المقيت الذي يبرأ الإسلام منه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(١).

سابعاً: حث المنظمات الإسلامية الرسمية والشعبية على السعي إلى فض النزاعات القائمة داخل بعض البلدان الإسلامية وإصلاح ذات البين بين فئاتها المختلفة، وذلك على أسس شرعية تنهي أشكال النزاع بين صفوف الأمة انصياعاً لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢).

ثامناً: دعوة جميع المسلمين إلى التضامن والتكافل والتراحم والتعاون على البر والتقوى في جميع شؤون حياتهم وذلك ما أمر الله سبحانه وتعالى به جميع المسلمين بقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(٣)، وبيان أن التعاون والتراحم والتضامن والتكافل أمور تقتضي من المسلمين وحدة جماعتهم لما حذر منه الرسول ﷺ: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية)) ويحذر المؤتمر من أن تفرق الأمة إلى جماعات وطوائف وأحزاب يسهل على أعدائها أن يقهروها و يهزموها.

تاسعاً: أن يدعو مؤتمركم هذا منظمة المؤتمر الإسلامي إلى إنفاذ جميع المباديء والقرارات التي اتخذت في مؤتمرات القمة ومؤتمرات الوزراء

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٥٩).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٤٦).

(٣) سورة المائدة: الآية (٢).

المسلمين مما يتعلق بوحدة العمل الإسلامي وتضامن المسلمين وتعاونهم.

عاشراً: دعوة حكومات الدول الإسلامية إلى النظر في إيجاد سوق إسلامية مشتركة في مقابل عولمة السوق الاقتصادية وسياستها التي تقتضي بالنتيجة أن تكون الأمم والشعوب الإسلامية جهات استهلاك فقط، بالإضافة إلى تأثيرها على القرارات الاقتصادية للمسلمين ومطالبة العلماء والفقهاء والاقتصاديين والأكاديميين المسلمين المتخصصين بالإسهام في وضع المشروع الإسلامي للسوق الإسلامية المشتركة التي بات قيامها أمراً ضرورياً وحاجة ملحة.

وختاماً نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين رشدهم ويوفقهم قادة وشعوباً إلى العمل الصالح النافع لهم ولمن شاء الله من غيرهم، إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

❁ ❁ ❁

التضامن الإسلامي ضرورة للسلام العالمي

إن الإسلام جاء ببذل البر والإحسان حتى للمخالفين من غير المسلمين قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١).

وأوضح في الآية الكريمة التي بعدها من هم الذين نهى المسلمون عن برهم وتوليهم فقال: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٢).

وسألت إحدى الصحابيات رسول الله ﷺ قائلة: يا رسول الله إن لي أماً مشركة أفأبرها أو قالت: أفأصلها؟ فقال ﷺ: نعم صلي أمك. أو ما هذا معناه.

وأمر المؤمنين بالوفاء بالعهود والمواثيق فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾(٣).

بل أمر بالوفاء بالتعهدات بالأمان لغير المسلمين فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الممتحنة: الآية (٨).

(٢) سورة الممتحنة: الآية (٩).

(٣) سورة المائدة: الآية (١).

(٤) سورة التوبة: الآية (٦).

حتى ما التزم به أفراد المسلمين تجاه المشركين فقد أجارت إحدى الصحابيات وهي (أم هانيء) أحد المشركين، فقال الرسول ﷺ: قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانيء.

ونهى عن إيذاء المعاهد والذمي فقال ﷺ: ((من قتل معاهداً أو ذمياً لم يرح رائحة الجنة))[1].

* * * * *

* الإسلام والسلام:

يتضح القرب الشديد بين كلمتي الإسلام والسلام؛ فكلتاهما من مادة واحدة هي (سلم) بالعربية التي تدل على السلامة والأمان، ولذلك كانت تحية المسلمين فيما بينهم (السلام عليكم) وكيف لا يكون الأمر كذلك واسم (السلام) من الأسماء الحسنى لربنا عز وجل.

ولقد حث القرآن الكريم على السلام الذي هو نقيض الحرب بعبارات واضحة صريحة فقال تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

والمراد بمن يجنحون أي يميلون إلى السلام غير المسلمين بطبيعة الحال.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾[3].

وقال النبي ﷺ: ((لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا)).

---

(١) البخاري - الفتح (٦/ ٣١٦٦).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦١).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٠٨).

بل إن الإسلام أمر بالرأفة والرحمة حتى بالحيوانات فقال ﷺ: ((إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته))[1].

وقال ﷺ: ((دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض)).

وقال: ((غفر الله لبغي سقت كلباً عطشان)).

فالعالم الإسلامي إذا اتبع هذه الأوامر الإسلامية الصريحة في التضامن والتعاون على الخير فيما بين المسلمين أنفسهم ومحبة الخير والنفع العام حتى لغير المسلمين والوفاء بالتعهدات والالتزامات مع غير المسلمين؛ فإن ذلك لا شك سيكون في مصلحة السلام العالمي بل هو ضرورة للسلام العالمي وبخاصة إذا فعل العالم الإسلامي ذلك وهو يعمل على استغلال هذه الثروات الطبيعية والطاقات الهائلة التي تزخر بها أرضه والتي تحتاج إلى التعاون مع الدول والهيئات الأخرى في العالم غير المسلمة على استغلال هذه الثروات و إعمار البلاد الإسلامية الواسعة.

*****

* السلام المزعوم:

أما السلام المزعوم الذي تنادي به بعض الدول العظمى غير الإسلامية فإنه ليس سلاماً حقيقياً؛ لأنه في الوقت الذي تتسابق فيه القوى العالمية العظمى في ميدان التسلّح النووي المدمر وتقوية ترسانتها العسكرية بأفظع أنواع الأسلحة الحديثة الفتاكة؛ فإن كل واحدة منها تدعي لنفسها أنها داعية

---

(١) رواه مسلم: (١٩٥٥).

إلى تحقيق السلام العالمي وحاملة رايته، والواقع أن ذلك ليس السلام الحقيقي وإنما سلام المصالح المبني على محافظة كل منها بمناطق سيطرتها ونفوذها على البلاد الصغيرة والشعوب الضعيفة وإبقاء قبضتها المحكمة على مصائر تلك البلاد والشعوب؛ فلا يهم تلك القوى سوى تحقيق مصالحها ومطامعها بغض النظر عن مصالح الآخرين حتى ولو كان ذلك السلام يتم في ظل الاضطهاد والتفرقة الطبقية الاجتماعية والعنصرية والاستغلال الاقتصادي المحرم.

أما السلام في الإسلام فإنه ينطلق مباشرة من (عقيدة الإنسان بالإيمان بالله) ومن (وجوب استسلام الإنسان لشريعة الله) وفي هذا ضمان للسلام مع الجميع؛ فإن السلام في الإسلام ملازم لقبول الإنسان الدخول في الإسلام؛ لأن إسلام الإنسان معناه خضوعه واستسلامه لشريعة الإسلام ولذلك قال رسول الله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[1].

وبهذا يتضح أن مبدأ السلام في الإسلام ليس نظرياً غامضاً وإنما يتم على أسس واضحة تمس مختلف جوانب الحياة؛ سواء في ذلك العقيدة فيما بين أصحاب الأديان كما في الآية الكريمة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[2] أو في الحياة الخاصة في نطاق مصالح الجماعة.

وتحقيق السلام بينهم وعدم تعدي الحدود إلى نهب أموال الناس وأكلها بالباطل كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ

(١) رواه البخاري - الفتح (١/ ١٠)، ومسلم (٤٠).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢٥٦).
(٣) سورة البقرة: الآية (١٨٨).

ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(١).

وقد أوضح الإسلام دستور السلام في العلاقات بين بني البشر ليسهل التعارف والتقارب فيما بينهم في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٢).

كما أن الإسلام قد وضع مبدأ المساواة بين الناس دون النظر إلى اختلاف أجناسهم وأعراقهم؛ فقال رسول الهدى - عليه الصلاة والتسليم -: ((لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى)).

وكمثال لمبدأ السلام الذي وضعه الإسلام في تحقيق العدالة في الحكم حتى لغير المسلمين ويتمثل ذلك في قوله: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٣).

ولقد سجل التاريخ صفحات ذهبية من تاريخ تطبيق الإسلام المجيد وما تحقق خلاله من إنجازات رائعة في إشاعة الأمن والسلام، ويكفي أن نضرب لذلك مثلاً واحداً في حالة الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ حيث كان يسودها التطاحن والحروب بين قبائلها فأصبحت بفضل الله تعالى بعد الإسلام أنموذجاً لتحقيق العدالة والتكافل الاجتماعيين والمساواة بين الناس؛ بل قدمت نماذج ممتازة صارت مثلاً عليا في النزاهة والعدالة مثل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

---

(١) سورة القصص: الآية (٧٧).

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٣).

(٣) سورة المائدة: الآية (٨).

* وضع المسلمين:

غير أنه يجب علينا - نحن المسلمين - أن نعترف بأننا مقصرون في اتباع أوامر الله تعالى ورسوله في التضامن والتعاون على البر والتقوى، فبعض المسلمين لا يلتزمون بذلك؛ بل إن بعضهم يعمل عكس ما تأمر به تلك الأوامر، ولذلك نجد بعض المنازعات وأحياناً الحروب بين البلاد الإسلامية كما هو عليه الحال في الحرب ما بين العراق وإيران في الوقت الحاضر وهي حرب ضد أوامر الله تعالى؛ لأنها مزقت شمل المسلمين وشلت قوتهم وألهتهم عن أعدائهم الحقيقيين الألداء من اليهود الذين استولوا على المسجد الأقصى وأذلوا المسلمين وأعلنوا أن دولتهم لن تتخلى عما اغتصبته من بلاد المسلمين؛ بل إنها تسعى إلى اغتصاب أراضي جديدة من أراضي المسلمين.

ولقد بيّن القرآن الكريم كيف يتصرف المسلمون إذا قامت نزاعات أو حروب بين بعض المسلمين فقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

ولكن أحد الجانبين المتحاربين في هذه الحرب المشؤومة ما بين القطرين المسلمين إيران والعراق لا يصغى إلى النصح، ولا يميل إلى الصلح، فماذا فعل بقية المسلمين تجاه ذلك؟ هل فعلوا ما يستطيعون من توجيه الضغوط عليه حتى يقبل بالصلح؟ ويفيء إلى أمر الله؟

لا شك أن الجواب سيكون بالنفي ولذلك استمرت الحرب لأن المسلمين

---

(١) سورة الحجرات: الآية (٩).

لم يعملوا بما أمر القرآن الكريم به من التصرف إزاءها[1].

ولا شك أن واقع المسلمين هذا قابل للتغيير؛ بل هو قابل للتحسن؛ إذ ما على المسلمين إلا أن يلتزموا بما أمرهم الله به من التعاون على البر والتقوى ومن الإحسان إلى الآخرين وسيدركون بذلك العز والتمكين.

وأهم أسس التضامن الإسلامي ترسيخ الإخوة الإيمانية ونبذ الخلافات والانشقاقات في المسلمين امتثالاً لأمر الله جل وعلا في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[3].

وقول النبي ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلِمه ...))[4].

وبذلك يشيع العدل ويساهم المسلمون في ترسيخ السلام العالمي؛ بل تستفيد الإنسانية كلها من التعامل مع العالم الإسلامي الموحد المستقر.

والله الموفق

---

(١) انظر التضامن الإسلامي الكبير في ظلال دعوة القائد الزعيم فيصل بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله / محمد حسن عواد - الطبعة الأولى عام ١٣٩٤هـ - ضمن منشورات نادي جدة الأدبي.

(٢) سورة الحجرات: الآية (١٠).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٤) البخاري - الفتح (٥/ ٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

۞ الإسلام دين الأمن والسلام

بقلم محمد بن ناصر العبودي

الإسلام هو دين السلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والبعد عن الشرك، وهو نور في البصائر، وصلاح في الباطن والظاهر، لا خير إلا وقد احتواه، ولا شر إلا وقد نفاه، إنه ينبوع الملل، وأساس الديانات قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١).

وعن الإسلام وأنه دين السلام يتحدث الشيخ العبودي قائلاً:

أما بعد: فإنني أحمد الله الذي يسر لي زيارة (دار العلوم السلفية الأحمدية) التي كنت زرتها زيارة قديمة منذ نحو ثلاثين عاماً ولم تتكرر حتى الآن.

وقد قابلت مديرها الدكتور سيد عبد الحفيظ السلفي، رحمه الله وجزاه عن العلم وأهله خيراً، فوجدته نعم الرجل المخلص لدينه ووطنه الذي سعى جل سعيه وطول وقته في خدمة العلم والعلماء في هذا الركن من الوطن الهندي العريق، بل لم يقتصر على ذلك حتى أتاح الفرصة لبعض أبناء المسلمين من نيبال وغيرها للدراسة والتعلم، ومع ذلك لم ينس أنه هندي ابن هندي، وأن صلته بهذا الوطن الهندي الكبير عريقة، فلم يفعل مثل أكثر العلماء المسلمين في هذه البلاد إلا ما يشرف هذا الوطن الهندي عند المسلمين في الخارج.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٨٥).

لذا كان من الواجب عليّ أن أستجيب للدعوة التي قدمها إليّ ابنه الدكتور (سيد عبد العزيز السلفي) مدير الدار، وانتهزت فرصة زيارة الهند لأضع في البرنامج رؤية إخوة لي أعزة في هذه البلاد، وذلك رغم ضيق الوقت وزحمة العمل في الرابطة.

أيها الإخوة المسلمون: إنكم في الهند عريقون عراقة التاريخ الذي يرقى إلى أكثر من ألف عام، ولو حاول أحد أن يمحو من التاريخ أثر المسلمين في الهند سواء كانوا حكاماً أو محكومين أم تجاراً أو مهاجرين فإنه لا يستطيع إلاّ إذا رضي بأن يمحو من تاريخ الهند فترات لا يتم تاريخ البلاد إلاّ بها.

ولذلك قابلنا بالاستغراب والاستنكار من زعم بأن المسلمين غرباء عن الهند، وأنهم يجب أن يصبحوا هنوداً.

والجواب عن ذلك أنهم هنود أصلاً وفصلاً بمعنى أنهم مواطنون أصلاء في الهند، وليسوا بغرباء بدليل أنهم ليست لهم بلاد غير بلاد الهند، وليس لهم انتماء وطني لغير وطن الهند.

أما الاهتمام الديني والثقافي بأقوام خارج بلاد الهند، فإن هذا من طبيعة الأشياء، ونحن نرى أناساً من سائر الأقوام يهتمون بأهل دينهم وبثقافة معتقدهم، وبأناس خارج الحدود، ومنهم المهاجرون من أهل الهند في البلدان الغربية وغيرها، وكلنا نعرف أن ذلك لا يقلل من انتماء المسلمين إلى هذا الوطن الهندي العريق في الطب والمعرفة.

ولا شك أن عقلاء هذه البلاد وقادتها يعرفون ذلك، ولكن يبقى عليكم واجبات لوطنكم كما لكم حقوق وهي أن تتعاونوا مع مواطنيكم غير المسلمين في هذه البلاد، وعلى الحرص على ما هو لمصلحة الجميع فيه من مرافق كالمستشفيات والطرق والميادين والحدائق، وأن تساعدوا بقدر

طاقتكم كل من احتاج للمساعدة من أبنائه؛ فقد جاء الإسلام بالخير والصالح العام للبشرية كلها، ولا يمكن لقائل عالم أو عاقل أن يقول: إن الإسلام جاء بالخير للمسلمين وحدهم، قال الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(١).

ومن الخير لهم مساعدة العاجز والضعيف وإطعام الجائع وكسوة العاري بقدر الطاقة والاستطاعة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٢).

أيها الإخوة المسلمون.. أيها الأصدقاء الهنود: لاحظت من خلال زياراتي للهند التي ابتدأت منذ (٣٦) سنة أن الهند تتقدم بخطاً حثيثة في مضمار ارتفاع مستوى المعيشة من مأكل ومشرب وملبس يعرف ذلك من الذي عرف الهند ثم غاب عنها ثم عاد إليها.

ومن العجيب الغريب أنه إثر استقلال الهند في عام ١٩٤٧م حدثت فيها مجاعة نتيجة نقص الحبوب ولقلة الأغذية الأخرى؛ حيث كتبت مجلة (ريدرز دايجست) في طبعتها العربية أن أحد زعماء الولايات المتحدة الأمريكية قال: إن على أمريكا أن تزرع ليأكل أهل الهند، وأن عليها أن تحسب حساباً لذلك، ويومها كان مقدار سكان الهند (٢٨٠) مليوناً، والآن زاد عدد سكانها عن المليار، وقد استغنت عن استيراد القمح من أمريكا، بل إنه وجد عندها فائض من القمح في بعض السنوات الفائتة: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾(٣).

---

(١) سورة سبأ: الآية (٢٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٨٦).

(٣) سورة هود: الآية (٦).

ولاشك في أن من أسباب ذلك أخذ أهل الهند بالأسباب الموجبة لذلك حتى نجحوا، ونحن نأمل أن ينجحوا أيضاً في طرد أي إحساس بالخوف أو بانخفاض المنزلة لجميع سكان الهند على اختلاف طوائفهم وأديانهم.

ونعود إلى موضوع المذاكرة الذي اختارته هذه الجامعة وهو (الإسلام دين الأمن والسلام).

نقول: إنها أحسنت الاختيار؛ لأن ذلك ينسجم حتى مع اسم الإسلام، فالإسلام في اللغة هو في الأصل من (سلم يسلم) في الثلاثي و(أسلم يسلم في الرباعي) ومنه السلام الذي صار تحية المسلمين (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

وقد جاء الإسلام بتكريم بني آدم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

وهذه عامة لبني آدم كلهم؛ ولذلك قال علماء المسلمين: إن بدن الكافر طاهر بمعنى أنه ليس نجساً لا يجوز للمسلم مسه، أو إذا لمس ثوب مسلم أو يده وجب عليه غسلها.

بل الإسلام جاء بالرفق بالحيوان والعناية به؛ حيث حث الرسول الكريم محمد ﷺ على الرفق بالحيوان وضرب في الحديث لذلك أمثالاً منها: «المرأة الفاجرة التي سقت كلباً ماء فغفر الله لها بذلك» ، وروى حديث آخر «أن ممن كان قبلكم رجل رأى كلباً عطشان في الحر يدور حول البئر فقال: إن في هذا الكلب من العطش والحاجة إلى الماء مثل ما بي، فنزل إلى البئر وغرف

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٠).

ماء من البئر في خفه ثم سقى منه الكلب فغفر الله له))[1].

وذكر الرسول ﷺ عقاب من أساء إلى حيوان فقال: ((دخلت امرأة النار في هرة، لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض))[2]. وخشاش الأرض ما فيها من حيوان صغير كالفأر ونحوه وحتى الحشرات التي تأكلها الهرة في العادة وهي القطة.

وفيما يتعلق بالإرهاب الذي يراد منه القتل والتخريب بدون تمييز والاعتداء على الأشخاص والممتلكات فإن الإسلام حرم هذا، قال الرسول ﷺ: يوم حجة الوداع مخاطباً جميع الحجاج في مكة المكرمة؛ المراد بذلك الخطاب جميع المسلمين إلى يوم القيامة: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا))[3].

ونهى عن إيذاء المعاهد والمستأمن من غير المسلمين في بلاد المسلمين، فقال: ((من قتل معاهداً لم يرح ريح الجنة))[4].

ولا شك أنكم سوف توفون الموضوعات المذكورة بحثاً وإيضاحاً يستفيد منه الجميع بإذن الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد بن ناصر العبودي.

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري - الفتح - باب (٢٧).
(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٥٤)، ومسلم رقم (٢٢٤٢).
(٣) البخاري (٤٤٠٧)، ومسلم (١٢١٨).
(٤) البخاري - الفتح (٦/ ٣١٦٦).

مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس(1)

حوار - الحبيب الشريف

شاركت رابطة العالم الإسلامي في المؤتمرات الدولية التي أقيمت من أجل مناقشة قضية القدس الشريف والمقدسات الإسلامية فيها وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، وفي المؤتمر الذي عقد تحت عنوان (مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس) مثل الرابطة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد.

وفي لقاء لـ (العالم الإسلامي) مع معاليه أكد - حفظه الله - أن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة لا تألو جهداً في طرح قضية القدس على الرأي العام العالمي الذي بدأ يتفهم تدريجياً وجهة النظر الإسلامية تجاه هذه القضية المقدسة،وقال في حديثه للعالم الإسلامي: لقد اهتمت رابطة العالم الإسلامي منذ أول إنشائها بالقدس الشريف، وقد واكبت الخطوات أو الوقائع المحزنة التي تمت من قبل الأعداء في موضوع القدس الشريف.

فمنذ سنوات والمجلس التأسيسي للرابطة يبحث موضوع القدس في كل جلسة ويعد القرارات المناسبة، وليس معنى ذلك أن هذه القرارات هي نسخ متعددة لقرار واحد، ولكنها تختلف حسب المستجدات على القضية.

وقد اتخذت الرابطة خطوات أخرى في سبيل التعريف بقضية القدس، وحث المسلمين على العمل من أجل خلاصها، ومن ذلك أن المجلس الأعلى

---

(١) انظر جريدة العالم الإسلامي - الاثنين ١٥-٢١/ ذو القعدة ١٤١٧هـ الموافق: ٢٤-٣٠/ مارس ١٩٩٧م.

العالمي للمساجد اتخذ قراراً لحث الخطباء في جميع مساجد العالم، وليس في بلاد الأكثريات المسلمة فقط، بل في جميع البلاد ومنها بلاد الأقليات المسلمة التي لا ينبغي أن نخرجها من مفهوم العالم الإسلامي لأنها جماعات كبيرة كالمسلمين في الهند الذين يبلغ تعدادهم « ١٢٠ » مليون مسلم، ومن ذلك ينبغي أن نقول الأمة المسلمة لأن هذا يدخل فيه المسلمون جميعاً، المسلمون في بلاد الأكثريات المسلمة والأقليات المسلمة، وحتى الجماعات الصغيرة النائية ومواطنيها من الحواضر الإسلامية.

لقد قرر المجلس الأعلى العالمي للمساجد الذي أنشأته الرابطة العمل على الكتابة لجميع خطباء الجمعة في العالم كله لأن يشرحوا للمسلمين قضية القدس وحق العرب والمسلمين فيها، وأن اليهود يدافعون عن باطلهم، ثم بنفوذهم يحصلون على أحدث أنواع الأسلحة.

ولذلك من الصعب أن يستطيع فريق عربي مسلم الآن أن يقف في وجوههم بمفرده بدون مساعدة إخوته المسلمين على إحقاق الحق، وإرغام الخصم على التسليم أي على أن يخرج هذه الشعارات إلى حيز الوجود.. لأن قول الحق مرحلة وتنفيذ هذا الحق مرحلة ثانية؛ إذ لم يقترن الكلام على الحق العربي في فلسطين بالفعل طيلة عقود من السنين مع الأسف، ومن الصعب جداً تنفيذ المرحلة الثانية إلا إذا تعاون المسلمون الذين يملكون إمكانات كبيرة جداً، وبإمكانهم استعمال هذه القدرات واستغلالها لتخليص مدينة القدس.

وبطبيعة الحال فهناك إمكانات كثيرة منها الجهاد الذي حض عليه الإسلام، بل هو مبدأ من مبادىء الإسلام، وقد ورد في الحديث (ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا) وإذا كانت الظروف لا تساعد الآن؛ فإن هناك وسائل

أخرى غير الجهاد؛ هناك الوسائل الاقتصادية، والضغوط على أعوان اليهود؛ فإذا ما هددهم المسلمون بأن مصالحهم الاقتصادية سوف تتأثر فلاشك أنهم سوف يعدلون مواقفهم.

ولكن إذا تحركت دولة واحدة فلا يكون لتلك الدولة الوحيدة أي أثر يذكر، أو يكون أثرها ضعيفاً وقد يعود عليها بالضرر لأن اليهود وأعوانهم ومسانديهم يوجهون إليها من الضغوط مالا تستطيع تحمله.

لكن إذا كانت الدول الإسلامية مجتمعة وفي مقدمتها الدول العربية التي شرفها الله سبحانه وتعالى بأن جعل بلادها هي مهبط الديانات السماوية، ديانات الأنبياء موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، فلا شك أن عليها واجباً مضاعفاً، ويجب أن يكونوا في مقدمة الساعين لتحرير القدس.

وما يتعرض له أهلها المسلمون من اضطهاد، وما يبيته اليهود لها من خطط تجلت أخيراً في كونهم أعلنوا على رؤوس الأشهاد بلسان رئيس وزرائهم المنتخب الجديد وبلسان عدد كبير من وزرائه بأنه لن يقبل أية مباحثات حول القدس، وأن القدس ستكون العاصمة الأبدية لما يسمى بـ (إسرائيل) وأقصد بذلك دولة اليهود.

وهذه بطبيعة الحال جرأة عجيبة على التاريخ، فكيف يقولون إنها تبقى إلى الأبد، وهم لا يعلمون ما يخبؤه الغد، بل إن كثيراً منهم يعلمون ويعرفون أن القدس تعرضت لعدوان مماثل في العصور الوسيطة على أيدي الإفرنج الذين صاروا يسمون الآن بالصليبيين، ثم خلصها الله سبحانه وتعالى منهم على يد القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ومن بعده قادة المسلمين المخلصين، وقد دأب المجلس الأعلى العالمي للمساجد على متابعة قضية القدس واتخاذ القرارات بشأنها.

وفيما يتعلق بالمجلس التأسيسي للرابطة فقد اتخذ خطوات كثيرة، وأصدر قرارات نفذتها الرابطة مثل ما نفذت توصية المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ومنها إنشاء صندوق للقدس تجمع فيه التبرعات، وقد تم هذا بالفعل، ثم إن الرابطة أصدرت عدة مطبوعات عن القدس ووزعتها في حينه، ومنها كتاب اسمه (المركز القانوني للقدس)..

وهو من أفضل الكتب لأنه درس الوضع القانوني للقدس قديماً حتى يومنا هذا.

وهناك كتاب آخر حول القدس.

وما فتئت الرابطة بين الحين والآخر تصدر البيانات وتتخذ الخطوات لإيضاح أهمية العمل الإسلامي من أجل تخليص القدس وتنبيه المسلمين من المخاطر التي يتعرض لها المسجد الأقصى.

وعن انعكاسات هذا الموقف وآثاره، وصدى هذه الأعمال يقول معاليه:

نحن نعرف أن موضوع القدس هو جزء من الموضوع الأعم وهو اغتصاب الصهاينة لفلسطين والاستيلاء على القدس، وكانوا يقولون قبل أن تسقط الحكومة التي كان يرأسها (شمعون بيريز) تلميحاً:

(إن البحث في موضوع القدس العربية الشرقية وإن كانوا لا يصرحون بذلك لأن هذا يناقض ما أعلنوه بأن القدس ستبقى موحدة ولكنهم يقولون: إن القدس ستكون موضع مباحثات عن الوضع النهائي للأراضي الفلسطينية المحتلة ما بين الفلسطينيين والإسرائيليين).

ونعرف أن المشكلة الأساسية التي تعتبر القدس جزءاً منها هي مشكلة صعبة ومعقدة وتحتاج إلى جهود كبيرة، ودور رابطة العالم الإسلامي في هذه المرحلة هو الإيضاح والتبيان، وحث المسلمين على العمل فيما بينهم من أجل

القـدس؛ لأنـه مـن الصعـب علـى إخوانـا الفلسطينيـن أن تكـون لديهـم الإمكانيـات الكاملـة لتحريـر القـدس تحريـراً كامـلاً فعليـا بغيـر طريـق المفاوضات.

لقد اتخذ الفلسطينيون طريق المفاوضـات حسـبما اتفـق عليـه في السـابق مابين منظمة التحرير الفلسطينية، وبين حكومة اليهـود في فلسـطين عـلى أن تبدأ المفاوضات طبقاً لاتفاق أوسلو على مراحل، ويكون البحث في موضوع القدس في المرحلة الأخيرة.

ولكن حدث أمر نسخ ذلك وهـو أن رئـيس الحكومـة اليهوديـة الجديـد المنتخـب أعلـن أنـه دخـل الانتخـاب علـى أسـاس أن القـدس غيـر قابلـة للتفاوض، وأنه لن يكون هناك أي حل للقـدس مـابين الفلسـطينيين، وبـين الإسرائيليين يمس ما أعلنوه من كونها عاصمة أبدية بزعمهم لـدولتهم.. لا في المرحلة الأخيرة ولا في المرحلة الحاضرة.

وهذا لاشك في أنه يوقظ الذين خدعوا من المسلمين بخطوات أو ركنـوا إلى كلام اليهود السابق ولاشك أن الولايات المتحدة الأمريكيـة كانـت وراء هذه المباحثات، وهي الدولة العظمى الآن من الناحية الماليـة والعسـكرية في العالم، وهي التي تولت رعاية هذا الاتفاق.

فلا شك أن الواجب عليها أن تستمر في رعايـة هـذا الاتفـاق إلى أن يـتم تطبيقه كاملاً، وأن تقاوم الخـروج عليـه مـن قبـل حكومـة اليهـود الجديـدة حكومة نتانياهو التي هي نتيجة ائتلاف تجمع اليهود وغيرها مـن المتعصـبين اليهود؛ لكن هذا لا يعفي الـدول العربيـة والإسـلامية مـن تحريـر القـدس بالوسائل الصحيحة والممكنة.

بل إنه ينبغي أن تكون جهودها هي الأساس. نحن لا نقول يجب أن نقوم اليوم أو في الغد القريب بغزو القدس.

ولا شك أن قادة المسلمين ومنهم قادة الأمة العربية لن يعدموا وسيلة إذا ما اجتمعوا واتفقوا على السعي لطريق تحرير القدس الذي يكون له نتيجة إن شاء الله.

ولذلك خطوات كثيرة.. ونحن ننتظر ما سوف يتقرر في لجنة القدس التي ستنعقد في المغرب في نهاية شهر آذار الحالي.

لقد شاركت رابطة العالم الإسلامي في عدة اجتماعات ولقاءات إسلامية دولية عقدت من أجل القدس آخرها مؤتمر انبثق من رأي الجانب العربي في الحوار المسيحي الإسلامي؛ فهذا الحوار في الحقيقة تم باتفاق بين بعض المسلمين، وبين بعض المسيحيين، وبخاصة مسيحيي الدول العربية.

وقرر هذا الفريق العربي في الحوار المسيحي أنه يجب أن يكون هناك مؤتمر ليبين فيه المجتمعون موقفهم الواضح الصريح من القدس، ولم يقولوا تحرير القدس لأنهم يعلمون أن المؤتمر هذا كأمثاله ليس كافياً لتحرير القدس وإنما قصدوا أن يبينوا للناس الحاجة إلى الدفاع عن القدس.. ولهذا سموا المؤتمر (مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس) لم يقولوا لتحرير القدس، قالوا مسلمون ومسيحيون من أجل القدس.

لقد لبَّت الرابطة الدعوة لحضوره وهي لم تكن في الأساس من المؤسسين له، ولم تكن عضواً في الفريق العربي للحوار المسيحي الإسلامي، وقد استجابت الرابطة من واقع أننا يجب أن نسلك جميع الطرق التي تؤدي إلى إيضاح هذا الموضوع وبيان العدوان اليهودي على القدس.

نحن نعلم أن اليهود لهم سلطان كبير، وسيطرة وتأثير على الإعلام العام العالمي وبخاصة في بلاد القرار الدولي والذي ينطلق غالباً من الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا.

فاليهود لهم نفوذ كبير ومعروف، وقد استغلوا نفوذهم لبث الشبه، ولتبرير دعواهم المتعلقة بالقدس، وإلباسها لباساً يوهم أنها حقائق. ومن ذلك يقولون: إن القدس إسرائيلية ونحن أهل القدس، وإنها لنا من ثلاثة آلاف سنة، مع أن التاريخ يذكر أن نفوذهم على القدس لا يتعدى (٢٨٠- ٣٠٠ سنة) فقط، وقد انقطع ذلك بدخول الرومان إلى فلسطين في القرن الثالث الميلادي أي منذ ١٧ قرناً.

أما العرب فإن أول من استولى على القدس أو كانت القدس بلادهم الكنعانيون، وهم من عرب الجزيرة العربية هاجروا في عصور متقدمة من الجزيرة العربية إلى فلسطين، ثم بعد ذلك لو تركنا التاريخ القديم للعرب الكنعانيين، وذهبنا إلى تاريخ الفتح الإسلامي في القدس وقد مضى عليه ١٤ قرناً لم يتخلله إلا ٩٠ عاماً استولى فيها الإفرنج الصليبيون على القدس، ثم استعادها منهم صلاح الدين.

فتاريخ العرب ووجودهم، وتملكهم واستيلاؤهم على القدس في هذه الفترة الأخيرة امتد ١٤ قرناً من عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تاريخ الانتداب البريطاني في ١٩١٧م.

إذاً فالعرب هم أهل القدس في الحقيقة، وليسوا اليهود؛ فاليهود استولوا على القدس في فترة من الفترات قبل الميلاد، ثم بعد ذلك انقطع نفوذهم السياسي، وهذا يعرفه المؤرخون، لكنهم لبسوا على الرأي العام العالمي، وأثروا فيه عن طريق ادعائهم بأن القدس لهم منذ (٣٠٠٠) سنة.

فالغرض من ذلك المؤتمر الذي حضرته الرابطة - وأنا ممثل لها - هو تبصير الرأي العام العالمي عن طريق ما يملكه المسلمون وما تملكه الجمعيات المسيحية من وسائل الإعلام ووسائل النفوذ في الرأي العام العالمي في موضوع القدس أو بيان أن القدس ليست كما يقول اليهود، وأن القدس عربية طوال هذه الفترة وأن المسلمين والمسيحيين كانت مقدساتهم مصونة يستطيعون الوصول إلى القدس وممارسة شعائرهم على أحسن وجه، طيلة العهد العربي الإسلامي وفقاً للعهدة العمرية: نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم ذكر الشيخ العبودي - حفظه الله - واجب الدول العربية والإسلامية نحو القدس قائلاً:

بطبيعة الحال تعلمون أن إعلان الدول عن مواقفها هو من الجهر بما تريد؛ فالدول الإسلامية عندما تعلن أن القدس عربية إسلامية فهو إعلان للحق، فالواقع أن القضية التي تعتبر القدس جزءاً منها وهي قضية فلسطين هي قضية متشعبة.

فاليهود استطاعوا أن يستغلوا الإمكانات القوية المتوفرة لديهم بأن يجروا إليهم بالتخويف والتهديد، وأحياناً بالوعيد وأحياناً بالترغيب لأنهم جمعوا بين الترغيب والترهيب في الأوساط المفتوحة من الديمقراطية الغربية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا فهم جعلوا كثيراً من الدول والهيئات الفاعلة في تلك الدول تساندهم وتساعدهم، وذلك بعد أن استغلوا إمكاناتهم الخاصة بأن اتحدوا وصاروا يطلبون من الدول كأمريكا وغيرها أن تساعدهم، ويجمعون ما يستطيعون جمعه من المال، ويشترون السلاح للقتال.

ويجب أن يكون الحافز لذلك العمل قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[3]، فيجب على المسلمين أن تكون لهم قوة يرهبها أعداء الله، وهذا أمر ظاهره الوجوب، إلا إذا وجد دليل آخر يصرفه عن الوجوب.

وبطبيعة الحال فإن القوة التي وردت في القرآن الكريم هي (قوة) بالتنكير، والنكرة إذا وردت هكذا تدل على الشمول، وعلى هذا ليس المقصود القوة التي كانت موجودة في العهود القديمة التي تتمثل في الخيل وفي السهام، والسيوف والرماح، وإنما تشمل في الوقت الحاضر القوة الموجودة في هذا العصر المتمثلة في الصواريخ والطائرات وفي جميع المعدات والفنون الحربية وما يستحدث منها.

ثم تحدث الشيخ العبودي عن دور الإعلام في مواجهة النظام العالمي الجديد فقال:

أولاً: لا نقول إن هنالك نظاماً عالمياً جديداً لأن النظام كما تعلمون يكون نتيجة لاتفاق بين مجموعات ضخمة من العالم؛ وإنما نقول إن هنالك وضعاً عالمياً جديداً، نشأ بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

فالنظام العالمي الجديد - كما يسميه البعض - لم يمنع اليهود من تحدي القرارات الدولية الصادرة في مجلس الأمن، ولم يمنعهم من أن يعتدوا على

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: (١٠٣).

(٢) سورة: المائدة، الآية: (٢).

(٣) سورة: الأنفال، الآية: (٦٠).

العرب والمسلمين، ولم يمنعهم من تعطيل قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بالجلاء عن لبنان والجولان؛ فكيف يمنع العرب من استخلاص حقهم الذي قررته ما سموها بالشرعية الدولية؟

بمعنى أن القوانين الدولية أقرته، فكيف يمنعون من السعي لتنفيذه ولا يمنع اليهود من عكس هذا؟.

فالواقع أن المسألة أعمق من ذلك وهو أن العرب والمسلمين لم يبذلوا جهدهم، ولم يستغلوا إمكاناتهم الضخمة الجماعية لتحصيل حقهم هذا هو بيت القصيد.. وإنما الوضع العالمي الجديد كما نعلم أصبحت فيه الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الوحيدة العظمى في العالم التي تستطيع أن تؤثر في الأحداث العالمية وترسم السياسة لها.

ومن المعلوم أن العرب لا يريدون معاندة الولايات المتحدة ولا الخصومة معها لا هي ولا غيرها من البلدان الأخرى، لكن لا نريد أن يرسموا لنا السياسة التي تسير عليها بلداننا؛ فمن المفروض أن يجتمع العرب والمسلمون ويدافعوا عن حقوقهم؛ وذلك من أجل تحصيل الحقوق التي نصت عليها القرارات الدولية الصادرة عن هيئات تعتبر الولايات المتحدة وغيرها من الدول أن قراراتها قانونية، وواجبة التطبيق.

❁ ❁ ❁

واجب المسلم في بلاد الأقليات المسلمة[1]

إعداد وإلقاء/ محمد بن ناصر العبودي

إن الأخلاق الفاضلة من نحو أعمال القلب والعقل والجوارح واللسان مثل صدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والرفق والرأفة والدعاء والذكر وتلاوة القرآن، وكذلك حُب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك كلها داخلة في مفهوم العبادة، وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2]، وبها أرسل الله جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[3]

والدين كله داخل في العبادة التي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، ومن هنا تكون فضائل الأخلاق ومكارمها داخلة في إطار الدين وركناً أساسياً من أركانه[4].

---

(١) كلمة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الحفل الذي أقامته مدرسة النور الإسلامية في بروكلين في أمريكا.

(٢) سورة: الذاريات، الآية: (٥٦).

(٣) سورة: المؤمنون، الآية: (٢٣).

(٤) انظر موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١/ هـ - المقدمة).

إن مكارم الأخلاق التي هي أداب الإسلام جمال لا يوازيه جمال، فهي ميزان الرجال، وأصل الجمال وحظ الإنسان فيها بقدر ما تخلق به من تلك الأخلاق.

وعن واجب المسلم في بلاد الأقليات المسلمة يتحدث الشيخ محمد العبودي قائلاً:

أما بعد: أيها الإخوة الكرام أحييكم بتحية الإسلام، تحية أهل الجنة في دار السلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية نحملها إليكم من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، من مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية: من جوار الكعبة المشرفة.

وستكون كلمتنا الآن مختصرة تتضمن ما ينبغي أن يفعله المسلم الذي يعيش في بلد أكثرية أهله من غير المسلمين، وذلك من باب التذكير والتنبيه لشيء ربما لا يخفى على بعضكم، قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

لقد جاء الإسلام بالأخلاق الفاضلة مما لا يتسع المجال لذكره هنا لكثرته، ونهى عن ضد ذلك مما سوف نشير إليه.

فقد نهى عن الغش في البيع لأن الرسول ﷺ قال: ((من غشنا فليس منا)).

هذا هو لفظ رواية البخاري، وفي صحيح مسلم: ((من غش فليس منا)) وظاهره أن من غش حتى غير المسلمين فإنه ليس من المسلمين.

ولهذا الحديث قصة وهي: ((أن النبي ﷺ خرج إلى سوق المدينة فرأى رجلاً يبيع تمراً في مكتل فأدخل الرسول ﷺ يده الكريمة في التمر فقلبه حتى

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

صار بعض ما في أسفل المكتل من التمر في أعلاه، فوجد فيه بللاً، وهو القليل من الماء أو من أثر الماء فسأل البائع: ما هذا ؟ فقال البائع: أصابته السماء البارحة يا رسول الله، أي أصابه شيء من مطر كان نزل البارحة، فقال الرسول ﷺ: هلا جعلت أسفله أعلاه ليراه الناس، من غشنا فليس منا))[1].

يريد ﷺ أنه ينبغي للبائع أن يجعل المشتري مطّلعاً على عيوب المبيع ولا يخفى عليه شيئاً من ذلك.

ومثل العناية بالجار بتعهده بالبر والإحسان، فضلاً عن كف الأذى عنه، ففيما يتعلق بالأول ورد الحديث النبوي الشريف: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))[2].

وقوله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره))[3].

وفيما يتعلق بكف الأذى عن الجار قال ﷺ: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قال الصحابة: فقلنا: من هو يا رسول الله ؟ فقال: من لا يأمن جاره بوائقه[4]. قال العلماء: البوائق: الغوائل والشرور.

يعني أن الشخص الذي لا يأمن جاره أن يأتيه منه شر أو مكر فإنه ليس بمؤمن. والجار في هذه الأحاديث ورد ذكره مطلقاً دون صفة فهو بهذا يصدق على الجار المسلم وغير المسلم.

وحث الرسول ﷺ على أداء الأمانة فقال: ((لا إيمان لمن لا أمانة له)).

---

(١) مسلم (١٠١)، والترمذي (١٣١٥).

(٢) البخاري – الفتح (١٠/ ٦٠١٤، ٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٤، ٢٦٢٥).

(٣) البخاري – الفتح (١٠/ ٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

(٤) البخاري – الفتح (١٠/ ٦٠١٦).

وعدَّ من يعمل خلاف ذلك من المنافقين فقال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان))[1].

أي إذا أئتمنه غيره على شيء خانه فيه.

وذلك يقتضي نهي المسلم عن هذه الخصال والتحذير من فعلها.

كما ذكر هنا من علامات المنافقين التي لا يجوز أن تكون في المسلم أنه إذا وعد أخلف - أي لم يف بالوعد -.

هذا على مستوى الأفراد، وأما على مستوى الجماعات، بل والدول، وإن كان ذلك يشمل حتى الأفراد فقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[2]. أي يسأل صاحبه عن الوفاء به.

وقال تعالى في مدح المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[3].

وقد جاء الإسلام بالمحافظة على المصالح العامة مثل صيانة المرافق العامة عن الأذى فقد نهى الرسول ﷺ عن أن يبول الرجل في الظل الذي يستظل به الناس، أي الذي قد يأتي إليه من يستظل به.

وعلى عكس ذلك، حث على إماطة الأذى عن الطريق أي إبعاده عنه كما جاء في الحديث: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))[4].

والمراد بإماطة الأذى عن الطريق: إبعاده عن طريق الناس؛ فجعله

---

(١) البخاري - الفتح (١/ ٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٣٤).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٨).

(٤) رواه البخاري بلفظ ((الإيمان بضع وسبعون شعبة ..)) الفتح (١/ ٩)، ومسلم (١/ ٥٧) واللفظ له.

الرسول ﷺ من الإيمان.

وورد في الحديث أن رجلاً دخل الجنة بسبب غصن شوك أبعده عن طريق الناس، أي لئلا يؤذي أحداً ممن يمر به.

وفي حسن المقابلة ورد الحديث الصحيح: ((لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق))[1].

والوجه الطلق هو الذي يظهر صاحبه الرضا والسرور عند المقابلة بألا يكون مكفهر الوجه كالغضبان.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((الكلمة الطيبة صدقة))[2]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن من أقربكم إليَّ أحسنكم أخلاقا))[3].

وقال: ((ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة)).

والخلق هنا المراد به حسن المعاملة، واللطف في الحديث، وعدم الغضب من الناس، والبعد عن الضيق منهم أو شتمهم.

وليس ذلك فحسب وإنما ورد الحث على الرفق بالحيوان حتى عند الذبح فقال ﷺ: ((إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته))[4].

شفرته: سكينه التي يذبح بها الحيوان من أجل لحمه، ويعني احدادها شحذها بجعلها ذات حد قاطع بسرعة؛ لأن ذلك يقصر مدة الألم الذي تجده الذبيحة.

---

(١) مسلم (١٤٦٩).

(٢) هذا الحديث ذكره رزين، وهو جزء من حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري، والترمذي (٢٤٢٧) في صفة القيامة.

(٣) رواه الترمذي (٢٠١٨) وقال: حديث حسن، وصححه ابن حبان (١٩١٧).

(٤) رواه مسلم (١٩٥٥).

وبالنسبة إلى ما دون ذلك ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[1]. فهذه المرأة حبست الهرة وهي القطة من دون أن تطعمها فدخلت النار بسبب ذلك.

وهذا معناه الأمر بالرفق بالحيوان وإطعامه أو تركه يبحث بنفسه عن طعام، إذا كان يجد طعامه إذا فعل ذلك.

في مقابل ذلك ورد الحديث: إن الله سبحانه وتعالى غفر لبغيّ وهي المومسة العاهرة وهي التي تأتي فاحشة الزنا بأجر تأخذه من الرجال، بسبب كلب سقته ماء في يوم حار.

ومثل ذلك ما ورد في الحديث الآخر: «إن رجلاً نزل في بئر في يوم صائف أي شديد الحرارة في الصيف فشرب ثم رأى كلباً يلهث من العطش فقال في نفسه، إن العطش قد بلغ بهذا الكلب ما بلغ بي فنزل إلى البئر وملأ خفه - وهو حذاؤه الذي له جوانب - ماءً وسقى الكلب منه فغفر الله له بسبب ذلك».

وحتى في القتال كان الإسلام رحيماً شفيقاً أو بالتعبير الحديث إنسانياً كما يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ثوبان أن النبي ﷺ كان إذا بعث بَعثاً قال لهم: «سيروا على اسم الله، سيروا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا شيخاً فانياً ولا راهباً في صومعته».

لا تغلوا: لا تأخذوا من المال الذي يستولى عليه المسلمون من الذين

(١) سبق تخريجه.

يقاتلونهم قبل أن يقسمه إمام المسلمين بينهم أو يتصرف فيه بما أمر الله به ورسوله.

ولا تقتلوا وليداً: أي لا تقتلوا طفلاً، وليس المراد بذلك الوليد الذي ولد حديثاً وحده، بل المراد الطفل، والشيخ الفاني: الشيخ الهرم.

لذا يجب على المسلم في بلاد الأقليات المسلمة أن يكون خيراً للجميع من مسلمين وغير مسلمين يساعد من يحتاج منهم إلى مساعدة إنسانية ويطعم الجائع ويكسو العاري.

كما أنه ينبغي له أن يكون حريصاً على المرافق العامة التي وضعت للصالح العام كالطرق والحدائق والمستشفيات وأماكن وقوف السيارات.

فائدة ذلك: لا شك في أن المسلم في بلاد الأقليات المسلمة أي البلاد التي يؤلف غير المسلمين الأكثرية من سكانها إذا فعل ذلك والتزم بما أمره به الإسلام فإنه يكون شخصاً فاضلاً بل مثالياً في عيون الناس من غير المسلمين؛ وبذلك يكون قدوة لغيره يقبلون أو يقبل بعضهم ما يدعو إليه من دين الله فيسلمون على يديه.

ولنا في السلف الصالح من المسلمين قدوة ومثال صحيح، وذلك أنهم كانوا قلة في العدد، ولكنهم كانوا أمثلة عظيمة في العدل والإنصاف وإرادة الخير للجميع؛ فأسلم كثير من الناس اقتداء بهم وإعجاباً بأخلاقهم الإسلامية الرفيعة.

فلا ينبغي للمسلم في بلاد الأكثريات غير المسلمة أن يعد نفسه أنه يحيا في بيئة تحاربه وتحارب دينه سلفاً، بل ينبغي أن يفهم أن البيئة المحيطة به من غير المسلمين إنما ستعامله بناء على الانطباعات التي تكونها عنه من تصرفاته الظاهرة – وتصرفات من يتسمون باسمه من الأقلية الإسلامية.

وأنهم ينظرون إلى المظاهر دون ما وقر في القلب مما لا يطلـع عليـه إلا الله سبحانه.

والتصرفات الظاهرة أو المظاهر أداء أو امتناع عن أداء، أي أنهـا تحليـة أو تخلية.

وسيكسب من يلتزم بالقواعـد الأخلاقيـة الإسـلامية مرضـاة الله تعـالى وتقدير الآخرين من مسلمين وغير مسلمين.

نسأل الله تعـالى أن يوفقـنا للصدق في القـول والإخلاص في العمـل وأن يجعلنا هداة مهتدين إنـه سميع قريب.والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

محمد بن ناصر العبودي

۞ كلمة رابطة العالم الإسلامي في المؤتمر السنوي السادس والثلاثين للاتحاد الإسلامي في أمريكا

إعداد وإلقاء: الشيخ محمد ناصر العبودي

أيها الإخوة المؤتمرون، أيها المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

لقد جئنا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، من مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية، نحمل إليكم تحيات إخوانكم في الرابطة وعلى رأس العاملين فيها معالي الأمين العام الدكتور عبدالله بن صالح العبيد.

أيها ا المؤتمرون: إن كلمتنا هذه ليست بحثاً أكاديمياً؛ ذلك بأن البحث الأكاديمي ميدانه تمحيص ما هو كائن، ولكن هذه الكلمة تبحث فيما ينبغي أن يكون وذلك على أساس علمي ديني.

العالم الإسلامي والأحداث المعاصرة:

ينبغي لنا أن نحدد المراد بمصطلح (العالم الإسلامي) قبل الخوض في صلب الموضوع، فقد درج الناس من ساسة وصحفيين وحتى بعض الباحثين المتعمقين على أن يريدوا بمصطلح العالم الإسلامي بلاد الأكثريات المسلمة، أي البلاد التي أكثر من نصف سكانها من المسلمين.

وهذا مصطلح سهل المأخذ، ولكن ترد عليه أمور كثيرة:

أولها: أنه يتعارض مع مفهوم (الأمة المسلمة) التي وردت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1]،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٩٢).

وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]، فهل هذا خاص بالمسلمين في بلاد الأكثريات المسلمة؟.

إذ لا يمكن إخراج الأقليات المسلمة من اصطلاح (الأمة المسلمة) وبالتالي يمكن إخراجها من اصطلاح العالم الإسلامي إذا أريد به بلاد الأكثريات المسلمة.

ونحن نريد أن تكون مصطلحاتنا بل وتعريفاتنا للإسلام والمسلمين متطابقة مع ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في الأمور التي ورد ذكرها.

ثم إن العدد القليل من الناس قد يطلق عليهم الأمة، بل قد تطلق على الفرد المتميز على غيره كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3]، إذا قلنا إن المراد بذلك تعريف إبراهيم عليه السلام بأنه أمة وليس المراد بأنه إمام يقتدى به.

ومن ناحية عملية فإننا إذا اتبعنا هذا المصطلح الشائع للعالم الإسلامي بأنه بلاد الأكثريات المسلمة أخرجنا منه عدداً ضخماً وفاعلاً من المسلمين، كالمسلمين الذين يعيشون في الهند الذين يناهز عددهم ١٢٠ مليوناً من النفوس.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (٥٢).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

(٣) سورة النحل: الآية (١٢٠).

وذلك يتفوق عدديا وحتى من ناحية التأثير في الأحداث على أقطار عديدة من بلاد الأكثريات المسلمة أي التي يؤلف المسلمون أكثرية سكانها.

بل إن مجموع المسلمين في بلدان الأقليات المسلمة يصل إلى ٤٥٠ مليونا موزعين على قارات العالم فلا يمكن إخراجهم من مصطلح (العالم الإسلامي).

إن مصطلح (العالم الإسلامي) هو مصطلح غربي في الأساس لم يكن معروفا فضلا عن أن يكون مقرا أو معترفا به في كتب الثقافة الإسلامية الأصيلة، إضافة إلى ما ذكرناه.

ولذا فإننا ينبغي لنا أن نستبدل به مصطلح (الأمة المسلمة) لأنه مصطلح إسلامي عريق وهو صادق الدلالة.

وإذا كان المراد ببلاد الأكثريات المسلمة المسلمين المؤثرين في الأحداث الدولية فإن بعض الأقليات المسلمة الكبيرة قد تؤثر في الأحداث على مستوى الأمة المسلمة أكثر مما تؤثر فيه بعض البلدان المسلمة الصغيرة العدد.

إننا نلاحظ أن (العالم الإسلامي) يقتصر في اصطلاح كونه بلاد الأكثريات المسلمة على رقعة واسعة من العالم القديم أوسعها في آسيا وإفريقية وأضيقها في أوروبا، وليس في العالم الجديد منه شيء.

وهذا ليس واقعيا؛ إذ إن المسلمين في العالم الجديد وبخاصة في هذه البلاد الأمريكية قد صاروا يؤثرون في الأفكار والاتجاهات لبعض المسلمين أكثر مما تؤثر بعض البلدان الصغيرة ذات الأكثريات المسلمة.

وقل أن يوجد بلد واحد الآن يخلو من المسلمين في أي مكان من العالم ولله الحمد، ومن الطبيعي أن المسلمين ليسوا كلهم سواء أكانوا جماعات أم أقطاراً مستقلة يؤثرون في الأحداث على مستوى واحد.

إذاً نحن نرى أن نستعيض عن مصطلح (العالم الإسلامي) بمصطلح (الأمة المسلمة) فنقول: إن مواطن الأمة المسلمة تشغل رقعة واسعة بل عظيمة الاتساع في العالم، وفيها من الثروات الطبيعية وبخاصة من النفط والغاز مالا يوجد في منطقة متميزة غيرها من العالم.

فالنفط والغاز لا دين له ولا وطن، ولكن الذي يوجد منه في أراضي المسلمين أضعاف مايوجد فيه في بلاد غير المسلمين، ويكفي أن نعلم أن الخبراء يقولون: إن المملكة العربية السعودية فيها أكبر احتياطي من النفط في العالم، وإن الأرض العراقية تأتي بعدها في المرتبة هذه.

وهناك المعادن الأخرى كالفوسفات التي تتفوق مواطن المسلمين في وجوده فيها مجتمعة على غيرها.

وفي مواطن المسلمين من الإمكانات الاقتصادية من الأيدي العاملة والأراضي الشاسعة والمعادن التي لم تستغل الشيء الكثير.

فضلا عن أعداد المسلمين الكبيرة التي هي إضافة إلى ذلك أكثر مناطق العالم نموا في السكان.

ومع ذلك نرى أن المسلمين لا يسهمون في اتخاذ القرارات الدولية ولا في إنفاذها إلا بالقليل الذي لا يتناسب مع مكانتهم ومكانة بلدانهم، فلو أخذنا مثلا القرارات الدولية المتعلقة بالحرب والسلام وجدنا ذلك واضحا جليا، فأقرب مثال على ذلك هو حرب البلقان التي شنها حلف شمال الأطلسي ضد الصرب المتعصبين الذين أذاقوا المسلمين كافة أنواع الذل والعذاب والتنكيل الذي يصل إلى حد القتل الجماعي كما دلت عليه المقابر الجماعية في كوسوفا، وقبلها في البوسنة، لم تتخذ تلك الحرب بقرار إسلامي كما أن إيقافها وما أعقبه لم يكن بناء على قرار إسلامي، وإن كان المسلمون قد

سارعوا إلى تقديم المعونات الإنسانية التي كان الإخوة المسلمون من ألبان كوسوفا يحتاجونها ولا يزال المسلمون وعلى رأسهم البلدان العربية وفي مقدمتهم المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة يواصلون تقديم المساعدات الإنسانية بل المساعدات المتعددة للمسلمين في كوسوفا.

بل إن الإخوة المسلمين في البوسنة والهرسك لا يزالون يتلقون المساعدات المجدية من المملكة العربية السعودية ومنذ سنوات، على يد الهيئة العليا لجمع التبرعات للبوسنة والهرسك التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.

إننا إذ نقول ذلك فإننا لا ننفي أن أكثر المسلمين قد حبذوا ذلك الإجراء الذي قام به حلف الأطلسي وأيدوه بكافة أشكال التأييد، ولكنه لم يكن قرارهم وحدهم كما هو معروف.

والسبب في ذلك هو كون المسلمين لا يعملون متضامنين متعاونين فيما بينهم فالمولى عز وجل يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾.(١)

ونهى عن التفرق والتنازع في الأمور الأساسية التي تمس المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾،(٢) وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.(٣)

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٤٦).

إننا إذا أمعنا النظر في أحوال المسلمين وبخاصة بلاد الأكثريات المسلمة نجد أن التعاون في الأمور الأساسية بينهم ليس على الوجه المطلوب في بعض الأحيان، أوغير موجود أصلا في أحيان أخرى، ونجد أن السبب في ذلك في أغلب الأحيان هو الخلط بين المصالح الأساسية للأمة المسلمة والمصالح الخاصة لبلادهم، والتصرف على أساس منفرد.

وقد يكون ذلك التصرف المنفرد مع الأسف الشديد مبنيا على تفكير غير سليم أو على تفكير يقدم المصلحة الخاصة لجماعة مسلمة على المصالح العامة للأمة المسلمة.

مع أن المسلم الواعي إذا فكر في الأمر وجد أن ما هو في مصلحة الأمة المسلمة بعامة هو بالضرورة في مصلحة الجماعة المسلمة في بلد معين من بلاد المسلمين وإن لم يكن بالضرورة في المصلحة الظاهرة لفئة أو حزب في ذلك البلد المعين.

ومن المفزع أن بعض قادة المسلمين وحتى أرباب الرأي فيهم يتوهمون أحيانا أن ما يعود على أكثر المسلمين بالخير قد يكون فيه ضرر عليهم، مع العلم بأن العكس هو الصحيح؛ فالعاقبة هي أن ما ينفع المسلمين عامة يفيد الجماعات والأفراد منهم كما هو ظاهر.

والشيء الأكثر إيلاما للفرد المسلم أن يرى أو حتى أن يفهم أن بعض قادة المسلمين أو بعض زعمائهم يعملون مع الأجنبي ضد مصالح الأمة المسلمة كما يفهمها الفرد المسلم، وقد يكون ذلك الفرد المسلم على خطأ في ذلك وأنه حكم بما حكم به من هذا الأمر بناء على ظواهر أمور لها بواطن تبرر ما فعله ذلك البعض من قادة المسلمين.

ونعتقد أن هذا ليس عذراً للقادة المسلمين لأن المعلومات في الوقت الحاضر صارت واضحة بل مشاعة، وصار الكثير من أبناء المسلمين بإمكانهم متابعة الأحداث العالمية والأحداث الخاصة ببلادهم ربما مثلما يفعل القادة أو أكثر بحكم تفرغهم لذلك وانشغال القادة بتسيير الأمور في البلاد، ولذلك لابد من شرح واضح من القادة المسلمين للشعوب الإسلامية فيما يتعلق بالأمور الإسلامية العامة.

لاسيما أن أعداء الإسلام صاروا يتخذون من تصرف بعض القادة أو الهيئات الإسلامية ذريعة للنيل من الإسلام والمسلمين كما هو ظاهر الآن فيما يسميه المتعصبون والمغرضون في الدول الغربية التعصب الإسلامي وهو في بعض الأمور ليس كذلك وإنما صار مع الأسف الشديد الوسيلة الوحيدة للأفراد المتحمسين لدينهم لإعلان ما يعتقدونه أو يريدونه.

وقد انساق بعض القادة في بعض الدول الإسلامية وراء تلك الأفكار أو هم صدقوها لأغراض شخصية، فصارت النتيجة كالشهادة بصحة ما ذكره أولئك المتعصبون من رجال الإعلام ونحوهم في الدول الغربية.

والمسلم المخلص المنصف ينبغي له أن لا يطلق مثل هذه الأوصاف على بعض المسلمين إلا بعد أن يدرس أحوالهم، ويعرض في ذهنه مع إخوانه أسباب نشوء هذه المسألة التي من أهمها أن تقاعس بعض القادة من المسلمين عن القيام بالواجبات قد حمل بعض الأفراد على اليأس وابتغاء منهج مغاير، فنتجت من ذلك مواجهة بل مواجهات حامية مستمرة في الوطن الإسلامي، ونشأ من ذلك شرخ واسع في تفكير المسلم الغيور على دينه المهتم بأمور أمته و (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

والعلاج لهذا الأمر يكمن في أمور وإجراءات عديدة:

أولها: السماح بسماع رأي أفراد المسلمين وهيئاتهم التي تريد أن تعمل عملا إسلاميا ووزن ذلك بميزان العدل والإنصاف الذي جاء به الشرع الشريف.

ثانيها: التشاور مابين قادة المسلمين وزعمائهم من الحكام من جهة، وبين علماء المسلمين المعروفين بالإخلاص والنزاهة والتجرد من التزلف للحكام، وابتغاء ما يريدون أن يسمعوه منهم من جهة أخرى.

ثالثها: أن يتيح الحكام من المسلمين الاستماع إلى من ينصحهم أو يلفت أنظارهم إلى أمور من أمور المسلمين قد تكون خفيت عليهم أو غفلوا عنها وأن لا يحمل النصح للحكام على محمل معكاستهم وسوء الظن بهم.

رابعها: أن تؤلف في كل دولة من دول منظمة المؤتمر الإسلامي هيئة تسمى مجلس علماء الدين الإسلامي وتكون هيئة استشارية نصحية، قراراتها وآراؤها غير ملزمة وإنما مهمتها بيان ما تريد الدول الإسلامية معرفته من أحكام الشرع الشريف فيما يتنازع فيه المسلمون فيما بينهم.

خامسها: أن يقلع المسلم الناصح للحكام وغيرهم عن التشنيع والشتم والنبذ بالتقصير بعد أن يبلغ للحاكم المسلم ما يريد إبلاغه به أسوة بقول الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾(1).

على أنه ينبغي للناصح أن يطيب نفساً بإبراء ذمته ولو لم يحصل المقصود بها فعله أو لم يستمع المنصوح إلى نصحه وألا يحزن لذلك كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾(2).

---

(1) سورة الشورى: الآية (٤٨).

(2) سورة النمل: الآية (٧٠).

أيها الإخوة:

إن رابطة العالم الإسلامي هي منظمة شعبية عالمية وليست إدارة حكومية؛ ولكن حكومة المملكة العربية السعودية وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود تقدم - مشكورة - الدعم والمعونة للرابطة إضافة إلى المقر ووسائل التشغيل من أجل أن تتمكن الرابطة من التعاون مع الإخوة المسلمين على البر و التقوى.

أيها الإخوة المسلمون المؤتمرون:

إننا نجزم بأن المسلمين إذا تعاونوا فيما بينهم أو على الأقل تجنبوا أسباب الخلاف والنزاع فإنهم سيؤثرون في الأحداث العالمية ليس الأحداث التي تمس المسلمين بصفة مباشرة وإنما حتى بالأحداث التي تمس البشرية جمعاء.

ويومئذ يمكن للمنصفين ولغيرهم في أنحاء العالم أن يعلموا أن الإسلام هو خير للجميع؛ لأنه يدعو إلى السلام والمحبة والخير للإنسانية، أَوَلَيس المولى عز وجل يقول في القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

صدق الله العظيم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

* * * * * *

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٠).

۞ كلمة رابطة العالم الإسلامي في اجتماع اتحاد المسلمين الإيطاليين المنعقد في مدينة بولونيا في ٢٦- ٢٨/ ١٢ /١٩٩٧م

من إعداد وإلقاء محمد بن ناصر العبودي

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: أيها الإخوة المسلمون فإنني باسم رابطة العالم الإسلامي أنقل إليكم تحيات إخوانكم في الديار المقدسة، من جوار الكعبة المشرفة وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله كما أنقل إليكم تحيات إخوانكم في رابطة العالم الإسلامي خاصة وعلى رأسهم معالي الأمين العام للرابطة.

وهي تحية الإسلام: تحية المؤمنين في دار السلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

إن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة تمثل الكثير من الجمعيات الإسلامية في العالم عن طريق إشراكها في مجالس الرابطة وهيئاتها المتعددة أو عن طريق التعاون القائم بينها وبين الرابطة، وإنني باسم تلك الجمعيات جميعاً أعبر لكم عن سرورنا واغتباطنا بحضور اجتماعكم هذا المبارك إن شاء الله، ونخبركم أننا سوف نبحث مع المسؤولين فيه كيفية التعاون معكم على البر والتقوى امتثالا لقوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾.[1]

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

أيها الإخوة المسلمون: إن موضوع مؤتمركم هذا وهو موضوع: (الجماعة الإسلامية جزء أساسي من المجتمع الإيطالي) موضوع مهم، وهو يدل على مبلغ وعيكم بما ينبغي أن يكون عليه المسلمون في هذه البلاد الإيطالية سواء أكنتم من الإيطاليين الأصلاء الذين هداهم الله إلى الإسلام أو من المهاجرين الذين منحتهم السلطات الإيطالية الإقامة والجنسية؛ فيجب عليكم أن تثبتوا بأنكم أصبحتم جماعة فعالة نشطة في المجتمع الإيطالي الديمقراطي الذي كفل دستوره حرية العبادة وحرية اختيار الفرد لما يريد أن يعتقده، ذلك بأن الإسلام دين عالمي ليس خاصاً لجنس من الناس دون جنس أو لون دون لون أو وطن دون وطن قال الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾(1).

وقال تعالى فيما يخص الوطن: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾(2)، ويجب عليكم - أيها المسلمون - أن تكونوا أعضاء نافعين في هذا المجتمع عن طريق اكتساب المهارات التي تفيد هذه البلاد الإيطالية اقتصادياً واجتماعيا، ويجب أن تمتثلوا لما يأمركم به دينكم الإسلامي الحنيف من الصدق والأمانة وحسن المعاملة للجميع؛ فقد قال النبي محمد ﷺ: ((لا إيمان لمن لا أمانة له..)) وقال: ((من غشنا فليس منا..)) وفي رواية في صحيح مسلم: ((من غش فليس منا..)) ولهذا الحديث سبب وهو أن الرسول ﷺ خرج إلى سوق المدينة فرأى رجلاً عنده تمر يبيعه قد وضعه في مكتل وهو الوعاء الذي يوضع فيه التمر كالقفة، فأدخل الرسول

---

(١) سورة سبأ: الآية (٢٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (١١٥).

صلى الله عليه وسلم يده الكريمة في وعاء التمر فوجد في أسفله بللاً أي أثراً للماء وذلك يعيب التمر؛ فقال للرجل صاحب التمر: ما هذا ؟ قال: أصابته السماء البارحة أي نزل عليه شيء من المطر فهو سبب هذا البلل الذي فيه، فقال الرسول ﷺ: هلا جعلت أسفله أعلاه ليراه الناس، من غشنا فليس منا..

وأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى الجار حيث قال: « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ».

والجار يشمل الجار المسلم وغير المسلم.

فالمسلم يجب أن يكون خيراً للمسلمين ولغيرهم، بالنسبة لأخيه المسلم فذلك أمر ظاهر، وبالنسبة إلى غير المسلم فإن من الخير الذي يفعله المسلم له أن يدله على طرق الخير، وأن يصدق في معاملته معه، وأن لا يتسبب في أذى له ما دام مدنياً مثله يشتركان معاً في السلم المدني، ويجب أن ينتهز الفرصة فيطلعه على حقيقة الدين الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(1)، وقال ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾(2).

ويجب على الجماعة الإسلامية في إيطاليا أن تحترم قوانين البلاد التي وضعت لحماية المصالح العامة من الطرق والحدائق والمستشفيات وتعليمات المرور؛ لأن العناية بالمرافق العامة هو أمر مطلوب شرعاً لصالح المجتمع.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤٦).

(٢) سورة النحل: الآية (١٢٥).

أيها الإخوة في الإسلام إن البسطاء من الناس وهم الأكثر عدداً في العادة لا ينظرون إلى المباديء أو العقائد من منظار بحث مجرد؛ وإنما ينظرون إليها من خلال أعمال أهلها وسلوكهم، فإذا كانت أعمالهم جيدة نسبوا ذلك إلى مبدئهم وعقيدتهم والعكس بالعكس، فالله الله أيها المسلمون كونوا على حذر من أن يساء إلى الإسلام عن طريق أعمال بعضكم التي لا يقرها الإسلام، ويجب عليكم إذا رأيتم أحداً من المسلمين يعمل مثل تلك الأعمال أن تنصحوه وتذكروه بما يجره عمله ذلك من سوء سمعة تلحق بالمسلمين وربما ينسبها بعض الجهال بحقائق الأمور إلى الدين الإسلامي نفسه، ذلك بأن بعض الجهات المعادية للإسلام أو غير المنصفة في الحكم على الأشياء تنسب كل أفعال شائنة تصدر ممن لهم أسماء إسلامية أو ولدوا من أسر إسلامية إلى الدين الإسلامي، والدين الإسلامي منها براء.

ولكن مما يسجل في هذا الأمر أننا لا نلاحظ مثل ذلك في البلدان الإسلامية حيث لا ينسبون كل فعل ذميم يقوم به أو يرتكبه من يتدينون بالدين المسيحي أو لهم أسماء مسيحية إلى الديانة المسيحية.

ذلك بأن الإنسان المنصف ينبغي أن ينظر إلى الأشياء نظرة عميقة ويعرف أنه ليس كل ما يفعله أبناء المسلمين وبخاصة من الذين تربوا تربية أجنبية غير إسلامية هو من الإسلام.

وإنه يسرنا أن ننوه بهذه المناسبة أننا نرى عدداً من الأحرار الأوربيين في آرائهم الذين ينظرون إلى الأشياء نظرة مجردة منصفة ولكنهم ليسوا هم الأكثر من الناس.

ولذلك يجب علينا ألا نعطي الحجة لغير المنصفين؛ بل يجب أن تكون أعمالنا كلها مطابقة لما أمر الله به ورسوله، وأن نحاسب أنفسنا على ذلك كما

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا)).

أيها الإخوة المسلمون: إن من ألزم اللوازم وأوجب الواجبات على المسلم الذي يعيش وسط مواطنين له من غير المسلمين أن يعتني بتربية أولاده تربية إسلامية رحيمة بعيدة عن التعصب والأنانية، وذلك بإيجاد المدارس الإسلامية التي تعلمهم سواء في أوقات العطل الأسبوعية أو في دور الحضانة أو في المدارس التي أنشأ مثلها إخوتكم المسلمون في أنحاء عديدة من العالم، وهي مدارس تنشأ بالاتفاق مع سلطات التعليم المحلية يدرس فيها المهم من المنهج الحكومي إلى جانب مواد التربية الإسلامية وفي مقابل ذلك تساعدها السلطات المحلية بتحمل رواتب المدرسين أو بعضهم وتعترف بالشهادات التي تصدرها حتى تتاح الفرصة للمتخرجين أن ينتقلوا إلى مراحل الدراسة الرسمية التي هي أعلى منها.

أيها الإخوة الكرام: ليكن مسجدكم داراً للعبادة ومحلاً للمذاكرة في الأمور الدينية ومنتدى لاجتماع المسلمين وينبغي أن يعرف منه ما يحدث اجتماعياً للأقلية المسلمة مثل ولادة مولود أو وفاة متوفي أو عقد قران ويجب أن يكون فيه سجل لجميع المسلمين في المنطقة التي يقع فيها المسجد فذلك أمر مهم في الترابط الاجتماعي للأقلية المسلمة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجمع قلوبنا على ما يرضيه وأن ينصر دينه ويعلي كلمته إنه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

محمد بن ناصر العبودي

* * * * * *

۞ العالم الإسلامي والرابطة[1]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن الحديث الذي سوف أتحدث به إليكم ليس محاضرة علمية جافة بمعنى أنه ليس سرد حقائق ووقائع فقط، وإنما المراد من هذا الحديث أو من هذه المحاضرة هو أن نربط بين واقع المسلمين وبين ما يحتاجونه وبين ما تقدمه رابطة العالم الإسلامي، وما قدمته وما ينبغي أن تقدمه في المستقبل. لذلك نعتبر أن المحاضرة هي جزء من عملنا في رابطة العالم الإسلامي والمراد بعملنا عملنا وعملكم وعمل جميع إخواننا وزملائنا العاملين في الرابطة.

نبدأ أولاً بمصطلح العالم الإسلامي: اصطلح الناس وخاصة الدول الغربية والصحافة الغربية ومن قلدهم من أهل العالم العربي - والتقليد هنا ليس مذموماً مطلقاً وإنما المراد من ذلك بيان الأمر - على أن يعتبروا العالم الإسلامي هو الدول ذات الأكثرية المسلمة، بمعنى أنهم لا يقصدون بالعالم الإسلامي ما نقصده نحن. نحن نقصد بالعالم الإسلامي، الأمة الإسلامية. أي سواء أكان المسلمون في دولة أكثرية وهي الدولة التي أكثريتها من المسلمين، أم في دولة المسلمون فيها أقلية.

---

(١) سبق الإشارة إلى موضوع إنشاء الرابطة والأهداف التي قامت من أجلها، وما قامت به الرابطة تجاه المسلمين في العالم، وفي هذه المحاضرة مزيد بيان وإيضاح لدور الرابطة وعلاقاتها المتميزة بالعالم الإسلامي، وما قامت به من جهود متميزة تجاه هذا العالم.

وانظر: العالم الإسلامي والرابطة للشيخ: محمد بن ناصر العبودي.

والدليل أو المثال على خطأ إطلاق العالم الإسلامي على الدول الإسلامية، هو أننا نخرج من مصطلح العالم الإسلامي الهند مثلاً، فالهند فيها كما نحن نعلم أكثر من مائة مليون مسلم.

وهم من أنشط المسلمين لدينهم الإسلامي، ومن أكثرهم أثراً في العالم كله، إذ قل أن نجد مكاناً وجد فيه المسلمون من أهل الهند إلا ونجد المساجد والمدارس الإسلامية، وقل أن نجد دعوة للإسلام في بلاد الغرب وحتى في بلاد الشرق إلا ونجد لإخواننا المسلمين من أهل الهند فيها الأثر العظيم.

إذن مصطلح العالم الإسلامي حسب ما أتى في الأخبار وكما هو معروف عند بعض الناس يخرج هؤلاء الأخوة المسلمين من العالم الإسلامي.

والواقع أن هذا مثال، وإلا فإن أقليات كبيرة تخرج أيضاً من هذا المصطلح.

إذن مصطلح العالم الإسلامي في عرفنا نحن. هو: (الأمة الإسلامية) وأعتقد أنه من الأفضل لنا أن نقول العالم المسلم، أو الأمة المسلمة، ولا نقول العالم الإسلامي.

لماذا؟ لأن كثيراً من الحكام في البلدان المسلمة لا يعلنون أنهم مسلمون ولا أن بلادهم مسلمة، فلا يقول الحاكم فيها: إن حكمه إسلامي، ولا يساعد المسلمين على التمسك بإسلامهم كما ينبغي أن تكون عليه الدولة المسلمة.

ونضرب مثالاً في تركيا، وتركيا يؤلف المسلمون فيها نحو ٩٨ ٪ من السكان، ومع ذلك فالدولة دولة علمانية. يعلنون ذلك وبأنهم دولة علمانية لا دينية؛ بل إنهم بلغ بهم الأمر إلى أن من وصف الدولة بأنها مسلمة، أو من وصف نظام الحكم فيها بأنه إسلامي، أو من أراد أن يطبق الإسلام في تركيا، أن يحاكموه بموجب دستورهم، يقولون: إن هذا خالف الدستور التركي.

وهناك دولة أخرى وهي إندونيسيا. نحن نعلم أن المسلمين في إندونيسيا يؤلفون ما لا يقل عن ٨٨ ٪ أو ٨٧ ٪ من السكان، والدولة ليست دولة مسلمة، ولقد سمعت بنفسي وسمعه غيري من إخواننا الذين حضروا مؤتمر الإعلام الإسلامي الذي انعقد في إندونيسيا في عام ١٤٠٠هـ عقدته الرابطة - رابطة العالم الإسلامي - بالتعاون مع الحكومة الإندونيسية، سمعنا الرئيس سوهارتو يقول من لفظه في كلمته التي كتبت باللغة العربية واللغة الإندونيسية واللغة الإنجليزية: نحن دولة علمانية، ولسنا دولة إسلامية،لأن هناك في داخل البلاد من السكان من يعتنقون أدياناً أخرى إلا أنه استدرك في خطابه فقال - وهذا الخطاب - موجود لدينا ونحن سمعناه - نحن لا نقول إننا دولة لا دينية، نحن دولة علمانية، لكن لا يقال عنا لا دينية. لماذا؟ لأننا نحن نسعى في العمل الإسلامي لدينا الجامعات الإسلامية الحكومية، ونحن ندفع لأئمة المساجد الرواتب، ونحن لدينا وزارة الشؤون الدينية.. الخ. وما ذكره الرئيس الإندونيسي صحيح من عمله للإسلام، فهو رئيس جمعية خيرية إسلامية تقوم على بناء المساجد في البلاد وعلى تنمية الثقافة الإسلامية.

إذن لو أخذنا مصطلح العالم الإسلامي واستبعدنا هذه الدول التي يقطنها مسلمون واستبعدنا بعض الأقليات المسلمة في بعض البلدان لكان هذا الاصطلاح غير دقيق.

وعلى هذا نحن نريد أن نقول: الأمة الإسلامية بدلاً من أن نقول العالم الإسلامي. إلا إذا أردنا بذلك الأقطار والدول التي يحكمها مسلمون فهذا لا مانع منه، ولا مشاحة في الاصطلاح كما لو قلنا الشرق الإسلامي أو الغرب الإسلامي أو ما أشبه ذلك.

نحن نرى ثغرة في تعبير حاضر العالم الإسلامي إذا كنا نعتبر أن العالم الإسلامي هو الدول الإسلامية، أو الدول التي فيها أكثريات مسلمة. مثلاً الاتحاد السوفيتي: كان إلى ما قبل أسبوعين لا يعتبر من العالم الإسلامي. لماذا؟ لأن المسلمين كانوا فيه إلى ما قبل أسبوعين يؤلفون نحو ٢٨ ٪ الآن استقلت ست دول من الدول التي كانت داخل الاتحاد السوفيتي، وانضمت هذه الدول الست بشعوبها إلى العالم الإسلامي بمعنى الكلمة. هذه الدول هي: كما نعلم - أذربيجان وقازاخستان، وأزبكستان، وتاجيكستان، وتركمانستان، وقرقيزيا، هذه دول ست، جمهوريات ست، كلها أصبحت بلاداً إسلامية ودخلت في مصطلح العالم الإسلامي الشائع.

ومع الأسف الشديد أننا نحن في بلاد الأكثريات المسلمة لم نقابل هذا الحديث العظيم بما ينبغي أن نقابله به من توعية ومن إفهام لجماهير المسلمين عن معنى هذا الحدث العظيم وعن دول تشغل مساحة واسعة هامة ودول كان يسيطر عليها الاستعمار الصليبي القيصري الروسي ثم خلفته الشيوعية الملحدة الطاغية والاستعمار الروسي كما نعلم كان يركز على مصالحه الخاصة، وكان في أكثر فتراته لا يتدخل في شؤون الدين بمعنى أنه لا يحارب الناس لكي يصبحوا ملحدين إلا في فترات معينة حكم فيها على بعض المسلمين بأن يرتدوا عن الإسلام أو يطردهم عن بلادهم.

ثم جاءت الشيوعية، الشيوعية لها مبدأ إلحادي. يعني أن الفرق بين الدولة في الشيوعية، وبين البلدان غير المتدينة - كالبلدان العلمانية - كبير.

ففرنسا دولة علمانية، وهولندا دولة علمانية بمعنى أن الدولة لا تتدخل في شؤون الدين وتعتبر الدين علاقة بين الإنسان وربه ولا تتداخل فيه؛ لكن الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية الأخرى، دول إلحادية، تتخذ من الإلحاد

مبدأ بمعنى أنها تلزم نفسها وتبذل قوتها وتلزم موظفيها وتقصر جهودها على أن يصبح الناس ملحدين لا تكتفي بأن تترك الناس وشأنهم في أمور دينهم.

ثم أراد الله سبحانه وتعالى ما أراد وأفلست الشيوعية وشهد أهلها على إفلاسها قبل أن يشهد عليها غيرهم بذلك.

كثير من الإخوان الذين ينظرون إلى ما وراء الأخبار وينظرون إلى حكمة الله سبحانه وسننه الثابتة في الكون يعتبرون أن أول إدبار لحق بالاتحاد السوفيتي هو حينما غزا المسلمين في أفغانستان وقتل وسلب وخرب هناك.

لقد سلط الله سبحانه وتعالى عليهم انفجار المفاعل النووي بشرنوبل، وشرنوبل هي قرية تبعد مائة وتسعين كيلو متراً عن كييف عاصمة أوكرانية التي كانت كما نعلم جزءاً من الاتحاد السوفيتي.

ولقد صادف أنني كنت في موسكو إبان هذا الحادث، والحادث وقع يوم ٢٦ إبريل ١٩٨٦م أي في١٧ شعبان عام ١٤٠٦ للهجرة.

في أول الأمر سمعت البلاغ من الإذاعة العربية في موسكو تقول إنه تسرب من أحد المفاعلات الثلاثة الموجودة في شرنوبل، وقد أمكن للفنيين إصلاح العطب الذي حصل في هذا المفاعل، ولم يعلنوا ذلك إلا بعد أن أعلنت السويد وفنلندا أن سحابة من الغبار الذري قد جاءتهم من روسيا؛ فاضطروا أن يعلنوا ذلك، ثم تطورت الأمور وعرف العالم بخطر هذا الانفجار الذري الذي حصل في الاتحاد السوفيتي حتى قال الرئيس غورباتشوف في بعض خطبه: إن ذلك يعادل انفجار قنبلة ذرية فوق الاتحاد السوفيتي، فكان هذه الدولة العظمى التي قاتلت الأخوة المسلمين المستضعفين في وسائلهم المادية ولكنهم أقوى في إيمانهم وجهادهم وتصميمهم من قوة أولئك الذين يتخفون وراء الحديد والنار.

إن هؤلاء قد أنزل الله عليهم قنبلة ذرية انفجرت فوق رؤوسهم مازالوا يعانون منها حتى الآن، وتوالت الهزائم عليهم حتى محي الاتحاد السوفيتي من الوجود.

والذي جرنا إلى هذا الحديث هو القول بأن كلمة، أو اصطلاح (حاضر العالم الإسلامي) ممكن أن تكون غير دقيقة لأنها كما قلنا لم يكن المسلمون في الاتحاد السوفيتي داخلين فيها، والآن قد دخلوا فيها، وزاد بهم العالم الإسلامي قوة. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقهم العمل الصالح لأمور دينهم.

بقي أن نشير هنا إلى نقطة تتعلق بهذا الأمر وهو أن كثيراً من الأخوة يخلطون بين الجمهوريات الإسلامية الست التي استقلت من الاتحاد السوفيتي، وبين جمهوريات المسلمين الذين لا يزالون داخل جمهورية روسيا الاتحادية، ومن ذلك جمهورية الشيشان التي عاصمتها (غروزني) هذه الجمهورية أعلنت استقلالها وسمع الناس حديثها في الإذاعات والصحف بأنها تمردت على الاتحاد السوفيتي وأعلن بوريس يلتسين رئيس جمهورية روسيا بأنه لن يسكت على هذا التمرد وأعلن حالة الطوارئ فيها وأرسل إليها جنوداً من جنود وزارة الداخلية السوفيتية إلا أن (البرلمان) الذي يسمونه مجلس السوفيت الأعلى – والآن كلمة السوفيت محيت من قاموسهم فهو البرلمان في جمهورية روسيا – قد رد قرار الرئيس وأبطله وقال: لا تعلن حالة الطوارئ ولا نرسل لهم قوة لإخضاعهم، هذه الجمهورية هي داخل روسيا وليست جمهورية مستقلة رسمياً لأن روسيا الاتحادية داخلها جمهوريات وأقاليم مسلمة عديدة فيها تسع جمهوريات مسلمة داخل جمهورية روسيا الاتحادية وفيها عدة أقاليم مسلمة والإقليم لا يصل إلى حد

جمهورية وكلها متمتعة بالحكم الذاتي أي بتصريف شؤونها داخل جمهورية روسيا فليس لها حق الاتصال بالدول الأخرى، وليس لها حق الدفاع وإنما ذلك متروك لجمهورية روسيا هذا هو الاصطلاح.

ومن تلك الجمهوريات الداخلة تحت جمهورية روسيا الاتحادية جمهورية الأنكوش، وينبغي أن نفهم أن الشيشان هم عنصر من الأخوة المسلمين من غير أصل تركي بخلاف معظم المسلمين في تلك الجهة فإنهم ذوو أصول تركية قديمة، أما هؤلاء فهم عنصر قديم جداً في المنطقة (والأنكوش) أيضاً قبيلة أخرى من الناس أو فريق من الناس يقال لهم: (انكوش) وعددهم جميعا يساوي نحو مليون وأربعمائة ألف نسمة؛ فسميت الجمهورية جمهورية الشيشان انكوش أولاً، ثم قسمت إلى جمهورية الشيشان وجمهورية الأنكوش.

وهناك جمهورية أخرى أقرب إلينا من جمهورية الشيشان انكوش وأبعد عن موسكو من تلك الجمهورية، هي جمهورية الداغستان، داغ: معناها الجبال. وستان: مكان أو بلد يعني بلاد الجبال، هذا معناها أي بلاد الجبال.

وجمهورية داغستان، عاصمتها (محج قلعة) قلعة هي اللفظة العربية الصحيحة، ومحج هذه تحريف لاسم قائد من قوادهم كان اسمه محمد حرفوه إلى محج فسمى هذا المكان على اسمه. هذه الجمهورية قريبة إلينا لأنها يحدها من جهة الجنوب جمهورية آذربيجان ويحدها من جهة الشمال الشيشان انكوش، وهي داخلة تحت جمهورية روسيا الاتحادية.

وهنالك جمهورية أخرى كبيرة ربما تعرفون المفتي فيها وهي داخلة أيضاً تحت جمهورية روسيا الاتحادية اسمها (جمهورية باشقردزستان) وتعرف في

كتبنا العربية بجمهورية بشكيريا أو جمهورية البشكير والبشكير جماعة من المسلمين ذوي أصول تركية نزحوا إلى تلك المنطقة قبل ميلاد الرسول ﷺ.

هذه عاصمتها (أوفا) وهي مقر الإدارة الدينية للقسم الأوربي وسيبيريا من الاتحاد السوفيتي سابقاً ورئيس الإدارة الدينية للمسلمين فيها هو الشيخ طلعت تاج الدين.

والجمهورية المهمة الداخلة أيضاً في جمهورية روسيا الاتحادية هي جمهورية (تتارستان) وعاصمتها (قازان) وهذه الجمهورية ألح الروس عليها بالضغط وبالتخريب لماذا؟ لأن الجمهورية كانت تسيطر على روسيا نفسها عشرات السنين عندما كانت خانية أي ملكية، وكانت روسيا تتألف من إمارات ومن ممالك صغيرة، وكانت موسكو نفسها تتألف من إمارة اسمها إمارة موسكو، فكانت إمارة موسكو تدفع لمملكة التتار التي عاصمتها قازان الجزية لمدة مائتين واثنتين وستين سنة.

وقد امتلأت كتب التاريخ بتضحيات الأخوة المسلمين في تتارستان وبأمجادهم الإسلامية، فلما أضعفهم الانصراف عما أمرهم الله سبحانه وتعالى به من الاستعداد للقتال وانصرفوا كما انصرف كثير من المسلمين إلى اتباع الشهوات وإلى التحاسد والتباغض وإلى التقاتل فيما بينهم قوي الروس عليهم حتى جاء (ايفان الرهيب) الذي يسمى القيصر ايفان الرابع، وبعض الروس لا يسميه الرهيب بل يسميه المدهش لأن لقبه كرزوني، وكرزوني معناها باللغة الروسية الرهيب أو المدهش فسار بجيشه – وهذا ليس أول جيش روسي كبير يذهب إلى قازان – واحتل مدينة قازان وقتل من المسلمين عشرات الألوف حتى عرفت تلك الواقعة في التاريخ بمذبحة قازان وهدم جامع قازان أكبر الجوامع في مدينة (قازان) وبني الكاتدرائية أو الكنيسة

الكبيرة المسماة (فسيلي كاتدرائي) وتقع الآن في ميدان الكرملين ويراها السواح وبناها الروس على غرار الجامع الكبير في قازان الذي هدموه لأن الروس في ذلك الوقت ليس عندهم طراز للبناء جيد ومن أجل أن يغيظ المسلمين كما قال بعض الناس - وبطبيعة الحال هذا غير صحيح - إنه نقل قباب المسجد لتلك الكنيسة. ولكنه نقل طرازها.

إذن هذه الجمهورية الروسية المسلمة ذات التاريخ المجيد الذي خضع فيه الروس أكثر من ٥٢٠ سنة لحكم الإسلام سواء كان حكماً مباشراً أو غير مباشر. هذه ليست معدودة الآن من العالم الإسلامي لأنها داخلة في جمهورية روسيا، والمسلمون الآن يؤلفون داخل جمهورية روسيا نحو ١٠ ٪ فقط بعد أن كانوا يؤلفون في الاتحاد السوفيتي نحو ٢٨ ٪.

بالنسبة لحاضر العالم الإسلامي لو نظرنا الآن إلى موارده الاقتصادية - ولن أتكلم في الناحية الاقتصادية الفنية لأنني لست مختصاً ولكن هناك معلومات عامة يعرفها الجميع - لوجدنا أنه يتحكم في أعظم الموارد الاقتصادية التي تحرك العالم.

من العجب العجاب أن يرى الإنسان أن الزيت أو البترول الذي هو محرك المدنية الحديثة موجود أكثره في البلدان الإسلامية ولا يزال يكتشف في البلاد الإسلامية كما نحن نعرف.

فهل هذا مصادفة؟ لا يمكن أن يكون في فعل الباري عز وجل مصادفة بل هي حكمة عظيمة أن هذه الأرض التي أنزل الله سبحانه وتعالى عليها غيث القلوب قبل ١٤ قرناً. وانتشر منها الإسلام جعل الله فيها هذا الزيت العظيم الذي يحرك المدنية وجعل الملاحدة يعترفون بأهميتها وبأهمية العالم الإسلامي الموجود فيه هذه المادة.

العالم الإسلامي نفسه إذا نظرنا إليه بالاصطلاح السياسي الذي هو مجموعة دول تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، وتمتد من قرب الدائرة القطبية الشمالية ولاسيما بعد استقلال قازقستان التي تمتد أراضيها إلى سيبيريا حتى يصل إلى خط الاستواء من جهة الصومال بل يتجاوزه، وهو يصل إلى جنوب جزيرة العرب ونعرف لو أننا لو أخذنا خطاً مستقيماً من جزيرة العرب إلى القطب الجنوبي لم نجد سكاناً فمعناه أنه ينتظم العالم المعروف القديم. هل تأثير العالم الإسلامي الدولي بقدر طاقاته وإمكاناته أم لا؟ الجواب: لا. بل إننا نجد مع الأسف الشديد أن العالم الإسلامي ميدان لتأثير الآخرين أي إنه يتأثر بإرادات الآخرين بدلاً من أن يتأثروا به، والسبب في ذلك هو انصراف أولي الأمر من المسلمين عن تحكيم الشرع الشريف في أقوالهم وأفعالهم وفي أموالهم وفي تصرفاتهم وفي علاقة بعضهم مع بعض وفي علاقتهم مع الآخرين. لن نتكلم في هذا الموضوع لأنه موضوع متشعب ربما أكثر الناس يعرفونه، وإنما نتكلم عن واقع علاقة رابطة العالم الإسلامي وواجبها بالنسبة لحاضر العالم الإسلامي وبالنسبة للأقليات المسلمة.

نحن ينبغي لنا إذا نظرنا أو أردنا أن ننظر إلى واجب رابطة العالم الإسلامي أن ننظر إلى واجبها تجاه الأمة الإسلامية وليس فقط تجاه العالم الإسلامي المؤلف من دول مسلمة والذي يمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، ومن قرب الدائرة القطبية الشمالية إلى نهاية المعمور من جهة جزيرة العرب من جهة الجنوب وإلى ما بعد خط الاستواء من جهة إفريقية وإنما ينبغي لنا أن ننظر أيضاً إلى المسلمين خارج هذا النطاق.

فالإسلام - كما نعلم - هو دين دعوة ودين عمل ودين جهاد وليس دين انحسار وجمود أو رهبانية؛ فالرسول ﷺ يقول: ((لا رهبانية في الإسلام)). ويقول: ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)).

الإسلام دين دعوة لأن هذا هو ما أمر الله به رسوله ﷺ حيث قال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾(١).

وهذا أمر، والأمر في الشرع ظاهره الوجوب إلا إذا صرفه عن الوجوب صارف من دليل شرعي آخر، والخطاب موجه إلى الرسول ﷺ وعند الأصوليين أن كل خطاب موجه إلى رسولنا ﷺ فإنه موجه إلى أمته، إلا إذا جاء دليل يخص الرسول ﷺ بذلك الخطاب، والخطاب لم يرد على أن الرسول ﷺ وحده المأمور بالدعوة إلى الله، بل جاء دليل آخر صريحاً بأن الدعوة إلى الله واجبة على جميع المسلمين وذلك في قوله سبحانه: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾(٢). فسبيل كل مسلم أن يدعو إلى الله على بصيرة لكن بقدر ما يستطيع: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾(٣).

إذن واجبنا - نحن المسلمين - أن ندعو إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا هو واجب المسلم في كل قطر وفي كل مصر وفي كل مكان على وجه الأرض ولكن واجبنا نحن في هذه البلاد المقدسة مضاعف، لماذا؟ لأن الله سبحانه وتعالى اختار لنا الإقامة في البلد الحرام وضاعف لنا الحسنات في هذا البلد

---

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٨).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٨٦).

الحرام وشرفنا بأن جعلنا حملة دينه وسدنة بيته.

هل هذه الفضائل بدون مقابل؟ لا شك أن هنالك واجبات تترتب علينا من موقعنا هذا، ثم إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا وعلى كثير من الأخوة المسلمين بالمال وبكثرة الرجال، هذا أيضاً يجعل علينا واجباً مضاعفاً تجاه إخوتنا المسلمين، ثم نحن أيضاً نرى أن كل دعوة يكون لها مركز في العالم. مثلاً الدعوة النصرانية مركزها الفاتيكان، الدعوة الشيوعية كان مركزها موسكو، نحن لا نضرب هذه الأمثال لندلل على أن مكة مثلهما، وليس لنا مثل السوء؛ وإنما لنقرب للأذهان أن كل دعوة لابد أن ينظر أهلها إلى مركز يستمدون منه القوة ويقدم لهم المعونة.

المسلمون ينظرون إلى هذه البلاد إلى الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة على أنها المركز لأنهم يستقبلون الكعبة المشرفة في صلاتهم خمس مرات في اليوم والليلة.

والله سبحانه وتعالى فرض على كل مسلم مستطيع أن يحج في عمره مرة واحدة، ثم إن الله سبحانه وتعالى أنعم على هذه البلاد بالمال والرجال، فالمسلمون ينتظرون منها العون، وهذا هو المهم لو فرض أننا لم نقم بواجبنا، فمن الذي سيقوم بواجبه من المسلمين؟!.

ليس معنى هذا أن الله تارك دينه، كلا؛ فالله سبحانه وتعالى كافل نصر دينه وله المنة على عباده ومن يقم بنصر دين الله فإن الله سبحانه وتعالى هو صاحب المنة عليه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾(1)، فالناس من العرب أو غيرهم إذا انصرفوا عن

(1) سورة محمد: الآية (38).

دين الله فسيبعث الله من ينصر دينه غيرهم والمنة لله سبحانه وتعالى ليست لهم إذا نصروا دينه.

إذن علينا واجب في هذه البلاد عامة، وفي رابطة العالم الإسلامي خاصة، كل واحد منا إذا سئل أين يعمل؟ قال: في الرابطة - رابطة العالم الإسلامي - يجب أن يعلم أن وراء هذا السؤال أمراً مهماً جداً معناه أنه قد نصب نفسه وقد التزم أمام الله سبحانه وتعالى وأمام الناس جميعاً أن يقدم ما يستطيع تقديمه لهذه المؤسسة التي تقدم للمسلمين ما في وسعها وطاقتها وإمكانياتها.

نحن نعلم ونرى وغيرنا يعلم من ذوي البصيرة أنه لا توجد دائرة أو مؤسسة في العالم لديها من الاتصالات بالمسلمين، ولديها من المعلومات عنهم، وقدمت من المساعدات بالنسبة إلى مواضع المساعدات وبهذا التنوع وهذا القدر مثل ما قدمته رابطة العالم الإسلامي.

ذكر أخي الكريم الأستاذ سمير راضي الزيارة التي قمت بها أخيراً إلى منطقة مجهولة من العالم الإسلامي أو من الأمة الإسلامية - كما أحب أن أعبر - وهي منطقة الهند الصينية المؤلفة (من فيتنام ومن لاوس ومن كمبوديا).

لقد فوجئت ببعض الأشياء التي لم يكن لدينا علم عنها. فوجئنا أن في مدينة (هو شي منه) التي كان اسمها سابقاً سايجون أربعة عشر مسجداً، ولقد زرت هذه المساجد وكتبت عنها مذكرات وصورناها واجتمعنا بالأخوة المسلمين المصلين فيها.

ومن المحزن أن حالة المسلمين المادية متدنية، وليسوا وحدهم الذين حالتهم المادية متدنية كل الشعب، لكن نضرب مثلاً على ذلك بأن راتب الشيخ محمد يوسف إمام الجامع الكبير أقل من دولارين، أنا قلت إن في (هوشي منه) أربعة عشر مسجداً وأكبر مسجد فيها مسجد ضخم أشبه

مايكون بالمركز الإسلامي له أربع منارات وله قبة كبيرة وقبتان صغيرتان ويتبعه مدرسة وجمعية إسلامية ومطعم حلال للمسلمين لأن أكثر أهل البلاد من البوذيين من الذين لا تحل ذبيحتهم، إمام المسجد محمد يوسف الذي يتكلم أربع لغات هي الفيتنامية ولغة تشامبا لغة المسلمين في فيتنام وكمبوديا، واللغة العربية وشيء من اللغة الجاوية التي هي محكية في إندونيسيا هذا الإمام راتبه أقل من دولارين في الشهر لأنه يتسلم خمسة وعشرين ألف دونغ (عملة فيتنام دونغ)، ونحن صرفنا الدولار الواحد بأربعة عشر ألف دونغ. إذن هذا معنى أنه يتسلم أقل من دولارين في الشهر.

ماذا يعمل هذا الإمام؟

وقل مثل هذا عن الأئمة الآخرين، وكذلك عن مدرسي التعليم الإسلامي، وكنا نحن نحمل معنا شيئاً من المال من رابطة العالم الإسلامي وهو مبلغ ضئيل جداً ربما يعرفه الذين يعملون في الإدارة المالية منا ولكنه بالنسبة لحالتهم المادية كثير.

انتقلنا بعد ذلك إلى لاوس وكمبوديا، وهذا الحديث ليس مخصصاً عن هذه الرحلة؛ ولكن أبين لكم أن الواجب علينا لا يقتصر على العالم الإسلامي وحده، وإنما يمتد للأمة الإسلامية كلها وإلى الأقطار أو الأماكن التي ليست معدودة من العالم الإسلامي.

وكمبوديا - كما نعلم - فيها مائة وثمانون مسجداً، وقد زرنا عدداً من المساجد فيها، والمسلمون الآن حالتهم جيدة وليس عليهم خوف، وكان عددهم سبعمائة ألف من مجموع سكان كمبوديا البالغ ستة ملايين، وقد تقلص عددهم الآن إلى مائة وعشرين ألفاً ذهب منهم خمسمائة وثمانون ألفاً ما بين قتيل وهارب من البلاد.

والسبب في ذلك أنهم كانوا أقلية متميزة كان منهم الضباط والوزراء والتجار، ذلك أن الشيوعيين لما قاموا بقيادة (بول بوت) الشيوعي المجرم السفاح الذي يرأس الخمير الحمر - والخمير هذه قبيلة من القبائل الموجودة هناك من عنصر يؤلف ستين بالمائة من سكان كمبوديا - والحمر معناها الشيوعيون - كان قام بثورته إبان الثورة الثقافية في الصين فقلد (ماوتسي تونغ) وماوتسي تونغ كانت ثورته الثقافية الأخيرة هي أن يقيم الشيوعية على غير أساس من أي تقاليد سابقة، فكان يهدم المعبد البوذي والمسجد ويقتل رجل الدين وحرق المصاحف وحرق كتب الدين المسيحي وكتب الدين البوذي. هذا الرجل الذي هو (بول بوت) أراد أن يكون مثله فأحرق كثيراً من المصاحف وقتل كثيراً من المسلمين. فنظراً لأن المسلمين كانوا أقلية متميزة هاجروا حيث هاجر قسم منهم إلى ماليزيا وكندا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. وحدثنا الأخوة المسلمون في كمبوديا أنه لا يوجد بيت من بيوت المسلمين إلا وقد فقد بعض أبنائه.

حدثني نائب رئيس البرلمان واسمه علي بن عبد الرحمن قال: إنه قتل له ثمانية أولاد قتل من أبنائه ثلاثة وقتل من أسرته أحد عشر على يد الشيوعيين السابقين الذين سقطوا قبل مدة ثم التجأوا إلى الحدود التايلندية وأمدتهم تايلند والولايات المتحدة الأمريكية بالمال والسلاح رغم أنهم مجرمون وأنهم سفاكون للدماء ولكن يريدون بذلك أن يقاوموا نفوذ فيتنام التي لها نفوذ على الحكومة الحاضرة إلى أن حصل الصلح في كمبوديا.

إذن واجبنا نحن العاملين في رابطة العالم الإسلامي أن نستشعر أن كل مسلم سوف يسألنا يوم القيامة عما قدمنا له لأنا نحن نصبنا أنفسنا لذلك.

أنا جئت إلى رابطة العالم الإسلامي وأنا أعرف مسؤوليتي وأنت جئت إلى

رابطة العالم الإسلامي وأنت تعرف مسؤوليتك أخونا الذي جاء بعدنا دخل إليها ويعرف مسؤوليته، الذي لا يعرف مسؤوليته فهو مقصر لأنه الآن كثير من أجهزة الاتصالات ووسائل المعرفة قد توفرت.

إذن علينا واجب أن نعمل كل ما نستطيع عمله للمسلمين، قد يقول أحد منا: وماذا أعمل وأنا رجل وظيفتي متوسطة أو ربما يقول إن وظيفتي صغيرة، وليس بيدي من الأمر شيء، الأمر بيد الأمين العام والأمناء المساعدين والمديرين العامين؟

نقول: أنت بيدك أمر عظيم وكبير فالمعاملة التي يكتبها مسلم إليك اعتناؤك بها خدمة لأخيك المسلم، المسلمون ضعفاء قال لي بعضهم في كمبوديا إن الرسالة تكلف دولاراً. إرسال رسالة للمملكة بالبريد والدولار نفسه هو نصف راتب إمام المسجد والإنسان العامل العادي لا يزيد راتبه على ما يعادل ثمانية دولار أو عشرة دولارات في الشهر.

هذه الرسالة يرسلها ويعصر ذهنه ثم يضع أمله في سكان مكة المكرمة في رابطة العالم الإسلامي ثم تأتي إليك أيها الموظف الذي تقول إنك موظف صغير فعند الله لست بصغير إذا أحسنت العمل فتبقى عندك أسبوعاً أو شهراً أو شهرين وربما تهملها كيف لا تكون مسؤوليتك كبيرة؟ وكيف لا تكون أنت بيدك عمل؟.

أنت الذي تحرك العمل، الموظف الصغير أو الذي يسمى نفسه صغيراً بمعنى أن وظيفته صغيرة وإلا فالأعمال عند الله سبحانه وتعالى من الصغير والكبير في كتاب يحاسب عليها.

أنت تسأل أمام الله سبحانه وتعالى عن تأخير هذه المعاملة إذا تأخرت أو عن خيبة آمال إخوانك المسلمين الذين يرسلون هذه الرسالة إلى الرابطة

وينتظرون أن تساعدهم لأنك في مكة المكرمة وهـم في مهـاجرهم محتـاجون للمساعدة.

إذن لا ينبغي أن يستصغر واحد منا موقعه حتى إذا لم يستطع إلا أن ينبه من هو أكبر منه فهذا عمل عظيم ينبهه بأن يقول: فلان له المعاملة الفلانيـة - القوم الفلانيون - الأقلية الفلانية، القضية الفلانيـة تحتـاج منـك إلى عمـل، أنت رجل كثير عمل، أنا أعرف ولكن تحتاج منك إلى عمل وأنـا مسـتعد أن أساعدك.

هذه من واجباتنا التي نحن مسؤولون عنهـا كيـف نشـكو مـن أن دعـاة التنصير سواء من الفاتيكان أو من غيرهم يذهبون إلى المسـلمين في أمـاكنهم ويروجون بينهم الدعايات النصرانية ويرسلون الكتب ويرسـلون الأمـوال، ونقول نحن يجب علينا أن نصد هجومهم؟.

هذا صحيح واجب، ولكن يجب علينا أيضـاً أن لا ننتظـر حتـى يهجمـوا علينا.

كيف نقول هذا، وأنا أضرب أمثلة على ذلك. ومـن ذلـك أننـي كنـت في تنزانيا وأحد المسلمين المخلصين المعروفين المشهورين قدم لي ابنه وقال: هـذا ابني علي، فقلت للابن هل تعرف العربية؟ قال نعم. أعرف شيئاً منها. فقلت أين تعلمتها؟ قال: ذهبت إلى إسرائيل! فوجئت فقلت: كيف يكـون ذلـك؟ قال والده: نحن قدمنا نطلب له منحة في البلد المسلم الفلاني فأجابنا بعد مدة بالاعتذار والبلد الفلاني اعتذر أيضاً، واليهود تقدموا إلينا فأنا أرسلت ابني.

طبعاً هذا ليس عذراً لكن هذا واقع يجب أن نحول دون أن يتكـرر مثلـه، فالله سبحانه وتعالى ضرب الأمثال للناس في القرآن لحكمة منهـا أن التـاريخ يتجدد والحوادث تتجدد وتتشابه يجب أن نأخذ منها العبرة والمثال.

أية معاملة تأتي إلى شخص منا يجب أن يعرف أنه مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى عنها حتى يبذل جهده ليس بأن تذهب عنه بأية وسيلة بل يبذل جهده بأن يعمل ما ينبغي عمله لها ولا يعفيه من ذلك أنني أنا مسؤول أكبر منه وظيفة أو أنني أنا قصرت يقول والله انظروا إلى فلان الموظف الكبير قصّر مع أن تقصيره مسؤول عنه يوم القيامة، لكن أنت مسؤول عن تقصيرك أيضاً بل يجب عليك أن تساعد المسلمين كما قال الرسول ﷺ يقول: ((المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه)).

فأنت أيها الموظف الذي تقول: إنك صغير وأنت لست بصغير ولكن وظيفتك صغيرة مطلوب منك أن تصلح ما تستطيع إصلاحه من عمل الموظف الكبير، ليس ذلك مثلاً بالنقد الجارح وإنما المقصود أن تبرئ ذمتك وتقول وتعمل جميع ما تستطيع وتنبه إلى ما تستطيع وتعرف أن إخوانك المسلمين في العالم أذهانهم معلقة بهذه البلاد المقدسة بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

أيها الزملاء الكرام، إن رابطة العالم الإسلامي في الواقع لو لم تكن موجودة لكان ينبغي أن توجد. لماذا؟ لأنني إذا كنت مسلماً في منطقة نائية ولتكن في قازاقستان مثلاً بلاد القازاق وبلاد القازاق قسم منها معمور وجيد وهو الذي فيه العاصمة ألماأتا. ويدل على اعتدال جوه اسم ألماأتا فمعناه: بلاد التفاح ألما التفاح والتفاح لا ينمو ولا يزدهر إلا في بلد معتدل لكن تمتد البلاد حتى تصل إلى صحراء قاحلة باردة قرب سيبيريا وتحاذيها وهذه النواحي أفسدها الروس بالتجارب الذرية لأنهم جعلوها مكاناً للتجارب الذرية حتى أصبحت الآن من الصعب أن يذهب إليها الناس إلا بوقاية.

لو قال هذا الرجل أو هذه الجماعة في قازاقستان: نحن أصبحنا في دولة

مسلمة مستقلة نريد أن نعرف شيئاً عن أحوال المسلمين في العالم كله نريد جهة نتوجه إليها ونعرف منها هذا. أين تتجه أنظارها؟

إلى رابطة العالم الإسلامي لأنها واقعة في مكة المكرمة ولأنها التي تجمع بين المسلمين ولو أراد شخص أن يؤسس مسجداً وهذا الذي رأيناه في المهاجر البعيدة كما في البلاد التي دخلها الإسلام حديثاً مثل (ساموا) وساموا هذه واقعة في جنوب شرق المحيط الهادي أين يتجه بذهنه وفكره؟

سيتجه إلى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

الرابطة هي هيئة اعتبارية يعني ذات شخصية اعتبارية والشخصية الاعتبارية ممكن أن تقول إنها شخصية وهمية حتى الدولة أي دولة هي شخصية اعتبارية وهمية، من يسيطر عليها يكون هو المسؤول عنها، الرابطة نفسها هي شخصية اعتبارية ولكنها واقعية. وواقعها هو أنتم واقعها المسؤولون ابتداء من حيث الوظيفة بالأمين العام وانتهاء بأصغر فراش فيها فكلنا علينا مسؤولية ولنا أجر ولنا ثواب إذا قمنا بالواجب.

أما إذا قدر بأن قصرنا في أداء الواجب وقصرنا تجاه إخواننا المسلمين فإن اللوم يقع علينا ليس لأننا قصرنا تجاه أنفسنا ولكن لأننا قصرنا تجاه إخواننا وتجاه ديننا وتجاه أمتنا الإسلامية التي نحن جزء منها ويهمنا ما يهمها ولو لم نكن في الرابطة لأنه ورد في الأثر كما تعلمون: ((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)). لو تصورنا رابطة العالم الإسلامي بما ينبغي أن تكون عليه لوجدنا أنها تختلف عما هي عليه الآن.

رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وميزانيتها مقدمة من حكومة المملكة العربية السعودية، وهي كما نعلم ليست دائرة حكومية، ولكنها منظمة شعبية عالمية، وأنتم تعلمون أننا كلنا لسنا موظفين عند الدولة

وليست وظائفنا معتمدة في ديوان الخدمة المدنية؛ فنحن إذن موظفون في منظمة شعبية عالمية، وإن كانت قيادة المملكة العربية السعودية هي التي تشجع الرابطة فتوفر لها ما تستطيع به أن تساعد المسلمين.

والمفروض أن جميع الدول الإسلامية تسهم في أنشطة رابطة العالم الإسلامي وليس المقصود من ذلك أن تسهم في ميزانيتها بأن تدفع رواتبكم فهذا أمر لسنا في حاجة إليه ولا الرابطة بحاجة إليه ولكنهم مسؤولون عن الإسهام في صناديق الرابطة.

الرابطة أسست عدة صناديق: صندوق للمجاهدين الأفغان، وقبله قبل أن تنشأ المشكلة الأفغانية كان هناك صندوق للقدس، وصندوق للمجاهدين في الفلبين تجبى إليها الأموال.

نحن لدينا الآن كما نعلم صندوق للمؤلفة قلوبهم، وصندوق للطلبة الأفارقة لمساعدتهم، وعدة صناديق بإمكان أي دولة وأية مؤسسة أن تساعد على هذه الصناديق وبذلك نساعد المسلمين.

ونحن لا نقصد من ذلك أن رابطة العالم الإسلامي تحتكر العمل الإسلامي فإن العمل مفتوح لكل من يريد أن يعمل ولكن المعلومات الموجودة عند الرابطة والأشخاص من ذوي الخبرة موجودون في الرابطة أكثر من غيرها. حتى المؤسسات الحديثة التي ابتدأت تعمل في خارج المملكة لوحظ أن كثيراً من عملها فيه نقص لماذا؟ لأنه ليس عند العاملين فيها الخبرة الموجودة عند العاملين في رابطة العالم الإسلامي لذلك لا نحتكر أو نسعى لاحتكار العمل الإسلامي ولكن نسعى إلى التعاون والتنسيق ما بين الرابطة وبين الجهات المختصة العاملة في ميدان العمل الإسلامي الثقافي.

في هذا العصر كثير من الناس يتساءلون وخاصة غير المتدينين يقولون

هذا العصر عصر المادة، هذا العصر عصر لقمة العيش، عصر الخبز، ليس عصر التدين ويقولون بصفة عامة وأكثر من يقول هذا هم غير المتدينين من النصارى من الدول الغربية ومن الذين قلدوهم من أبناء المسلمين وهم يحكمون على الدين أي دين من واقع تجربتهم مع دينهم، الدين المسيحي، الذي حرفوه حيث أفلس في الحقيقة في أوروبا وأثبت فشله.

ولقد قرأت تقريراً موثقاً عن اجتماع لبابا روما جمع فيه الفاتيكان عدداً كبيراً من العاملين في الفاتيكان ومن العاملين في الدعوة المسيحية وقال لهم بالحرف الواحد: الوضع المسيحي ميئوس منه في أوروبا وإنما مستقبل المسيحية في إفريقيا وآسيا فعليكم بالتبشير بالمسيحية في إفريقيا وآسيا.

نحن نقول: إن الدين الإسلامي دين الحق، دين الله الذي انزله على رسوله ﷺ وهو الصالح لكل زمان ومكان ولذلك فهو دين المستقبل في أوروبا هذه التي تفتخر بما بلغته من التقدم المادي والحضارة والعدالة بين أفراد الشعب.

ونحن نقول ذلك وإن كانوا كفاراً لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1].

فإذا كان الكافر له حسنات فلا يجوز لنا بنص القرآن أن نقول هذه الحسنات غير موجودة أو أنها سيئات بل نقول: إن هذه حسنات ولكن سيئاته أكبر، وهذا أمر معروف ولا مجال لإيضاحه لأنه واضح.

فهذه القارة التي بلغت العدالة فيما بين شعوبها وحكامها مثلاً مبلغاً لا يوجد في بعض البلدان التي تتسمى بالإسلام مع الأسف الشديد ونحن

---

(١) سورة المائدة: الآية (٨).

نعرفها حتى إن بعض المسلمين إذا أراد أن يجهر بإسلامه ترك بلده وذهب إلى أوروبا، كيف هذا ؟.

ألا يدل على أن العدالة هناك موجودة أكثر مما هي موجودة في بعض البلدان الإسلامية؟.

هذا شيء واضح ومعروف، نجد الدين الإسلامي ولله الحمد ينتشر في أوروبا لأنه دين الحق ودين العدل.

والدليل على ذلك أنه كان عندي قبل أربعة أيام الأستاذ مصطفى النوحي وهو رئيس جمعية وإمام مسجد في أحد أحياء مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا عندما زرت بروكسل، قبل أن يذهب أخونا سمير راضي وكان هناك السيد الأستاذ عبد الله الأهدل – رحمه الله –كان هو القائم بالعمل في رئاسة المركز الإسلامي واستقبلنا وذلك قبل أن يعتدى عليه ويقتل شهيداً – إن شاء الله – قبل ذلك بستة أشهر.

ذهبت في جولة على المساجد والمؤسسات هناك فزرنا مسجداً جامعاً في أحد أحياء مدينة بروكسل، لا أدري هل أخي السيد سمير يعرف اسمه أم لا؟ لا أذكر اسم الحي من مدينة بروكسل ولكن هو الحي الذي فيه جامع الشيخ مصطفى النوحي فجلسنا عند الأخ مصطفى وسألناه السؤال التقليدي متى أنشيء المسجد؟ قال: والله هذا المسجد بيت كبير اشتريناه وحولناه إلى مسجد وذلك في عام ١٩٧٤م.

قال لنا هذا الكلام قبل ثلاث سنوات تقريباً، قال: وعندما جمعنا أول جمعة في هذا المسجد كان عدد المصلين اثني عشر مصلياً فقط! قلت: وآخر جمعة؟ قال: وآخر جمعة الآن كنا اشترينا بيتاً بجانبه وأنا رأيته بنفسي لتوسيع المسجد ووسعناها هذه التوسعة الثانية قال: صلى معنا أكثر من ألف وثلاثمائة مُصلٍّ.

هذا فقط منذ سنة ١٩٧٤م لكن ليس هذا هو الأهم في الأمر، الأهم هو شيء آخر وهو أن هذا الحي الذي ذكر اسمه أخي الذي فيه هذا المسجد وأول مسجد فيه افتتح سنة ١٩٧٤م الآن فيه سبعة عشر مسجداً.

جاء بأسمائها في ورقة وكتبها عبد الله الأهدل - رحمه الله - كتبها بيده مسجد كذا.. إلى أن وصل إلى السابع عشر هو مسجد المسلمين الألبان.

وهم الألبانيون الذين هاجروا إلى أوربا هرباً من الشيوعية ومن الاضطهاد الديني في ذلك الوقت.

سبعة عشر مسجداً في حي واحد من أحياء مدينة بروكسل! على حين أن المسلمين ليست لديهم دولة قاهرة كبيرة كأمريكا أو الاتحاد السوفيتي في وقت طغيانه المادي بالسلاح، إنما دول المسلمين إما دول ضعيفة، أو دول صغيرة.

ونحن كلنا نعرف ذلك، ومع ذلك ينتشر الإسلام.

الإسلام ليس دين دولة معينة، الإسلام دين الله، وليس دين شعب معين، وليس دين العرب بل دين الأمم.

فالإسلام الآن ينتشر - ولله الحمد - في أوروبا كما كان ينتشر في أمريكا.

وينتشر فيهما بين المثقفين أكثر مما ينتشر بين من يسمونهم البدائيين الآن لماذا؟ لأن وسائل إبلاغ الإسلام تيسرت الآن أكثر؛ فعدد من المسلمين ذهبوا إلى هناك وعدد من غير المسلمين احتكوا بالمسلمين واطلعوا على ما عندهم ودرسوا الإسلام فكان هذا النصر المبين.

وفي الختام أذكركم بقول رسول الله ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... وأخذ ﷺ يعدد... إلى أن قال: والمرأة راعية في بيتها وهي مسؤولة عن رعيتها)).

وأنتم لستم ولله الحمد بالصغار ولستم كغيركم، أنتم عليكم مسؤولية عالمية ليست مسؤولية محلية؛ فعليكم أن تنهضوا بها وعلينا جميعاً أن نتعاون على ذلك ولذلك ينبغي أن تسود روح المحبة والتسامح والإخاء والانتظام أكثر من روح النظام الصارمة.

ليس معنى ذلك التهوين من شأن النظام، فالنظام لابد منه، ونلاحظ أن الرسول ﷺ قال: ((إذا سافر اثنان فليؤمهما أحدهما، ويروى ليؤمكم أقرؤكم لكتاب الله))، يعني اثنين أو ثلاثة، والسنة أن المسافرين يؤمر عليهم واحد منهم، وذلك من أجل أن يضبط النظام، ولئلا يكون الأشخاص ثلاثة كل واحد منهم يعتبر نفسه أميراً بنفسه.

إذن في هذه الرابطة الضخمة عندنا نظام ولكن هناك شيء أهم من النظام وهو أن يشعر كل إنسان منا في داخله وفي ضميره بأنه مسؤول عن هذه الإدارة، ومسؤول أيضاً عن تصحيح أخطاء الآخرين بقدر ما يستطيع بالحكمة والموعظة الحسنة.

إذا وجد زميلاً من زملائه يحتاج لنصح ينصحه ويقول له: يا أخي أنت فعلت كذا وكذا، وأن الداعي لقولي هذا لك هو المصلحة العامة وعليّ إبراء ذمتي، ولا شك أن أخاه إذا عرف أن مقصده صحيح لا يكون في نفسه شيء.

أخيراً نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يوفقنا جميعاً بالواجب وأن يجعلنا أخوة متحابين متعاونين على الخير وأن نكون عند حسن ظن إخوتنا المسلمين بنا في العالم الذين يحملوننا مسؤولية كبيرة. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على تحملها وأداء الواجب فيها إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞ فقهه بواقع أمّته

أزمة الهوية في عصر الاتصالات والعولمة(١)

لا شك أن المتابع لما شهدته العقود الأخيرة في القرن الميلادي الفائت من ثورة في عالم الاتصالات والتكنولوجيا وسيطرة الشركات الاقتصادية الكبرى غير محدودة الجنسية على الاقتصاد العالمي يدرك صلة هذه الثورة الصناعية بالعولمة.. وقد يتساءل بعض الناس: ما هي العولمة؟

طرح هذا المصطلح مرتبطاً بالمتغيرات السياسية العالمية وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية، ويرتبط المصطلح في الوقت نفسه بالثورة التكنولوجية والاتصالات وثورة المعلومات التي يشهدها العالم في هذه الفترة، والعولمة تسعى لإدخال العالم في طور من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحداً أو نازعاً للتوحد وتعتمد إدارة العولمة في تنفيذ برامجها على ثلاثة عوامل هي:

١ - ثورة المعلومات و التقنية بما فيها الاتصالات.

٢- القوى الاقتصادية الرأسمالية.

٣- القوى السياسية المهيمنة.

(الاقتصاد - السياسة - المجتمع - الثقافة - الدين - الفرد) وغير ذلك من دقائق الأمور التي تتصل بحياة الإنسان على هذه الأرض.

وتعمل قوى العولمة إلى إيجاد قوانين جديدة لتنظيم مجالات الحياة

---

(١) خلاصة ورقة عمل ثقافية قُدمت لجامعة الملك سعود في الأسبوع الثقافي الذي عُقد بالجامعة.

الإنسانية كما يريدونها من خلال:

١- مؤتمرات العولمة الاقتصادية والاتفاقات التجارية الدولية وعلى رأسها (الجات).

٢- مؤتمرات العولمة الاجتماعية ومن أبرزها مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة الذي عقد في عام ١٩٩٤م ومؤتمر المرأة الرابع في بكين عام ١٩٩٥م ومؤتمر المرأة عام ٢٠٠٠م الذي عقد في نيويورك.

٣- مؤتمرات عولمة الثقافات الدينية والروحية ومن آخرها بل من أهمها مؤتمر قمة زعماء الأديان للألفية من أجل السلام الذي عقدته هيئة الأمم المتحدة في شهر جمادي الأولى من هذا العام ١٤٢١هـ.

ويتجلى خطر العولمة أساساً على الثقافات والعقائد حيث أجمع معارضوها من المسلمين وغيرهم ولا سيما الفرنسيون والألمان أن العولمة يراد لها أن تبتلع كل الانتماءات والهويات والقيم.

ومن أبرز المؤسسات والهيئات الإسلامية التي تصدت لعولمة العقائد والثقافات رابطة العالم الإسلامي والأزهر الشريف والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وقد شارك ممثلون عن هذه المؤسسات الإسلامية في العديد من مؤتمرات العولمة كمؤتمر السكان والتنمية ومؤتمر المرأة الرابع ومؤتمر الأديان وغيرها حيث طرحوا موقف الإسلام ومبادئه واجتهدوا في إبطال المواد التي تتعارض مع دين الإسلام وثقافة المسلمين أثناء انعقاد تلك المؤتمرات التي تقنن للعولمة.

*** التجربة السعودية:**

نحن المسلمين - لسنا بحاجة إلى العولمة التي مر ذكرها لأن الأمة المسلمة مدعوة للتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهما أصلان عظيمان، كما

في الحديث الشريف: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي))، وهذا ما سارت عليه البلاد السعودية منذ قيام الدولة السعودية الأولى على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بعد تأسيس المملكة العربية السعودية ولا تزال. هذا و يجب أن نبرز التجربة السعودية للمسلمين من ناحتين هما بارزتان و معروفتان لنا في بلادنا:

الأولى: تحكيم الشرع الشريف من قبل الحكومة السعودية، الأمر الذي كان قام به و نادى المسلمين الآخرين إلى أن يقوموا به الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، وجزاه عنا خيراً ثم من بعده الغر الميامين من أبنائه حتى وصل الأمر إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله؛ فإنهم حكموا الشرع الشريف فيما يتعلق بالتعامل مع الناس وبخاصة فيما يحفظ الأمن ولذلك نجد أن المملكة العربية السعودية لا نظير لها في العالم من جهة الأمن حتى إن الكفار من النصارى وغيرهم إذا جاءوا إلى بلادنا لعقود عمل أو سفارات أو مع شركات لمدة معينة حتى ولو بلغت سنوات فإنهم يشعرون أنهم يأمنون عندنا على أموالهم وأنفسهم وعلى أهليهم أكثر مما يأمنون عليها في بلادهم وقد صرح لي مهندس فرنسي أنه بقي في الرياض أربع سنين قال: إني آمن على أهلي وبيتي ومالي في الرياض أكثر مما آمن عليها في باريس.

الناحية الثانية في التجربة السعودية هي العمل على مساعدة المسلمين في الخارج على أن يكون المسلم في المستوى المطلوب من المسلم فنحن نرى المملكة العربية السعودية تعاقدت مع آلاف الدعاة حتى من غير السعوديين بأن يقوموا بالعمل والتوجيه في بلاد الأقليات المسلمة وحتى في بلاد بعض الأكثريات المسلمة.

ثم إن المملكة العربية السعودية ضربت المثل الأعلى للمسلمين في التضامن الإسلامي وذلك عن طريق التعاون مع المسلمين على المشروعات الإسلامية مثل تشييد المساجد وإقامة المدارس وتسيير الدراسة في المدارس واستمرارها ومثل تسيير الأمور في الجمعيات الإسلامية وفي جمعيات الإسعاف للمسلمين وحتى صيانة مقابر المسلمين في البلاد الخارجية.

* * * * * *

* فقدان الهوية الإسلامية:

الأمر كان كما يعرف الجميع من فقدان الهوية الإسلامية الحقيقية عند بعض الناس الذين يقولون إنهم مسلمون ولكنهم لا يعملون بذلك، مثلاً نجد أن بعض الأعراب كانوا قبل حكم الملك عبدالعزيز وحتى منذ قرون يغيرون على الحجاج خلال أدائهم المناسك في المشاعر المقدسة في منى وعرفات وأحياناً يقتلون الحجاج ليأخذوا ما معهم في نواحي مكة والمدينة وأحياناً في الطريق ما بين مكة والمدينة.

ثم هناك شيء مهم آخر وهو أن ولاة الأمر في الطرق والمنافذ التي تؤدي إلى الحرمين الشريفين كانوا في الأزمان القديمة يأخذون ضرائب وإتاوات من الحجاج وقد قرأنا في التاريخ أن بعضهم في جدة كان يمنع الحجاج من أن يواصلوا السفر إلى مكة المكرمة من أجل أداء الحج والعمرة إلا إذا دفعوا بلغاً معيناً من المال وإذا اعتذر الحاج بأنه ليس معه شيء وقال لهم: فتشوني وانظروا ليس معي شيء، فإنهم لا يقبلون عذره، بل قد يسجنونه وحتى إذا سجنوه وفاته الحج أو العمرة بعد ذلك وطلب أن يخلى سبيله طلبوا منه أن يدفع مقابل ما صرفوه عليه من غذاء خلال سجنه.

* * * * * *

* الملك فيصل رائد التضامن الإسلامي:

الملك فيصل رحمه الله هو أول من طبق سياسة التضامن الإسلامي تطبيقا عمليا وذلك بأنه قام برحلات إلى عديد من الدول الإفريقية وغيرها من الدول الإسلامية والدول التي فيها أقليات مسلمة واستعمل ثقل المملكة العربية السعودية الاقتصادي ووزنها الدولي في سبيل نفع الإخوة المسلمين الموجودين في تلك الدول(١).

* * * * * *

* التضامن الإسلامي في عهد خادم الحرمين الشريفين:

وفيما يتعلق بالتضامن الإسلامي والتعاون مع الإخوة المسلمين وبذل المساعدات لهم فقد تطور تطوراً عظيماً بل تضاعف في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله، وأذكر أنه أرسل إليّ الأستاذ عبد العزيز المسند يأمرني الملك فهد رحمه الله بالحضور إلى الديوان الملكي، فجلست معه ولم يحضر معنا إلا الأستاذ عبد العزيز المسند وقال لي الملك فهد: قد قرأت كتابك (في إفريقية الخضراء) وإن الذي ذكرته عن سبب كارثة العرب في زنجبار هو تحليل صحيح وقد قرأت اقتراحاتك في آخر الكتاب وهي أن تتعاون الدول الإسلامية على بذل المساعدة للإخوة المسلمين الإفريقيين ونحن نرحب بتعاون الدول الإسلامية على ذلك ولكننا نحن سنقوم من جانبنا بمساعدة الإخوة المسلمين في إفريقيا بل نعمل جميع ما يحتاجه إخواننا المسلمون في إفريقيا كما ذكرته أنت.

---

(١) انظر التضامن الإسلامي الكبير في ظلال دعوة القائد الزعيم/ فيصل بن عبد العزيز - محمد حسن عوّاد - الطبعة الأولى فبراير ١٩٧٦م - القاهرة.

* تطبيق الشريعة وبعض المنظمات الدولية:

إن المملكة العربية السعودية تطبق الشريعة الإسلامية وتتخذ من القرآن والسنة نظاما لحكمها ودستورا لها بينما نجد أن هناك منظمات كمنظمة العفو الدولية أو غيرها تطعن المملكة من جانب حقوق الإنسان لأنها تقيم الحدود الشرعية وهنا لا بد من القول: إنه يجب أن نستحضر قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1].

إنهم يريدون منا الوقوع في فوضى انسياق الأجيال الطالعة منا خلف الشهوات وتركها ما يعصمها من ذلك.

* * * * * *

* المملكة العربية السعودية ورعاية القضايا الإسلامية[2]:

هناك ناحية مهمة من نواحي اهتمام المملكة العربية السعودية فيما يتعلق بالإخوة المسلمين، وهي رعاية القضايا الإسلامية، ومواصلة ذلك.

فالمملكة العربية السعودية لكونها قد استرعاها الله سبحانه وتعالى أمور خدمة الحرمين الشريفين حتى إن رأس الدولة استبدل لقب جلالة الملك بلقب خادم الحرمين الشريفين، والحرمان الشريفان كما نعلم هما أقدس المقدسات عند المسلمين، والكعبة المشرفة قبلة المسلمين إليها يتوجهون بصلواتهم في الليل والنهار وفي أي مكان من الأرض كانوا.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٢٠).

(٢) انظر المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر. محمد بن ناصر العبودي - طبع مطابع الرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وهذا أمر معروف ولذلك لا عجب بأن تقوم المملكة العربيـة السـعودية بتأييد القضايا الإسلامية، بل بالدفاع عنهـا ونحـن نـرى أنـه عنـدما هـاجم اليهود المصلين في المسجد الأقصى سارع ولي العهد سمو الأمير عبـد الله بـن عبد العزيز وأعلن بأن خـادم الحـرمين الشريفـين، وفقـه الله، تـبرع بثلاثـين مليون ريال لصـالح أبطـال الانتفاضـة الفلسـطينية المـدافعين عـن المسـجد الأقصى كما أعلن تبرعه هو بعشرة ملايين ريال ثم أعلـن أشـياء مهمـة جـدا وهو أنه أبلغ جميع أمراء المنـاطق وجميـع محـافظي المحافظـات في الـبلاد بـأن يفتحوا صناديق للتبرعات للقدس وهذا أمـر عمـلي وخطـوة مهمـة لأن الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة أعطى شعبنا من الخير الكثير والخـير كثـير في أمة محمد ﷺ.

* * * * * *

* المملكة ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة:

إن تطبيق الشريعة الإسلامية هو أولاً مكسب إسلامي كبير، وهـو الـذي أثبت للعالم كله أن الشريعة الإسلامية قابلة للتطبيق وأن تطبيقها لـيس مجـرد أنها قابلة فقط ولكن تطبيقها يكفل الأمن والطمأنينة لأهل البلد وللمقيمـين فيه من غير أهله أيضاً.

وثانياً أن المملكة العربية السعودية عن طريق تعليم أبناء المسـلمين تعلـيماً إسلامياً كفلت للمسلمين أن يتفهموا ويعرفوا عن طريق الدراسة فيها كيـف تطبـق الشريعـة الإسلاميـة، فهـذه الكليـات والجامعـات ومنهـا الجامعـة الإسلامية في المدينة المنورة التي أنشئت في الأصـل لأبنـاء المسـلمين خـارج المملكة العربية السعودية وكذلك بعض الجامعات مثل جامعـة أم القـرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض كلها فيهـا طلبـة مـن

أبناء المسلمين من أنحاء متعددة هؤلاء يتعلمون كيف يستطيع العلماء أن يأخذوا ويستمدوا من الشريعة الإسلامية ما يطبقونه في هذا العصر.

* دور المراكز الإسلامية في الحفاظ على الهوية الإسلامية:

وناحية أخرى مما قامت به المملكة العربية السعودية وهي المراكز الإسلامية التي قامت المملكة العربية السعودية بإنشائها ثم تقوم الآن بتسييرها وبالإنفاق على ذلك، وقد عهدت إلى رابطة العالم الإسلامي بإدارتها وكلها أو أكثرها يقع في بلدان غير إسلامية في أوروبا وفي الأمريكتين وفي بلاد عديدة؛ فهذه المراكز محكومة بالعمل في نطاق الأعراف وإمكانات العمل الموجودة في البلاد التي تقع فيها ولذلك هي تعمل في نطاق الظروف الموجودة هناك بمعنى أنها تدعو بالحكمة والموعظة الحسنة بناء على مرحلية الدعوة.

* * * * * *

* دور الأكاديميات والجامعات:

لقد أقامت المملكة العربية السعودية في بعض البلدان الإسلامية وخارج البلدان الإسلامية معاهد وأكاديميات ومدارس لأنها ترى أن التعليم من وسائل المحافظة على الهوية الإسلامية.

ولقد كان المقصود من إنشاء تلك الأكاديميات والمدارس هو تهيئة الدراسة لأبناء السعوديين هذا هو الأساس، ولكن نظراً لوجود الإخوة المسلمين هناك فإن المملكة العربية السعودية لم توصد الباب أمام أولادهم لذلك توسعت هذه الأكاديميات والمدارس ودخلها أبناء الأقليات المسلمة الموجودة هناك وبخاصة من أبناء البلدان العربية الذين يريدون أن يعلموا أولادهم اللغة العربية والدين الإسلامي.

* مواجهة ما يتعارض مع الإسلام من العولمة:

يجب على المسلم أن لا يكون موقفه سلبا تجاه الغزو الثقافي الذي هو جزء من العولمة، بل إن العولمة الثقافية والإعلامية هي أسلوب من أساليب الغزو الثقافي لأن القائمين عليه قد عرفوا أنهم صاروا يهيمنون على وسائل الإعلام العالمية، وحتى إنهم يهيمنون على مقدرات بعض الشعوب في العالم؛ فهذا جزء من الغزو الثقافي، فيجب علينا- نحن المسلمين- أن لا نقاوم هذا الغزو مقاومة سلبية بأن نقول هؤلاء خبثاء وضالون فقط، وإنما يجب أن نغزوهم بغزو ليس من جنس غزوهم ولكنه يبطل غزوهم؛ فالعولمة كما يفهم منها أنها إعطاء الحرية للجميع في الدعوة إلى ما يريدون فكما أنهم يدعوننا إلى أن نتخلى عن ديننا وعن تقاليدنا وعن موروثاتنا المنبثقة عن ذلك، يجب علينا أن نصر على أن هذا غزو ثقافي ومن حقنا أن نعيش ونتثقف كما نريد لكن إلى جانب ذلك لا ينبغي أن نتخذ موقفاً سلبياً وإنما نحن نقاوم ذلك بتكثيف الدعوة إلى الله وبيان محاسن الإسلام وبيان الدين الإسلامي كيف يكفل السعادة للجميع.

* * * * * *

* الحل في الالتزام الإسلامي:

ويجب علينا أن نبصر المسلمين وننبههم إلى أن الإسلام ليس مجرد دعوى باللسان بل هو كما قال أحد علماء السلف الصالح: ((ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني؛ ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال))، وينبغي أن ندعو المسلمين إلى الأخذ بالمعاملة التي يأمر بها الإسلام لأن الرسول ﷺ، قال: ((من غشنا فليس منا))، فيجب علينا أن نحارب الغش، وقال ﷺ: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان))، فيجب علينا أن نحذر المسلمين من هذه الأمور ونشرح لهم أنهم الآن في العصر

الذي يسمى عصر العولمة وبخاصة عولمة الاتصال بالشعوب الأخرى التي تقتضي أن ينظر المسلم إلى أمور المعاملة الواردة في الإسلام فيلتزم بها لأن هذه هي علامة النجاح وعلامة الإقبال وهي التي تركز الثقة بالمسلمين وتجعل غير المسلمين ينظرون إلى المسلمين على أنهم أمثلة للصدق وأمثلة للخير للجميع أي الخير للمسلمين وغير المسلمين.

فيجب على المسلم ألا يكذب وألا يغش كافراً في المعاملة لأن الغش محرم سواء إذا كان لكافر أو مسلم وخاصة إذا كان الكافر ذمياً أو ليست داره دار حرب أي ليست تحارب المسلمين؛ وإنما تتعامل معه بموجب تعاقدات فهذه التعاقدات تعتبر تعاقدات مرعية مثل تعاقدات أهل الذمة الموجودين تحت حكم المسلمين فهم وإن لم يكونوا تحت حكم المسلمين ولكن أحياناً يكون المسلمون بعض المسلمين موجودين تحت حكمهم، ولذلك يجب عليهم أن يعاملوهم كما يعاملون المسلمين فيما يتعلق بالوفاء بالعقود لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾[1].

فالعقود يجب الوفاء بها للجميع ويجب عدم أخذ حقوق الآخرين أو أموالهم إلا إذا كان ذلك بطريقة سليمة كما يسمى بالقانونية سواء كانت قانونية شرعية أو كانت قانونية مدنية متفقاً عليها بين الطرفين ولا تخالف القواعد الإسلامية.

مكة المكرمة **محمد بن ناصر العبودي**

(١) سورة المائدة: الآية (١).

المبحث الثاني

جهود العبودي في المجال التربوي

نشأ معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي نشأة إسلامية خاصة، فقد كان مولده في مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم سنة ١٣٤٥هـ، وهي بيئة إسلامية محافظة، حيث نشأ فيها معاليه ودرس في مدارسها وأخذ عن شيوخها العلوم، ومن أبرزهم - رحمهم الله تعالى - الشيخ عمر بن سليم رئيس قضاة القصيم والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد الذي قرأ عليه، وحفظ طائفة من المتون في الحديث والفقه والفرائض وألفية بن مالك، كما تأثر بأخواله وهم جميعاً من حفظة كتاب الله الكريم، وصاحَبَ خلال نشأته أئمة المساجد وأهل الدعوة وطلاب العلم.

لكن ملازمته في شبابه للشيخ عبد الله بن محمد بن حميد كان له عظيم الأثر في تكوينه التربوي والدعوي والعلمي والثقافي فقد كان - رحمه الله - أحد كبار العلماء في المملكة ورئيساً للمجلس الأعلى للقضاء وقد سافر معه العبودي إلى مكة عندما انتدب لإنهاء القضايا المتأخرة في محاكمها.

وعندما اشتد عود العبودي دخل ميادين العمل مربياً ومعلما وقد تدرج في وظائف التربية والتعليم؛ حيث كانت أول وظائفه التربوية وظيفة مدرس العلوم الدينية في المدرسة الأولى بمدينة بريدة، والتي صارت تسمى بعد ذلك مدرسة الفيصلية، وشغل هذه الوظيفة مدة عام دراسي واحد، ثم عين مديرا للمدرسة المنصورية، فربى جيلاً من الشباب على حب العلم والتطلع إلى الفضيلة والتمسك بأهداب الإسلام والحرص على الخلق الإسلامي والتعاون والتواصل مع المواطنين في كل عمل يتصل بالخيرات والمبرات، ويشهد المثقفون في مناطق القصيم بفضله وعنايته بهم.

وبعد السنوات السبع التي قضاها مديراً للمدرسة المنصورية عين مديراً للمعهد العلمي في بريدة، وكان هذا المعهد هو الثاني في المملكة بعد المعهد العلمي في الرياض الذي كان يرأسه المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى، وقد تسنى له خلال إدارته للمعهد المشاركة في التوجيه التربوي، والإسهام في وضع الخطط والبرامج وعرض المقترحات العلمية والتربوية للمعاهد العلمية في المملكة، وقد امتدت إدارته للمعهد من سنة ١٣٧٣هـ إلى سنة ١٣٨٠هـ.

ولما تميز به العبودي من جهد في المجال التربوي الإسلامي، رأى ولاة الأمر نقله إلى الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما افتتحت، وكان من الموظفين المؤسسين للجامعة وامتد الزمن في هذه الوظيفة ثلاثة عشرة سنة، عين بعدها وكيلاً للجامعة لمدة سنة واحدة، وفي عام ١٣٩٤هـ نقل إلى وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية برتبة وكيل وزارة في المرتبة الخامسة عشر وبقي فيها تسع سنوات، ثم اختير أميناً عاماً مساعداً لرابطة العالم الإسلامي بالمرتبة الممتازة وذلك في عام ١٤١٣هـ وما زال يشغل هذه الوظيفة حفظه الله وقواه ونفع به.

لقد تجلى الجانب التربوي واضحا في جهود العبودي خلال عمله في الجامعة الإسلامية، فكان له فضل كبير في تأسيسها صرحا إسلامياً شامخاً في المدينة المنورة.

فقد كان هو الشخصية التربوية العلمية الوحيدة التي عينت قبل قيام الجامعة، حيث اجتهد في رسم سياساتها، ووضع الخطط لبرامجها وتأسيس كلياتها، ووضع مناهجها، وعرض الاقتراحات لولاة الأمر بشأن توجيهات برامجها وأهدافها وطبيعة الدراسة فيها.

ولم يشأ العبودي أن يتخلى عن رغبة التدريس، والتواصل اليومي مع طلاب العلم في الجامعة، فقد خصص لنفسه حصصاً أسبوعية تولى خلالها تدريس عدد من المواد العربية والإسلامية.

وقد شهد أساتذة الجامعة الإسلامية ومسؤولوها وطلابها بجهود العبودي التربوية والعلمية في الجامعة التي تخرج فيها منذ افتتاحها حتى الآن آلاف من أبناء المسلمين والأقليات المسلمة، وكان العبودي الذي تولى مع اللجان الخاصة رسم سياسات الجامعة يتطلع إلى نفع أبناء المسلمين المحتاجين للتعليم، مما جعله يتقدم باقتراح أن تكون نسبة الطلاب الوافدين في الجامعة لا تقل عن (٨٠ ٪) من طلابها، وقد اعتمد ولاة الأمر هذا الاقتراح، مما أسهم في تلبية احتياج المجتمعات الإسلامية إلى المثقفين والأئمة والدعاة، وقد تسلم العديد من خريجي هذه الجامعة مناصب إسلامية مهمة في بلدانهم، ومازال كثير منهم يواصل معه عرفانا بفضله وقدره، وللعبودي جهود أخرى مشهودة ومهمة في المجال التربوي، فهو عضو في اللجنة الملكية الخاصة بالنظر في المناهج الدراسية بالمملكة.

وله عديد من المشاركات في المؤتمرات التربوية الإسلامية وكذلك الدولية، وقد ضمن مشاركاته في المؤتمرات التربوية الإسلامية في كتابه (مؤتمرات إسلامية) وهو في خمس مجلدات، بينما ضمن مشاركاته في المؤتمرات غير الإسلامية في كتابه (حديث المؤتمرات) وهو في مجلدين.

ومن أقدم المؤتمرات التربوية التعليمية التي شارك فيها العبودي: مؤتمر التعليم الإسلامي الذي عقد في مدية حيدر آباد في شمال الهند عام ١٣٩٧هـ، وكان برئاسة فخامة الرئيس فخر الدين أحمد رئيس جمهورية الهند آنذاك.

وخلال عمله في رابطة الإسلامي الذي بدأ في عام ١٤٠٣هـ أسهم العبودي إسهاماً فاعلا في المجال التربوي التعليمي والإسلامي، وذلك من خلال المشاركة في وضع مناهج التربية والتعليم للمدارس الإسلامية في الخارج، هذا بالإضافة إلى سعيه وإشرافه على تزويد الأقليات والجاليات المسلمة والمسلمين في البلدان الإسلامية الفقيرة بنسخ من المناهج السعودية الزائدة عن حاجة وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات، وكان - حفظه الله - يتابع شحنها وإيصالها بوسائل النقل إلى الأماكن المحددة لها.

إن جهود العبودي في مجالات التربية والتعليم واسعة، وهي بارزة في رحلاته وزياراته مواقع المسلمين، ولا يمكن حصرها أو استعراض مجملها في العجالة، بل يمكن اختصار ذلك كما يلي:

١- زيارة المعاهد والمدارس والجامعات الإسلامية في أنحاء العالم وبخاصة تلك التي أسستها المملكة أو أسهمت في مساعدتها.

٢- الالتقاء بالمشرفين على التربية والتعليم في العديد من البلدان الإسلامية ومواقع الأقليات والجاليات المسلمة للنظر في أوضاع المسلمين الثقافية واحتياجاتهم إلى التعليم وإلى المناهج الإسلامية والسعي في تلبية تلك الاحتياجات.

٣- الإسهام في اختيار الكفايات التربوية والتعليمية للمدارس والمعاهد التابعة للمراكز الإسلامية في الخارج.

٤- نقل التبرعات المالية للجامعات والمدارس الإسلامية المحتاجة.

٥- تقديم المقترحات المتعلقة بصياغة مناهج دراسية متناسبة ووسيطه الإسلام الذي هو عدل خيار، وذلك ضماناً لتحقيق الشخصية المسلمة من الإفراط أو التفريط في أمور الدين.

وإضافة إلى هذه المحاور في جهوده التربوية والتعليمية؛ لم ينس العبـودي أثر القصة في التربية ويمكـن ملاحظـة المبـاديء التربويـة التـي أقـام عليهـا مجموعة من القصص السهلة المشـوقة للقـاريء، يجـد في ثنايـا قصـص هـذه المجموعة لمحات تربوية اعتمد العبودي في بثها على أسلوب الإيحاء القصصي ليعمم مبـاديء الإسـلام في الفضـيلة والتعـاون والتواصـل والتحـاب بـين الناس، حيث نجد بين صور المعاناة من أجل البيت الكريم كما في قصة (التي ملت النعيم) وقصة (حمد الصياد) وقصة (عمار النجار) معاني التراحم بين الأزواج، ومعالجة كيد النساء، بالإضافة إلى التأثير في وجدان المتلقي بطريقـة جذابة مشوقة ليتعلق من ثم بسلوكيات إسلامية مثل صلة الـرحم والأمانـة والصدق والعفاف والمشاركة في المواقف الإنسانية.

وهكذا سخر العبودي القصة في مجال التوجيه التربوي الإسلامي.

وكما ذكرت، فلا يمكن اسقصاء جهود العبودي في المجال التربـوي ومـا تم ذكره ما هو إلا إضاءات وإرشادات تنبيء بالجهد الـذي قدمـه - حفظـه الله- في المجال التربوي خدمة للإسلام والمسلمين.

❁ ❁ ❁

۞ الشيخ محمد العبودي في بيته

لعل ما مرّ من صفات الشيخ وطبائعه وأخلاقه في تواضعه ووقاره، وانشغاله بالعلم، وكثرة أعماله الرسمية وغير الرسمية، وعلاقات الناس به خاصتهم وعامتهم، كل ذلك قد يدعو المطلع على سيرته أن يسأل عن حال الشيخ في بيته ومع أولاده وأسلوبه في التربية..

الشيخ - حفظه الله - استطاع بتوفيق الله له - أن يجمع بين الهيبة والوقار وخصائص طالب العلم، والأب المربي الحاني الرقيق الشفيق؛ فإن شئته مهيباً وقوراً محافظاً على الانضباط في البيت فترى من ذلك العجب، وإن شئته أباً حانياً قد انطلق مع أولاده وأهله في أحاديث أسرية ومداعبات مع الصغار بحيث يلتفون حوله ويرغبون في مجلسه ويأنسون بأحاديثه، فإنك واجد في ذلك شيئاً كثيراً، وإنك لتستغرب كيف يجد الشيخ الوقت لمثل هذا مع ما مرّ بك من وصف دقيق لأعماله وأيامه.

وأكثر ما تكون جلسات الشيخ مع أولاده في مواعيد الطعام، وله جلسة بعد العشاء يتحلق حوله الأهل والأولاد، يتم فيها مجاذبة أطراف الحديث على نحو ما يجري لدى الناس في بيوتهم، غير أن جلسات الشيخ تتميز في كثير منها بحرص الشيخ فيها على التوجيه والتربية وبيان بعض الأمور والأحوال لأبنائه وبناته مما ينبغي أن يتمسكوا به من أهداب الدين وكريم الأخلاق وما ينبغي أن يجتنبوه من سيء الأفعال وذميم الأخلاق والبعد عن قرناء السوء.

كما أن الشيخ يُجمّل مجلسه الأسري بشيء من الأدب، والحكايات التاريخية، والقصص ذات المغزى، والمقطوعات الشعرية، وقد يطرح بيتاً من

الشعر أو أبياتاً فيطلب من أولاده تقطيعه على أوزان بحور الشعر، وهو يلقي الشعر عليهم بطريقة خاصة ذات نغمٍ جميل موزون، ومن أجل هذا تعلق الصغار بأوزان الشعر وبحوره، ووجد بينهم منافسة علمية جميلة.

ولمزيد من الإيضاح والتفصيل، فإن الشيخ ذو حرص وعناية ومتابعة فائقة في كل ما يجري حوله من شؤون البيت والأهل والأولاد.

ويؤكد ذلك ويدلل عليه ما ذكرته إحدى بناته[1] فتقول: منذ أن وعينا ما حولنا ونحن ندرك أننا نعيش في كنف أسرة تختلف عن أسر أقراننا في حي سيد الشهداء بالمدينة المنورة، فقد أنعم الله علينا بوالد عالم مبدع، ووالدة أعطت أسرتها كل اهتمامها وعنايتها.

عوّدنا والدي على حب العلم والقراءة والاطلاع في جميع المجالات، وأن يقرأ كل ما يصله من دور النشر اللبنانية والمصرية التي كان مشتركاً فيها والتي تزوده بمنشوراتها بانتظام مع تنبيهنا لما في بعضها من دس أو أفكار مضللة على الرغم من صغر سننا، فتعلمنا بذلك الاستماع لوجهات النظر الأخرى قبل إطلاق الأحكام والنقد الهادف البناء وتحمل مسؤولية، لا يكتفي -حفظه الله- بالنجاح في المدرسة فقط، وإنما يحثنا على التفوق ويكافئنا على تفوقنا متلمساً مكامن سعادة الطفولة، وأذكر عندما كنت في الصف الثالث الابتدائي، أحضرت له شهادة الاختبار الشهري الذي تفوقت فيه قام بإعطائي كل ما في جيبه من القروش المعدنية من فئة الأربعة قروش والتي كان مجموعها ثمانية ريالات، ولا زلت حتى الآن أستمتع بذكرى رنينها وثقلها في كفي.

---

(١) شريفة: وتحمل الماجستير وتحضر الدكتوراه في الترجمة، ولها إسهامات أدبية وقصصية منشورة.

وفي فترة العطلة الصيفية كان يحثنا على التنافس في إصدار مجلات بدون أن يحدد لنا اتجاهات، ويضع جائزة لمن تحصل مجلته على المرتبة الأولى من حيث المستوى وطريقة الإخراج، وأيضاً في العطلة الصيفية وقبل توفر الآلات الكاتبة، كان يكلفنا بإعادة نسخ مخطوطاته أحياناً أو قراءتها للتعرف على الكلمات التي ربما تكون غير واضحة لمن يقوم بالطباعة حتى لا تظهر أخطاء مطبعية في كتبه، حيث كان يطبعها خارج المملكة، ويكافئنا بمبالغ مادية حسب عدد الصفحات التي نسخناها أو راجعناها، هذه المواقف علمتنا استغلال وقت العطلة الصيفية الطويلة بما يفيد، والاطلاع على العلوم المختلفة مع الكسب المادي في نفس الوقت، وعندما نجتمع على الطعام لا يفوت فرصة دون أن ينبهنا إلى آداب الطعام في الجلسة الصحيحة والمضغ الجيد وتناول الطعام المتنوع ويحدثنا عن القيمة الغذائية مثل اللحم ومنتجات الألبان والأطباق الشعبية المكونة من الحبوب الكاملة، ويحث والدتي على إزالة الشحم من اللحم والإقلال من استخدام السمن والزبدة في الأطعمة ما أمكن لعلاقتها بأمراض القلب وتصلب الشرايين.

عرفنا منذ أن كنا صغاراً أن هناك علاقة بين زيادة الملح والإصابة بضغط الدم، فكان يمنع تناول المخللات وزيادة الملح في الطعام.

وكانت قائمة الممنوعات تشمل الحلوى لضررها على الصحة، ويحضر لنا العسل من إفريقيا، ويوفر التمر للاستعاضة به عن الحلوى، وكذلك منعنا من الشراء من الباعة المتجولين حرصاً على السلامة وعدم تلوث الغذاء، ويأمر والدتي بغلي اللبن عند شرائه من اللبان قبل انتشار التعليب والبسترة، وكان يحرص على أن نتناول المكسرات بكثرة خاصة أثناء فترة الامتحانات، وعندما كبرنا عرفنا دورها الكبير في تنشيط الذاكرة، زرع فينا أسس التغذية

السليمة منذ أن كنا صغاراً، فقام بدوره في ترسيخ الثقافة الغذائية في نفوس أفراد أسرته على أكمل وجه، وله الفضل الأول - بعد الله سبحانه وتعالى - في تخصصي في مجال التغذية وعلوم الأطعمة، وفي حصولي على درجة الدكتوراه في هذا التخصص.

وفي الوقت الحالي وبعد أن كبرنا وكون كل منا أسرته، لا يزال - حفظه الله - حريصاً على السؤال عنا وعن أولادنا، ولا يتردد في مساعدتنا بكل ما يستطيع، ويكافيء أبناءنا على نجاحهم وتفوقهم، ويحثهم على القراءة والاطلاع وقضاء الوقت فيما يفيد، وما زلنا نشعر بنفس الشعور، أن الله حبانا بوالد فريد - حفظه الله ورعاه -.

المبحث الثالث

الجهود الأدبية والثقافية للعلامة العبودي

لقد عاصر الشيخ محمد العبودي جهابذة من العلماء والأدباء أثروا الساحة العربية والإسلامية بمؤلفاتهم كالشيخ حمد الجاسر والشيخ عبد الله ابن محمد بن خميس وأضرابهم.

والشيخ محمد العبودي واحد من أولئك الجادين الذين لهم القدح المعلّى في كثير من جوانب الأدب العربي، فهو ممن يرهق قلمه في تحصيل المعلومات.

والمتتبع لسيرته يدرك أن الشيخ - المترجم - لا يقف في تأليفه في بعض المصنفات العلمية عند الجزء والجزئين، بل تتجاوز العشرة أجزاء لمصنف واحد، وكل ذلك راجع إلى سعة اطلاعه وثرائه المعرفي.

يقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر:

(أما الجانب الثاني في شخصية الشيخ العبودي، فهو دخوله ميدان الأدب من غير تكلف، فهو أديب بفطرته وإحساسه، وناقد لم يقرأ تقنين النقد الحديث المستمد من اصطلاحات علماء الغرب الذي أخذه بعض المتأدبين عنهم تقليداً أو محاكاة أو مترجماً مستحسناً.

وممن أبرز الجهود الأدبية للشيخ العلامة محمد بن ناصر العبودي، وكان له قصب السبق في ذلك الشيخ الدكتور حسن بن فهد الهويمل إذ يقول:[1] كلما جمعتني المناسبات بالعلامة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، طويت أمامي بوادر الشيخوخة، وعزمات الكهولة، وذكريات الشباب، ليندلق عبق الطفولة بكل طهره وبراءته.

---

(١) انظر جريدة الجزيرة: يوم الثلاثاء الموافق ١٢/ ١٢/ ١٤٢٤هـ العدد ١١٤٥٠.

وليس من السهل أن يقفز الإنسان بذاكرته نصف قرن، ليستعيد واقعاً بدائياً مفعماً بالبساطة والعفوية.

كانت تلك اللحظة المترائية لي من بعد في إحدى صباحات صفر من عام ١٣٧٤هـ أي قبل إحدى وخمسين سنة. كنت يومها في الصف الرابع الابتدائي، وكان (المعهد العلمي) قد فتح أبوابه في ظل إدارة معاليه، والناس إذ ذاك ينظرون إلى تلك المعاقل وأناسيها على أنهم خلق آخر. ولن أنسى أول ليلة صعدت فيها منبر (نادي المعهد) الأسبوعي، لأقدم ركن الفكاهات، الذي اختارني له معاليه، موصياً بالتنقيب عن النوادر في العقد والمستطرف، وأخبار المغفلين والنوكى والأذكياء عند ابن الجوزي. وكان ذلك مؤذناً بالتعرف على كتب التراث الأدبي، وما زلت أذكر أول نكتة أملاها عليَّ من كتاب العقد الفريد:-

يقتر عيسى على نفسه ... وليس بباق ولا خالد

ولو يستطع لتقتيره ... تنفس من منخر واحد

وبعد دراسة متعثرة امتدت ثلاث سنوات، تفرقت بنا السبل، فما عدت أراه إلا من خلال منجزاته. وكلما نظرت إليه وإلى ما تركه من كتب، تذكرت الموسوعيين في القديم كـ(الجاحظ) و(السيوطي)، وفي الحاضر كـ(الطنطاوي) و(عبدالسلام هارون). وكلما قرأت في سير أعلام النبلاء، أو في علم الطبقات، تبدت لي ملامحه؛ فغالب علماء السلف تتعدد اهتماماتهم، وتتنوع مقروآتهم، يحقرون المناصب والأضواء في سبيل التحصيل المعرفي والإنجاز العلمي.

ورجل أنجز مئات الكتب: إنشاءً وتأليفاً واختياراً في مختلف المعارف، لا شك أنه ترك الدنيا خلف ظهره، وصحبها بلا آمال زائلة. والحديث عن

الجانب الأدبي في عطاءاته، يتطلب العودة إلى أنساقه وسياقاته وظروفه التي عاشها، ولأني واكبت بداياتها عن قرب، فإنه من اليسير تبين ملامحها.

كانت مكتبة (المعهد العلمي) منطلق الصبغة الأدبية، لأنها ذات منزع أدبي، فأبرز محتوياتها الموسوعات الأدبية: كـ (الأغاني) و(العقد الفريد) و(البيان) و(صبح الأعشى)، والمختارات كـ (المفضليات) و(الأصمعيات) و(الحماسيات) و(الجمهرة) و(دواوين الشعراء الجاهلين والأمويين والعباسيين)، وكتب العلوم العربية كـ (المعاجم) و(النحو) و(الصرف) و(البلاغة)، وكتب التاريخ كـ (البداية) و(المروج) و(علم الرجال) و(الطبقات) و(السير)، وهذه التركيبة التراثية المتنوعة مؤذنة بتشكل نزعة أدبية مفعمة بثقافة تراثية عميقة وشاملة، والنص الأدبي حين يحفظ التوازن بين الجماليات الحسية والقيم الدلالية يحوز شرفي اللفظ والمعنى.

وكتب العبودي تراوح بين القيم الدلالية واللفظية، وتتوخى الوسطية، ولقد عرفت المشاهدُ الأدبية كُتَّاباً انصبت اهتماماتهم على جماليات الصياغة، وآخرين عنوا بالمعاني، فيما جمعت طائفة بين جمالية النص وثقافته، وتلك سمة الموسوعيين، ويند عن هؤلاء وأولئك العقلانيون والفلاسفة والمفكرون. والمشاهد بحاجة إلى هؤلاء وأولئك. فـ(العقاد) مفكر تشغله الفكرة عن العبارة، و(المنفلوطي) عاطفي تشغله العبارة عن الفكرة، فيما يأتي (أرسلان) معرفياً بيانياً، ويمتد خيط الجمالية متواشجاً مع الدلالة عند (طه حسين) و(أحمد حسن الزيات) و(الرافعي)، فيما تغرق العقلانية ب (أحمد أمين)، ولقد شغلت (الأسلوبية)، بكل مفاهيمها وتحولاتها طائفة من النقاد، وراوحت بين التنظير والتطبيق، فكان أن أغرق اللغويون في البنائية، وأغرق الدلاليون في التكوينية، وقامت بينهم ملاحاة لم تنته بعد.

وفي ظل هذه الاندفاعات المتناقضة سيئت وجوه البيان والمعاني والبديع على حد سواء، وما كان لعالم أديب كـ (العبودي) أن يشغله لغط النقاد وتلاحيهم، ذلك أنه يكتب عن هم وسليقة، وهو يرسل كلمته مستبطناً همَّه متوخياً إيصال فكرته، فأصحاب القضايا يعتمدون الإمتاع والاستمالة والإقناع.

وتقصي أدبية النص عند موسوعي كـ (العبودي) يبدو من المعضلات لتنوع اهتماماته وتداخلها. حتى لا تكاد تفصل بين الديني والأدبي والتاريخي والجغرافي، وتلك سجية المسكونين بهم الثقافة. ولو عدنا مثلاً إلى الدراسات التي أنجزت حول (الجاحظ) مثلاً، لرأيناها أخلاطاً من الفكر والأدب والنقد والعلم والتاريخ وسائر المعارف. وكل دارس يجد مراده، حتى ليظن أنه المصيب للمخر، ويبقى (الجاحظ) يرقب دارسين آخرين، يكتشفون قضايا في عالمه المعرفي.

و(العبودي) من هذه النوعية، ومن ثم حاولت حصر دراستي في خمسة كتب من مؤلفاته أحسبها جماع الجهود الأدبية في تنوعات أدائه هي:

- أخبار أبي العيناء اليمامي.
- كتاب الثقلاء.
- نفحات من السكينة القرآنية.
- سوانح أدبية.
- صور ثقيلة.

وهذه الكتب كما يبدو من عناوينها تراوح بين الجمع والدراسة والإنشاء: المقالي أو القصصي.

ولقد حاولت أن أشير إلى محورين هامين في جهوده الأدبية:

- أدبية النص. - والموضوع الأدبي.

وبين المحورين عموم وخصوص؛ فأمَّا (أدبية النص): فهي خاصة بجمالية اللفظ من حيث الكلمة والجملة والعبارة والأسلوب ومراعاة الجماليات: الصوتية في الجرس والإيقاع، والصورية في التخيل والحركة. وقد تمتد الأدبية إلى فنية الأداء كالقص والرواية أو الشعر.

ويجب أن أشير إلى أن سلامة النص غيرُ جمالياته، فقد يتوفر الكاتب على سلامة اللغة وقواعد النحو وضوابط الإملاء، بحيث لا يلحن في اللفظ، ولا يتوهم في المعاني، ولا يخطيء في الرسم، ولكنه لا يتوفر على الجمالية الأدبية. فالمؤرخون والعلماء والفلاسفة لا يلحنون، ولكنهم لا يبدعون. وإشكالية الفصل بين السلامة والأدبية والدلالية لما تزل قائمة في المشهد النقدي، على أن طائفة من السرديين عولت على (واقعية اللغة)، وأحالت على (مراعاة مقتضى الحال) فهبطت باللغة إلى درك العامية.

و(أدبية النص) كما يشير (توفيق الزيدي) في كتابه (مفهوم الأدبية في التراث النقدي) تقوم على (التحول) و(الإيقاع) و(التقنية) و(الخصائص) ومتى عول الكاتب على عنصرين هامين في العملية الإبداعية هما:-

- المجاز. - والانزياح.

توفر على أدبية النص، وسلم الأدبية يتفاوت؛ إذ ليس كل متوفر على المجاز والانزياح بقادر على توفير أسلوب أدبي متميز، وامتلاك المفاتيح لا تتحقق معه الرغائب، فالأسباب تهيىء المجال ولا تحقق النتائج. والسؤال البدهي: هل يستحضر العلامة (العبودي) هذه الضوابط، وهو يكتب في الموضوع الأدبي على الأقل، أم أنه يتوفر عليه طبيعة وسجية؟ لقد تبدت الأدبية: الموضوعية والأسلوبية في مجمل تناولاته، ولم تحل بينه وبين التعددية

المعرفية، فهو حين يكتب في الجغرافيا أو في التاريخ أو في الرحلات تبدو أعناق الأدبية من خلال كتاباته، إذ هو أديب بطبعه واهتمامه، وتحول الاهتمام من الأدبي إلى الشرعي، لم يخلص عالماً كـ (ابن القيم) من أدبية النص.

أما (الموضوع الأدبي) فقد سبق لي أن جسدته في الحديث عن (أدب الرحلة) عنده ليلة تكريمه في (المهرجان الوطني للتراث والثقافة)، وجاء البحث مركزاً على متطلبات هذا اللون من الأدب. و(أدب الرحلة) تتنازعه معارف متعددة، كالأدب والتاريخ والجغرافيا والسير الذاتية.

وكل هذه المعارف تعوِّل على أدبية النص بمفهومه القديم والحديث وتحيل إلى الموضوع الأدبي.

و(العبودي) من الكتّاب الذين يهتمون بتدوين المعلومات والملاحظات، ما دق منها وما جلَّ، دون تكلف أسلوبي أو معاضلة تعبيرية، وما في كتبه من صياغة أدبية فصيحة فإنما هي قدرة ذاتية كسبية، فهو عالم بالتراث، ومؤلف معرفي قبل أن يفرغ لأدب الرحلة، والمتابع لكتبه لا يقدر على تصنيفه لا جغرافياً، ولا اجتماعياً، ولا سياسياً. ومن ثم فهو أقرب إلى الموسوعيين، لتوفره على القيم العلمية والأدبية، واللغة التي يعتمد عليها، ويتوسل بها لغة فصيحة سليمة، لا يعمد فيها الى التزوير ولا إلى التنقيح، ولكنه يكتب كما يتحدث، وذلك سر الإكثار والقبول. وبعض الأساليب توصف بالسهل الممتنع، فـ (طه حسين) كاتب جذاب وممتع، ولا تستطاع محاكاته، ولو كانت عند العلامة عناية لغوية أو أدبية أو معرفية دقيقة محددة، لكان أن قل عمله وانحصر مريدوه. ومع العفوية احتفظ بمستوى أدبي ولغوي ومعرفي يجعله في مصاف غيره من الأدباء الممارسين للكتابة الأدبية. لا تجده ناقداً ولا منظراً، وإن كان يستبطن التساؤل والمراجعة، كما في مداخلاته اللطيفة مع المفسرين

في كتاب (نفحات من السكينة القرآنية).

على أنه لم يوجه اهتمامه لصناعة الأدب، ولم يشأ الاشتغال المنقطع لشيء من فنونه، وإن جود آلياته النحوية والصرفية واللغوية والبلاغية، فإنما ذلك بوصفها علوم العربية لا بوصفها آليات الأدب. وحفوله بالأدب حفول المتمتع، لا المحترف. كما لم تكن له إلمامات أدبية حديثة، بل كان ولما يزل مع التراث ينتقي منه ما يحلو له من الحكايات والأخبار والنوادر ولطائف التفسير، وعزماته الجادة تراها رأي العين فيما سوى الأدب من معارف إنسانية، ومتى وضع يده وحدد مهمته أعطى عطاء العلماء المتمكنين من معارفهم ومناهجهم وآلياتهم. ومن هنا قلنا بأنه لم يكن جادا في ممارسته الأدبية، ولم يشغله الأدب بصفته الفنية مثلما شغلته اللغة وأدب الرحلة والأمثال والجغرافيا. وما كان الأدب عنده إلا من جهة أدبية النص، وسلامة اللغة، وثراء المعارف، وتنوع الاهتمامات، ومحاولات مترددة في القص جاءت في (سوانح أدبية) وفي مخطوطات لم تر النور.

وموسوعيته جعلته يأخذ من كل شيء بطرف، وتلك سجية العلماء الأوائل، وما أصابتنا أمية التخصص إلا بعد أن أصبح العلم صناعة والتعليم وظيفة، وإلا بعد أن تنازعتنا الرغبات، فكانت عين في الكتاب وعين في الوظيفة. وأما اهتمامه ب(العامية) فلأنها مصدر معرفي أو تاريخي، ولم يهتم بها كلغة رديفة، ومن ثم ألف في الأمثال، وفيما انقرض من الألفاظ. ولما لم أكن حفيا بمثل هذا الاهتمام، فقد عدلت عنها، ووقفت منها موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من (الضب)، لم يحرمه، ولكن نفسه تعافه.

ومسميات الكتب الأدبية تشي بالاهتمامات والدلالات والخطرات، وأقرب ما توحي به أن الأدب عنده للإمتاع أولا ثم للانتفاع ثانياً؛ فلقد

صرف همه إلى ما يمكن تسميته بالضحك الهادف، بحيث تقصى أخبار الثقلاء والنوكي والمغفلين ونوادر الأخبار، نقلها برواياتها وأسانيدها تارة، وعلق على بعضها و تولى روايتها بنفسه تارة أخرى.

أما في (سوانحه الأدبية) فهو منشيء أو مبدع، وكأني به يتخفف بهذه الإلمامات من جد العمل، ولقد سلف من كبار العلماء من جعل الممارسة الأدبية انتباذا غير قصي عن جد العمل.

نجد ذلك عند (ابن حزم) في (طوق الحمامة)، وعند (ابن الجوزي) في (صيد الخاطر)، وعند (ابن قيم الجوزية) في (روضة المحبين)، وفي (عقلاء المجانين) ل (النيسابوري)، وفي (كتاب التطفيل) ل (البغدادي). وكتابه (أخبار أبي العيناء اليمامي) من ذلك اللون الذي أشرنا إليه، وكل جهده يتمثل في التنقيب والبحث فلا هو دراسة ولا ترجمة ولا نقد، وإنما هو جمع وتخريج للاستمتاع والتملح والتفكه. وأجمل قاعدة نقدية قالها:- إن النقد والتقويم (شأن من يرى لا من يروي).

و(أبو العيناء) شغل طائفة من الموسوعيين والأدباء، فقد انتشرت أخباره في الموسوعات، ولو عدنا إلى الإحالات في الهوامش لهالنا عددها، ولم يكن من بينها (نثر الدرر في المحاضرات) ل (الآبي) الذي استل منه الدكتور (نعمان محمد أمين طه) كتاب(نوادر أبي العيناء ومخاطباته)، وقد أسِف على فَقْد مخطوطة (أخبار أبي العيناء) للصاحب بن عباد، وسمى كتابه باسمه ومع التشتت والضياع جاء كتابه أوسع وأشمل وأدق وأوفى من مستل (نعمان طه) الذي اقتصر فيه على تحقيق ما يخص (أبا العيناء) في المخطوطة.

ومعضلة هذه النوعية من العلماء الموسوعيين صعوبة التصنيف فليسوا بالفقهاء ولا بالأدباء. ولقد امتعض (الطنطاوي) من حالة (الأعراف) التي

يعيشها، فالأدباء يذودنه عن حقولهم، والفقهاء يكبرون أنفسهم عن اهتماماته، فلا هو فقيه مع الفقهاء ولا أديب مع الأدباء، وإن كان يبز هؤلاء وأولئك. ولو استدعينا (أدب الرحلة) عند العبودي لكان فيه علماً من أعلام الأدب، ولو استدعينا (المعجم الجغرافي) لكان فيه علماً من أعلام البلدانيين، ولو استدعينا (الأمثال العامية في نجد) لكان فيها علماً من أعلام المحققين. ولكن إمكانية تصنيفه ضاعت بين قبائل العلم، فكان أمة وحده، وكان من حقه أن يقول لكل داع له إلى الصدارة:- الصدر حيث أكون.

قلت: وفي الصفحات التالية نماذج من كتابات - المترجم - تدل على غزارة علمه، وسعة ثقافته، وشمول رؤيته، وتضلعه في كثير من العلوم والفنون.

ولعه بالقراءة والبحث

الشيخ محمد العبودي نسيجٌ وحده في حفظ وقته، فلا يضيعه فيما لا يفيد، بل يستثمره في جميع المجالات، فهو يقضي الكثير من وقته في القراءة والاستزادة من العلم والتحصيل والبحث.

فله السهم الراجح والقدح المعلّى في هذا المجال، ولا شك أن القراءة هي أنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، ورياضة العلماء والمثقفين، كما أن الكتاب بلا ريب وعاء مليء علماً، وظرف حشي ظرفاً، وإناء شحن مزاحاً وجداً.

يقول الجاحظ: ولا أعلم جاراً أبر، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية ولا أقل جناية، ولا أقل إملالاً وإبراماً، ولا أحفل أخلاقاً، ولا أقل خلافاً وإجراماً، ولا أقل غيبة ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً، ولا أقل تصلفاً وتكلفاً، ولا أبعد من مراء، ولا أترك لشعب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال، من كتاب.

ولا أعلم قريباً أحسن موافاة، ولا أعجل مكافأة، ولا أحضر معونة، ولا أخف مئونة، ولا شجرة أطول عمراً ، ولا أجمع أمراً، ولا أطيب ثمرة، ولا أقرب مجتنى، ولا أسرع إدراكاً، ولا أوجد في كل إبّان من كتاب.

ولا أعلم نتاجاً في حداثة سنه، وقرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع من التدابير العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة، والمذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة، ومن الأخبار عن القرون الماضية، والبلاد المتنازحة، والأمثال السائرة، والأمم البائدة، ما يجمع لك الكتاب.

إن من أعظم الأسباب المعينة على تحصيل العلم والتقدم فيه جمع الكتب وإدامة النظر فيها.

قال ابن المبارك - رحمه الله -: (من أحب أن يستفيد فلينظر في كتبه).[1]

قال الشاعر:

نعم المحدث والرفيق كتاب ... تلهو به إن خانك الأصحاب

لا مفشياً للسر إن أودعته ... وينال منه حكمة وصواب

❀ ❀ ❀

(١) تقييد العلم ص: ١٤٠ والجامع (٢/ ٢٤١).

۞ القراءة وأهميتها وأسباب العزوف عنها

ظاهرة العزوف عن القراءة يجب أن تحدد بالعزوف عن قراءة الكتاب؛ لأنها هي الملاحظ وجودها بل تفاقمها في بلادنا في الوقت الحاضر، أما القراءة العامة التي منها قراءة الصحف فإنها بلا شك في نمو وازدهار أو على الأقل لا تعاني مما ذكرتموه.

ولذلك سوف أحصر كلامي في انحسار قراءة الكتاب وبخاصة الكتاب السعودي وإن كانت ظاهرة العزوف عن القراءة كما أسميتموها هي عامة لكل الكتب ماعدا استثناءات لا تخرق القاعدة. ومع ذلك فإننا لا ينبغي أن نسارع فنحكم على أن قراء الكتب قد قلوا في بلادنا فهذا غير صحيح؛ لأننا لو نظرنا إلى عدد الكتب التي تباع في بلادنا وقارناها بما كانت عليه قبل ٤٠ سنة مثلاً فإننا نجد الفرق واضحاً لصالح الكتاب.

غير أننا إذا قارنا نمو القوة الشرائية لأبناء الوطن في أشياء أخرى كثيرة كالملابس و الآلات الكهربائية فضلاً عن السيارات والمقصود المقارنة بكثرة الشراء وقلتها لا بمقارنة تلك السلع بالكتاب وجدنا أن المقارنة ليست في صالح الكتاب.

بل لو نظرنا إلى ميزانية البيت المتوسط الذي ينفق صاحبه عليه مثلاً (٨) آلاف ريال في الشهر وبحثنا عن نصيب الكتاب من هذه النفقة لوجدناه صفراً في الأغلب الأعم. وحتى بين المتعلمين الجامعيين الذين نمت أعدادهم بشكل فاق ما كان متصوراً قبل ثلاثين سنة نجد أن البيوت التي تزينها المكتبات المنزلية المناسبة من بيوتهم هي قليلة.

فما هو السبب مع أن الجميع يعرفون مزية الكتاب، ويعلمون أنـه سـلاح المثقف وهو موضـع متعتـه، وأن الكتـاب لـيس بضـاعة مسـتهلكة منـدثرة كالملابس والسيارات التي وإن كانت أكثـر ضرورة للإنسـان الـعصري مـن الكتاب فإنها تذوب مع الاستعمال، أما الكتاب الذي يوضـع في المكتبـة فإنـه باق متجدد حتى قيمته ترتفع كلما انقضى دهر على طباعته.

وكم رأيت من محبين للكتب أخبروني أنهم كونوا ثروة مالية من مكتباتهم التي لو باعوها لعادت عليهم بمبالغ مالية كبـيرة. ويـأتي الحـديث الآن عـن السؤال الذي يتعلق بظاهرة العزوف عن القراءة ما أسبابها؟ وحجمها؟

لاشك في أن البحث عـن المعرفـة هـو غريـزة إنسـانية أصـيلة صـحبت الإنسان في كل عصر ومصر وكان الكتاب أكبر ملهم لتلك الغريزة الإنسانية في حب المعرفة بـما يضـمه أو يحكيـه مـن معلومـات عـن الأمـاكن البعيـدة والأشياء الغامضة.

وفي عصرنا وجدت وسائل كثيرة للحصول عـلى تلـك المعلومـات أسرع من الكتاب وأقل منه كلفة مثل المذياع والتلفاز والجرائد والمجلات الخ.

فسدت جزءاً من تك الحاجة الطبيعية للمعرفة إلا مـا كـان منهـا متعلقـاً بالعقائد والمثل والموروثات فإنها ظلت في الكتاب أكثر منها في تلـك الأمـور ولذلك تميز الكتاب الديني بالرواج والشـيوع بـل والـذيوع مـن بـين أنـواع الكتب الأخرى كما تميز الكتاب الذي يتحدث عن المـوروث الشـعبي بلغتـه العامية الركيكة بالرواج أيضاً في منطقته.

إضافة إلى كون بعض المؤلفين لم يطـوروا كتـبهم مـع مـا تقتضـيه طبيعـة العصر في العرض المشوق والبيان المشرق، والمقصود من ذلك عرض الفكرة وليس الفكرة نفسها.

وهذا أمر عام في أسباب تقلص عدد قراء الكتب، وهناك أسباب خاصة فيما يتعلق بالمؤلف السعودي فإضافة إلى دخوله فيما سبق هناك صعوبة عرض الكتاب السعودي وتوزيعه.

ويوضح ذلك مثال واحد إذا فرضنا أن المؤلف السعودي طبع خمسة آلاف نسخة من كتابه على أساس أنه سوف يوزع النسخ كلها في المملكة فإن هذا المقدار من النسخ كثير لأن عادة الناشرين في البلدان العربية المصدرة للكتاب مثل لبنان ومصر أن يطبعوا هذا العدد من النسخ على اعتبار أن الكتاب سيوزع في العالم العربي كله وربما في بلاد الأقليات العربية أيضاً.

فيكون المؤلف السعودي قد طبع أكثر مما يتحمله السوق عادة من النسخ.

هذا من ناحية العدد أما من ناحية الثمن فإذا فرضنا أن النسخة الواحدة من الكتاب المذكور قد بلغ ثمنها ثمانية ريالات سعودية فإن على المؤلف أن يبيع كتابه بخمسة وعشرين ريالاً للقارئ لئلا يخسر المؤلف ولا نقول حتى يربح؛ ذلك بأن شركة التوزيع تتقاضى نصف قيمة الكتاب أجور توزيع إذا قبلت توزيع الكتاب ويذهب من الباقي قيمة النسخ التي يهديها المؤلف من كتابه أو تفقد منه لأي سبب من الأسباب، أما كونه يخرج نقوده مجتمعة للطابع ويحاول أن يستعيدها متفرقة من الموزع فإن هذا مما يحتاج إلى صبر وانتظار طويل فضلاً عن كلفة الخزن وتعرض نسخ كثيرة من الكتاب للتلف نتيجة لسوء التخزين وبالتالي تزيد المصاريف التي دفعها المؤلف وبذلك يحجم عن طباعة الكتب إلا على نطاق ضيق.

وعلاج ذلك كله في أمور:

أحدها: أن تتولى وزارة الإعلام وهي المؤهلة الآن لأمر تشجيع التأليف في بلادنا ولا ينازعها في ذلك إلا وزارة المعارف التي يدخل ذلك في

اختصاصها من حيث دلالة اسمها لأن الكتاب معرفة من المعارف بل إن اقتناءه وانتشاره من الوسائل المهمة للحصول على (المعارف) كما هو ظاهر.

والمقترح أن تتولى وزارة الإعلام تشجيع التأليف بأن تطبع المؤلفات السعودية الجيدة التي تستحق الطبع وأن تقدمها للجمهور بأثمان مدعومة طبقاً لما تفعله حكومتنا السنية حرسها الله في دعم المواد الأخرى اللازمة.

ولذلك شروط لابد من توفرها من أهمها أن تكون اللجنة التي يناط بها اختيار الكتب على مستوى عال من التجرد والمعرفة بالعمل وهذا أمر متيسر ولله الحمد؛ لأن بلادنا تحفل بالعلماء والأدباء وحاملي الشهادات العليا الذين يمكن أن يقوموا بهذا العمل.

على أن تخصص الوزارة جزءاً من نسخ الكتاب الذي تطبعه لتوزيعها في خارج المملكة العربية السعودية من أجل تعريف العالم الخارجي بما وصلت إليه الثقافة وما بلغه التأليف من مرحلة ناضجة في بلادنا ولله الحمد.

ولقد درجت وزارة الإعلام مشكورة وبناء على توجيه كريم وتشجيع مستمر من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله على شراء نسخ مجزية من الكتاب السعودي الذي ترى أنه جدير بالتشجيع تقوم الوزارة بتوزيع تلك النسخ في الداخل والخارج.

وقد أثمرت هذه السياسة في تشجيع المؤلفات السعودية وحث المؤلفين على الإكثار منها ومن ذلك مؤلفاتي أنا التي اعتقد أن السبب في نموها ومواصلة طبع المزيد منها هو لهذا التشجيع المتواصل.

وثاني الأمور: اللازمة لتشجيع القارئ السعودي على القراءة هو أن تتولى وزارة الإعلام أو وزارة المعارف أو غيرهما من الدوائر الرسمية توزيع الكتب السعودية التي ترى أنها مفيدة ومشرفة للبلاد على نفقتها أي بدون أن

يتحمل المؤلف أية مصاريف لقاء توزيع كتابه ويكون التوزيع واسعاً يشمل داخل المملكة وخارجها.

وبهذا مثل ما سبق يضع أمام يدي القارئ كتباً متنوعة بأسعار رخيصة تشجعه على شراء الكتاب وقراءته.

الأمر الثالث: أن تكون هناك مؤسسة واحدة على مستوى العالم العربي تبدأ في أول الأمر بالبلدان التي تتشابه أو تتقارب في ظروفها الثقافية ونظرتها للكتاب مثل دول الخليج وتكون حكومية لا تستهدف الربح بل إنها تتحمل كل ما يحتاجه عملها من نفقات من أهل تيسير الكتاب النافع بثمن مناسب أو رخيص. وأن يتم مثل هذا العمل على مستوى العالم العربي على أن تراعى الظروف التي تحيط بكل بلد بحيث لا يوزع فيها من الكتب إلا ما يكون مناسباً مقبولاً من سكانها.

رابع الأمور: أن يغرس المدرس محبة الكتاب في نفس الطالب منذ الصغر عن طريق هدايته إلى الكتب القيمة المشوقة للصغار التي يجب أن تكون موجودة في مكتبة المدرسة على أن يتدرج مستوى الكتب مع مستوى المراحل الدراسية فتكون محتويات مكتبة المدرسة المتوسطة أقوى من محتويات مكتبة المدرسة الابتدائية وأن تخصص حصة شهرية للطلاب للذهاب مع المدرس إلى مكتبة المدرسة أو المكتبة العامة التي تكون أكبر منها يعرفهم أستاذهم في هذه الحصة على الكتب ويعودهم على كيفية الاستفادة منها حتى يغرس في أذهانهم محبة القراءة والاطلاع على الكتب.

خامس الأمور: أن يعمد الآباء والأمهات إلى إيجاد مكتبة مناسبة في البيت حافلة بكتب الأطفال والكتب المبسطة للشباب من أجل الاستفادة وتعويد أولادهم على القراءة والاطلاع.

سادس الأمور: أن يشمل برنامج تعويد الأطفال والشبان على القراءة الإرشاد إلى الكتب النافعة التي ينبغي قراءتها وأن تكون مشوقة المظهر سلسلة العبارة مبسطة إلى الدرجة التي يستطيعون أن يفهموها بسهولة.

محمد بن ناصر العبودي

۞ الاهتمام بالثقافة الإسلامية(1)

يتحدث الشيخ العبودي في جولة من جولاته التي يزور خلالها أبناء الأمة الإسلامية يأخذنا فضيلته إلى رحلة في شرق أوروبا وذلك من خلال كتابه (نظرة في شرق أوروبا وحالة المسلمين بعد سقوط الشيوعية رحلة وحديث في أمور المسلمين).

وخلال هذا الكتاب يقارن الشيخ العبودي بين حال تلك البلاد التي سبق له زيارتها إبان كانت تحت الحكم الشيوعي وفرضه الستار الحديدي عليها، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يزورها مرة أخرى بعد أن أفلس الشيوعيون أهل الستار الحديدي والعقدي أيضا، وقد صمد المسلمون هناك متمسكين بدينهم وعقيدتهم، وبدأوا يجددون مساجدهم ويفتحون فيها الفصول الدراسية الإسلامية ويسعون إلى استعادة مساجدهم المصادرة وأوقافهم المنهوبة.

ويتناول المؤلف حياة المسلمين خلال كتابه الذي يقع في ١٨٣ صفحة من القطع الكبير في يوغوسلافيا السابقة، ومحاولات الصرب لاستعباد المسلمين، واستعرض حال المسلمين في ألبانيا ومعاناتهم مع الفقر، ودور الرابطة في مساعدة مسلمي ألبانيا.

ويقول: إن دخول الإسلام في رومانيا يرجع إلى نزول قبائل تركية إقليم دوبرجة عام ١٢٦٤م وكان هؤلاء الأتراك المسلمون هم أول سكان هذا الإقليم، ثم فتح الأتراك العثمانيون رومانيا عام ١٥٤١م وأخذ الإسلام

(١) انظر مجلة اقرأ – العدد: ١٠٥٥ – ٢/١١/١٤١٦هـ.

ينتشر بفضل تسامحه، وتحولت أسر بل قرى إلى الإسلام، وانتشرت المساجد والمدارس الإسلامية في أنحاء رومانيا خلال الحكم العثماني.

أما عن المسلمين في بولندا فيقول الشيخ العبودي: يعود أصلهم إلى أصول تترية استوطنت بولندا منذ أكثر من ٧٠٠ عام ويتمركزون في منطقة بياوستوك شمال شرق بولندا، وتقلص عددهم بمرور الزمن وحياة الانعزال إلى ٣٠ ألف مسلم.

وفي ألمانيا يتناول الشيخ زيارته إلى مطبعة القرآن الكريم وعدد من مساجدها مثل مسجد النور، ومسجد الشهداء، ومسجد عمر.

ويقول المؤلف: إذا كان الاعتراف بالدين الإسلامي ذا أهمية في حياة المسلمين في ألمانيا فإن مسألة الثقافة الإسلامية ذات أهمية بالغة لحماية المسلمين من الضياع والانصهار في المجتمع المسيحي الألماني الأكثر عددا والأغنى مالا وقوة.

۞ الملك المؤسس

كتب كاتبون كثر في الأعمال التي أنجزها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن فيصل آل سعود - رحمه الله -، وذلك منذ أن بدأ تأسيس المملكة العربية السعودية عند فتح الرياض في الخامس من شهر شوال عام١٣١٩هـ.

وحتى بعد اكتمال توحيدها، وإعلان ذلك تحت اسم المملكة العربية السعودية إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن من ازدهار داخلي، ومكانة دولية.

وتكاد تكون كتابة أولئك قد غطت أكثر الجوانب المهمة من تاريخ المملكة، وكانوا ينطلقون في كتاباتهم من تحليل الأحداث التاريخية التي أثر فيها الملك عبد العزيز، أو أثرت في جهاده لتوحيد المملكة، أو من واقع سيرة الملك عبد العزيز -رحمه الله- بدراسة مزاياه، وشمائله الكثيرة.

كما تناول كتاب آخرون مناحي أخرى من تاريخ الملك عبد العزيز، والجميع على صواب في تناولهم للأحداث التاريخية والوقائع، ومنها الوقائع الحربية لمعرفة أسبابها ونتائجها، فذلك هو الأساس في دراسة التاريخ نفسه الذي يبرز للعيان في الوقائع التاريخية.

وتلك الأحداث قد تكون نتائجها واضحة، مباشرة أو غير مباشرة.

ولكن هناك أشياء تتعلق بتاريخ المملكة العربية السعودية، والاطلاع عليها في غاية الأهمية، ولكنها لا تكون ظاهرة في دراسة تاريخ الملك عبدالعزيز، ولا تظهر في استقراء الوقائع التاريخية، ولا بدراسة الوقائع الحربية، أو الأحداث المنفصلة، وإنما ترى آثارها نتيجة لسياسة مرسومة، ونهج كان قد استمر، ولا يزال، ولذلك لا يستدل عليها إلا بالاستقراء والتتبع.

ومن أهم ذلك تتبع ما يتعلق بها من المأثورات الشعبية من الألفاظ اللغوية، والأمثال والجمل الشعبية، وشواهد ذلك من الأشعار العامية، ومدلولات الجمل.

وقد اخترت من ذلك الألفاظ والجمل اللغوية من اللغة العامية المحكية في المنطقة التي تم فيها تأسيس المملكة العربية السعودية أول مرة، وهي المنطقة الوسطى من المملكة؛ فقد كانت هناك ألفاظ وتعبيرات كانت شائعة في البلاد قبل حكم الملك عبد العزيز بل قبل الحكم السعودي في بعض الأحوال إلا أنها مثل غيرها من الكلمات والألفاظ بل والأحداث السيئة التي طبيعتها التكرار تكثر وتزيد عندما تضعف الدولة السعودية وتتلاشى وتموت عندما تزدهر، شأنها في الشأن العام للجزيرة العربية التي أثبت التاريخ أنه كلما كان حكم الأسرة السعودية قوياً شاملاً كان الأمن والاستقرار والخضوع للأحكام الشرعية سائداً والعكس بالعكس.

ولن ندخل في تاريخ تلك الكلمات والجمل أو التعبيرات لأننا نكتفي بما كان موجوداً منها سائراً مدلوله بين الناس قبل حكم الملك عبد العزيز، ثم عندما توطد الحكم للملك عبد العزيز واستمر قضى على مدلولاتها فماتت تلك الألفاظ والتعبيرات(١). إلا أن موت تلك الألفاظ والتعبيرات لا يكون فجأة كما يكون موت الأناسي والحيوان؛ وإنما يكون متدرجاً بحيث تظل

---

(١) انظر كتاب « كلماتٌ قضت » وهو كتاب أدبي لُغوي شعبيٌ يتضمن بياناً وإيضاحاً للكلمات الدارجة التي اندثرت وقضى عليها الزمن أو كادت مع شواهدها وبيان مدلولها، وقد ألفه الشيخ العُبودي، وهو يشير فيه إلى أنه كتاب يشتمل على ألفاظ وكلمات كانت حية ثم عدت عليها عوادي الزمن فاضمحلّت حتى ماتت، وقد طبعته دارة الملك عبد العزيز، ويقع الكتاب في جزءين.

الكلمة حية في أذهان بعض الناس وإن كان مدلولها قد مات وذلك لفترة من الزمن إلى أن تغيب عن ذاكرة النشء الجديد.

من ذلك جميع ألفاظ السرقة والانتهاب، وألفاظ الغزو والإغارة على الأخوة، وألفاظ الكوارث والجوائح التي سببها الناس أنفسهم، وقد أضفت إليها ألفاظاً من ألفاظ الأمراض والمصاعب التي قضى عليها حكم الملك عبد العزيز بالقضاء على أسبابها ومسبباتها. وقد ماتت تلك الألفاظ والتعبيرات أو كادت؛ لأن مدلولاتها ماتت من الاستعمال حتى أصبح الجيل الجديد من المتعلمين فضلاً عن غيرهم لا يعرفونها، ولا يعرفون مدلولاتها وهذا ما حدا بي إلى التنويه بها هنا.

ونحن عندما نقول إن حكم الملك عبدالعزيز قضى على تلك الألفاظ لا نريد أنه سعى للقضاء عليها، وإنما قضى على مدلولاتها، وفي ذلك القضاء عليها. مثل كلمة(حنشولي) جمعه حنشل بمعنى منتهب أو غاصب، وكلمة (سلة) بمعنى سرقة البعير في الليل أخذاً من كون السارق يسل عقاله عنه إذا كان معقولاً، ويسله عن الإبل الأخرى. ومثل كلمة (الكسب) التي تعني الإبل المنهوبة بالإغارة والقتال من إخوة مسلمين من أهل البلاد. وكلمات وجمل تتعلق بالشدة والتعب مثل (صاح الصياح) إذا دهمهم عدو بغارة أو أخذ مواشيهم.و (فضى) الحاكم البلدة الفلانية أي احتلها ونهبها أو أباحها لجنده. ومثل كلمة (الفضة) بفتح الفاء وهي المال الذي يجبيه الحاكم قسراً من الناس ولا يعذر في ذلك من ادعى أنه معسر.

أما الألفاظ والجمل المتعلقة بحرب الإخوة وأبناء العم، فإنها كثيرة؛ لأن الحرب والقتال بينهم كان هو القاعدة، وبخاصة أهل البدو، وأهل القرى، مثل (النقا) بمعنى الحرب المعلنة، و(البوق) وتعني المباغتة بالحرب دون

إعلان. ومثله (ردَّ البَرا) وهو الإعلان بغارة رداً على غارة سابقة.

هذا إضافة لحروب يجر القوم إليها دون هواهم، أو دون أن يكونوا مستعدين لها مثل (اللقوة). وأما الأسلحة والألفاظ المتعلقة بها، وكلها أسلحة للأخ على أخيه وابن عمه من القبائل العربية الأخرى، فإنها كثيرة، وهي مفجعة لأنها رغم كونها ليست فتاكة بالنسبة إلى الأسلحة الحديثة، إلا أنها أسلحة مواجهة يدخل في قوة مفعولها وتأثيرها قوة الضارب بها مثل الرمح (المزرَّج)، وهو الذي يكون في رأسه شعبة أو شعب من الحديد، ليكون أوسع إصابة، وأكثر إيلاماً.

والألفاظ التي تدل على الحروب الواسعة التي تشمل عدة قبائل، مثل (المناخ) الذي تتقاتل فيه قبائل عديدة، وقد أناخوا إبلهم، بمعنى استقروا بمكان واحد تعاهدوا فيما بينهم على أن لا يتركوه إلا منتصرين أو مقتولين.

وتتبع ذلك الألفاظ التي تدل على أن القتلى لا يتمكن أصحابهم حتى من دفنهم ومواراتهم التراب، وإنما تأكلهم سباع البر، وجوارح الطير، مثل الذئاب والضباع والنسور والرخم.

وأما الأطعمة، فإن المأثورات الشعبية حافلة بها مثل الطعام (الحافّ) الذي ليس فيه شيء من الدسم، (وعظم الرجوعه) الذي يسمى عند بعضهم (عظم الرجيع)، وهو الذي يطبخ مرة بعد أخرى بغية استخلاص ما قد يكون في داخله من دسم. إلى غير ذلك من الألفاظ التي سيأتي شرحها، وقد تعمدت أن أطيل بذكرها؛ لأنها مما لا تعرفه الأجيال الصاعدة منا، وأما الذين قبلهم ممن يعرفون معناها حقيقة، فإنهم نسوها، أو تناسوها، والقصد من ذلك أن يعرف بها الجيل الجديد من الذين نشأوا في النعمة، والأمن والرخاء، وذلك للمقارنة بين الحالتين، و(الضد يظهر حسنه الضد) كما يقال.

وبعد: فإن ذلك قد يكون من التحدث بنعمة الله تعالى كما قال تعالى:(وأما بنعمة ربك فحدث). قلنا: إن الملك عبد العزيز رحمه الله لم يكن همه القضاء على وجود تلك الكلمات والألفاظ بمجرد أن يتولى الحكم، وإنما القضاء على مدلولاتها، وهذا صحيح يوضحه أنه حالما تولى الأمر كان همه منصرفاً إلى تحكيم الشريعة الإسلامية، ونشر العدل بين الناس، وكف أذى السراق والمنتهبين والمغيرين، وتأمين الطرق، ومكافحة أعداء البلاد الذين لا يريدون لها الاستقرار، فضلاً عن أن يريدوا لها الازدهار.

ولكن تبع ذلك ما ذكرناه من موت الألفاظ والجمل التي تدل على عكس ذلك، وإن كان موتها تأخر عن ذهاب مدلولاتها واضمحلالها، وهذا طبيعي.

وأما الألفاظ المتعلقة بخشونة العيش، وشدائد الزمان، وتكالب الأمراض، فإن الله وبحمده ومنّه أفاض على بلادنا في عهد الملك عبد العزيز آل سعود، وأبنائه الذين تولوا مقاليد الأمر من بعده من الخيرات والبركات، بل الثروات ما غمر أهل البلاد، وفاض على الآخرين، ولذلك لابد من التذكير بما كانت عليه البلاد قبل تأسيس المملكة العربية السعودية، وذلك باستعراض الألفاظ والمأثورات الشعبية. وقد كتبتها تحت عناوين، وليس ترتيباً هجائياً.

حالة الأمن: تتجلى الفروق، وتظهر للعيان في دنيا الواقع في مقارن حالة الأمن ما بين عهد الملك عبد العزيز وما قبله، حاشا عهد ازدهار الدولة السعودية الأولى، التي قامت على العدل، وشملت الجزيرة العربية أو كادت. وذلك بالمقارنة ما بين حالة الأمن وحالة الخوف والفوضى.

ففي عهد الملك عبد العزيز ساد الأمن والاطمئنان، وعدمت جرائم السرقة والانتهاب، ولن نذهب كثيراً في الأمثلة، وإيضاح الفروق، ولكننا

نذكر مأثورات شعبية من الألفاظ والأمثال يعرف بها ذلك. منها كلمة: (الحنشولي) وهو السارق المختلس الذي يسرق الماشية خاصة كالإبل والغنم، ومن يعتدي على الناس، فيأخذ ما معهم حتى ثيابهم. حنشل الشخص يحنشل، والمصدر: الحنشلة، فهو حنشولي، و(محنشل)، وجمعه: حنشل وحناشل.

وقد أخبرني بعض شيوخهم المسنين أن السارق إذا كان يتبع القوم وهو راجل، فإنه حنشولي، وجمعه حناشل. وأما إذا كان من قوم راكبين على إبل أو خيل، فإنهم مغيرون، ولا يسمون حنشلاً أو حناشل.

ومن ذلك قيل في المثل: (حنشولي ما معه إلا فهر وقنيَّة)، فالفهر: الحجر بقدر ما يملأ كف الإنسان، والقنية: تصغير (قناة)، وهي العصا التي تكون في رأسها عقدة تشبه الكرة ليكون ذلك أعظم لأثرها عند الضرب.

قال حميدان الشويعر وذكر المحجان، وهو العصا المعكوفة الطرف:

ساعة جينا عند القاره   جاهم ناس حراميه
ما معهم تفاق يرمي   راعي محجان و(قنيَّة)

وقال السنيدي من أهل الخبراء:

جاها الهزل وذل من سكانها   (حنشل) اشرار بالزبارة ملبد

وإذا لم يجد الحنشولي ماشية يسرقها، و هو لا يسرق إلا واحدة أو اثنتين في العادة، فإنه يأخذ ما يجده حتى ثياب من يصادفهم من أهل الحضر.

ومصدر اللفظ: الحنشلة. قال ابن شريم:

ما يالف الذل رجال أو يرغبه   حتى ولو قالوا إنه من عوارفها
انشد عن الرجل وانشد عن جماعته   و(الحنشلة) قبلنا ناس توصفها

وقد كان الحنشولي والحناشل في عهود الإمارات أيام الانقسام والفوضى

في نجد كثرة؛ بل كانوا يهددون من ينفردون به في الصحراء، ولذلك كثرت الأمثال والأقوال فيهم. ومنها: (مطوَّع الحنشل منهم).

والمثل الآخر: (الحنشل رجاجيل...)، وبعضهم يزيد فيه: بس هم يضربون على الكبد...

وقالوا لمن يجر على نفسه بفعله سوءا: (فلان مقعد الحنشل) أصله أن يجد الرجل (حنشلاً) نائمين فيوقظهم لصلاة أو طعام أو نحو ذلك، فيستيقظون ويشعرون به، ويأخذون ما معه.

وسموا الرجل إذا كان قليل التدين(حنشولياً)، وإن لم يحترف الحنشلة، وذلك في مقابل تسمية المتدين منهم(مطوعاً).

و(السلة) بفتح السين، وتشديد اللام: وهي سرقة المواشي الخفية بمعنى الاختلاس، كاللص الذي ينتهز غفلة أهل البيت أو نومهم، فيأخذ منه ما يستطيع دون أن يضيع وقتاً طويلاً، أو يحاول أن يستقصي ما يريد سرقته، وأكثر ما صاروا يستعملون ذلك في سرقة البعير أو البعيرين من مواشي القوم، وهم نائمون أو غارون، وتعني أكثر ما تعني (سلِّ) عقال البعير، وهو حل عقدته حلاً سريعاً من دون صوت، أو تضييع وقت، كما سمعنا من سجعات بعض الأعرابيات اللائي كن يندبن رجالهن أو عشاقهن يعددن محاسن الرجل بعد موته، ويقلن من ذلك: (يسل عقالها (سل) الما بالليلة الظلما) يمدحنه بالمهارة في سرقة البعير من أهله عندما ينامون في الليل.

وكلمة أخرى وهي: (السَّلة) أيضاً بفتح السين، وتشديد اللام: السيوف المسلولة، أي التي قد أخرجت من أغمادها من أجل الحرب والقتال.

جمعها: سلال بإسكان السين. أكثر الشعراء من ذكرها؛ لأن ذلك داخل في باب الحماسة والفخر على الأعداء...

ولفظ: (الكَسْب): وهو بفتح الكاف: الإبل التي تؤخذ في الحرب من المسلمين، وكل حروبهم بين مسلمين، أو تؤخذ من الأعداء في السلم على طريق الانتهاب، أو الاغتصاب، أو السرقة.

ولا يرون في ذلك بأساً من ناحية العرف على اعتبار أن أعداءهم يتربصون بهم ليفعلوا بهم مثل ذلك الفعل، إذا استطاعوا إليه سبيلاً.

يقولون: هذه ناقة كسب، وتلك غنم كسب، أي مأخوذة عنوة من الأعداء. أما المتدينون منهم، فإنهم ينهون عن ذلك لأنه من الحرام الذي لا يجوز. ولكن العامة والجهلاء منهم لا يفهمون معنى النهي عنه.

ولذلك جاء في المثل: ((حجينا على الكسب ولا خالف..)).

أصله في قوم نهاهم علماؤهم عن أداء فريضة الحج على راحلة، أو رواحل جاءت من طريق الحرام كالكسب، فحجوا عليها وقالوا: حجينا على (الكسب) ولا خالف، أي لقد جربنا الحج عليه، فلم نر بذلك بأساً! مع أن النهي عنه لكونه لا يجوز عند الله..

ومن أمثالهم في نفاسة الإبل وصعوبة الحصول عليها: ((الإبل ما يجيبها إلا الأحمرين: الدم والذهب)). أي أن الإبل لا يمكن الحصول عليها إلا بالدم، وهو الاقتتال من أجل الحصول عليها حتى تسيل الدماء، أو ببذل الذهب الأحمر.

❁ ❁ ❁

تأملات في كتاب كلمات قضت[1]

ضمن سلسلة إصداراتها صدر عن دارة الملك عبد العزيز كتاب (كلمات قضت) وهو معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت لمؤلفه الشيخ محمد بن ناصر العبودي صاحب الجهود العظيمة في حفظ تراث العرب والمسلمين بما يملكه من معلومات جمة وقدرات متميزة واهتمامات متنوعة في التاريخ والجغرافيا والآداب والأنساب.

وهذا الكتاب واحد من عدة كتب للشيخ العبودي طرقت موضوع الكلمات والألفاظ العامية مثل (معجم الألفاظ العامية) وكتاب (الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة) وكذلك (تكملة المعجم اللغوي) أو (معجم ما ليس في المعجم) و(الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة) وقد شغل الشيخ عن طباعة هذه الكتب المفيدة بنشر كتب الرحلات وأحوال المسلمين في العالم التي زادت عن مئة وخمسين كتاباً. غير أن دارة الملك عبد العزيز من واقع حرصها على كل ما يتعلق بتاريخ هذه البلاد وتراثها قامت بطباعة هذا الكتاب لتضعه بين أيدي الباحثين كواحد من أهم المراجع في موضوعه.

يأتي الكتاب في (١٥٥١) صفحة في جزءين الجزء الأول (٧٨٤) صفحة الجزء الثاني (٧٦٧) صفحة، وقد قسم إلى ثمانية وعشرين باباً على حروف المعجم؛ تصدرت الكتاب مقدمة الدارة، ثم مقدمة المؤلف التي جاءت في ثماني صفحات، وألحق بالكتاب فهرس للمحتويات وكشاف

(١) انظر جريدة الرياض : العدد: (١٣١٠٩) ١٥/ ٥/ ٢٠٠٤م، والمجلة الثقافية التي تصدرها صحيفة الجزيرة الاثنين ٤ من ذي الحجة ١٤٢٤هـ.

للأعلام وآخر للأماكن مما يساعد الباحثين في الوصول إلى المعلومة المستهدفة بيسر وسهولة.

ويشتمل هذا الكتاب على ألفاظ وكلمات من لغتنا الدارجة كانت حية نامية في كلامنا، ثم عدت عليها عوادي الزمن فاضمحلت حتى ماتت بعد أن تغيرت الحياة فصرنا نحيا حياة جديدة مباينة لحياتنا الأولى عندما كانت تلك الكلمات تعيش في أذهاننا وتتردد في أفواهنا.

ويعتبر الشيخ العبودي اكتشاف النفط في بلادنا وما تبع ذلك الاكتشاف من تطور شامل عاملا حاسما في هجران تلك الكلمات والألفاظ التي استعملت في بيئة مختلفة وبالتالي لم تستطع مواكبة الحياة الجديدة التي ارتبطت بألفاظها وكلماتها المناسبة.

وفي سبب تسمية الكتاب (كلمات قضت) يذكر الشيخ العبودي أنها صارت بالفعل كذلك لدى أكثر الناس؛ فعلى سبيل المثال لو ذكرتها للمتخرجين في الجامعات الذين منهم حملة الشهادات العليا وجدتهم لا يعرفونها ولا يعرفون معانيها ولا أوجه استعمالها عندما كانت مستعملة.

ويشير الشيخ إلى منهجه في الكتاب؛ حيث أوضح أنه يذكر مبنى الكلمة ومعناها وشواهدها من الشعر العامي الذي هو الوسيلة المتوافرة لتوثيقها، وهو في ذلك يرينا كيفية استعمالها في موقعها من الجملة ولم يتعرض الشيخ إلى أصول الألفاظ الفصيحة وذلك لأنه قد ألف في ذلك كتاباً خاصاً أسماه (الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة).

وعن مرجعه في إثبات هذه الألفاظ التي قضت ذكر أنه ما عرفه عنها من الاستعمال وما عاشرها عليه من حياة إضافة إلى توثيق بعضها بالشعر العامي وإلى كتابه (معجم الألفاظ العامية) وربما اكتفى بهذا التوضيح عن إدراج ثبت بأسماء المصادر في آخر الكتاب.

وأشار إلى أنه قصد من هذا الكتاب حشد ما تيسر له حشده فيه من هذه الكلمات تسجيلاً للواقع وقياماً بحق هذه الكلمات حتى لا نُتهم بالجحود والنكران لتراث الأجداد وإهمال التاريخ، وشبه هذه الحالة بالمرء الذي يرى صديقاً قديماً يموت وينساه الآخرون فيتهمهم بالجحود ونكران الصداقة، وهذا الأمر هو الذي دفعه لتأليف الكتاب ناهجا نهج الأسلاف الذين أودعوا في كتب اللغة ما سجلوه من ألفاظ مهجورة، منها ما أسموه غرائب اللغة أو حوشي اللغة وغيرها.

وأشار إلى أن موت الألفاظ والكلمات ليس معناه أن لا يوجد شخص يعرفها؛ وإنما المراد موتها من الاستعمال وعدم معرفة الأجيال الصاعدة بها لأن هذا هو موت اللغة وهو كموت الأفراد الذين يخلدون بعد موتهم في الكتب؛ ولكن الفارق أن موت اللغة لا يكون فجائيا كالأشخاص الذين قد يموت بعضهم فجأة.

ويحدد المؤلف كتابه مكانياً بالبلاد النجدية التي يمتد مدى ألفاظها إلى أقطار الخليج شرقا وإلى حواضر المدن في غرب المملكة العربية السعودية وفي بوادي الشام والعراق.

ويعد هذا الكتاب واحداً من المحاولات البارزة في مجال حفظ مصادر تاريخنا المحلي وتراثنا الواسع ويعتبر إضافة نوعية في المكتبة الوطنية؛ ويمكن أن يكون مرجعاً للباحثين في عدد من فروع المعرفة كالباحث في الأدب الشعبي والباحث في الأحوال الاجتماعية وكذلك الباحث اللغوي وحتى الباحث في اللغات السامية.

والحقيقة أن الكتاب إضافة إلى ما يقدمه من فوائد جمة للباحثين فهو على قدر كبير من الإمتاع للقاريء بما يحوي من مئات الأشعار والأمثال

والحكايات والروايات والمسميات والمعلومات والطرائف؛ بل تجعله يعيش في جو مفعم بالذكريات الجميلة إن كان ممن قد عايش هذه الكلمات المرتبطة بتاريخنا وتراثنا.

ونورد هنا مثالاً واحداً مختاراً لكل جزء من هذا الكتاب لتعطينا انطباعا عن طبيعة هذا الكتاب القيم:

* جاء في الجزء الأول ضمن باب الألف ص٢٦:(أَقَع): كلمة تقال في الاستثناء يتكلم بها الأعراب أو طائفة منهم ولا تكاد تستعمل في الحواضر وتقال في الاستثناء النادر؛ كأن يقول قائل في وصف شدة الجدب: مافي البر شي ترعاه البهايم (أقع) شجرة أو شجرتين.

قال تركي بن حميد:

وأنا حالف لابيعها بيع مرخص معيف ولو غيري حد راغبينها
(أقع) مهرة قبا وسيف مجرب وشلفا للقوات العدى محتسينها

يريد انه سيبيع كل مايملك الا مهرة قباء وسيف مجربا وشلفا وهي الحربة.

وقد يقولون في (أقع) (يقع) وهي نفسها في المعنى. قال شليويح العطاوي:

ما اخلف وعدهن (يقع) تخلف الريح والايشد الضلع ضلع البقوم
ياناشد عني تراني شليويح قلبي على قطع الخرايم عزوم

يريد أنني لن أخلف ذلك الوعد إلا إذا أخلفت الريح فلم تهب أي أنه لا يخلف ذلك الوعد إطلاقاً.

** وجاء في الجزء الثاني ضمن باب العين ص٨١٦: ((العيطموس): الفتاة الجميلة المغترة التي نشأت في ترف ونعمة.

قال ابن دويرج في الشكوى:

غشاهـا مـن العز القديـم ملابس ... كما (العيطموس) اللي تجدد ثيابـه
هنوف عفيفة جيب من ذات ثروة ... شغاميم قـوم مـن بغاهـا يهابها

وقبله قال ابن عرفج من أهل بريدة:

لـي ثـار مثلوث الدخـن واستقلوا ... كم رس راس عـن عــلابيه ماجا
كم طلقوا من (عيطموس) وخلوا ... شوقه عليـه مسلهب الريـش راجا

مثلوث الدخن: البـارود. ومسـلهب الـريش: الطـير الجـارح كـالنسر والرخم الذي يأكل من جثث القتلى) .

وهكذا نـرى أن المؤلـف لم يبـين معـاني الكلـمات المقصـودة بـل شرح الأبيات ووضح معاني الكلمات الأخرى أيضاً، وهذا يعني أن الكتاب يضـم بين دفتيه كماً هائلاً من معاني الألفاظ والكلمات القديمـة الأخـرى ولسـنا في حاجة للتأكيد على ما يمتلكه المؤلف من خزينة لغويـة غنيـة وقـدرات أدبيـة فائقة ومعلومات تراثية هائلة؛ فهو علم من أعلام الثقافة في المملكـة العربيـة السعودية يستحق التقدير والتكريم، والحقيقة أن تكريمه الأخير في مهرجان الجنادرية ما هو إلا مظهـر مـن المظـاهر الحضـارية في تقـدير الـدور الفعـال للقامات الثقافية المديدة أمثال الشيخ محمد العبودي التـي خـدمت الإسـلام والعروبة والمجتمع ومازالت، أطال الله في عمره.

۞ معجم سعودي لكلمات اندثرت أو كادت [1]

محمد بن ناصر العبودي يتناول أكثر من ٢٠٠٠ مفردة مع حكايات تعطي صورة اجتماعية عن ظروفها

د. إبراهيم بن عبد الله السماري

يكاد يتفق الباحثون المتمرسون على أن العمل المعجمي من أصعب الأعمال العلمية إن لم يكن أصعبها على الإطلاق; لأنه ذو طبيعة شمولية تقوم على الاستقصاء في دائرة أقصى الممكن، كما أنه يحتاج إلى أن يكون القائم به ذا فكر متوقد وممن يملك قدرات متميزة; ليتمكن من معالجة تلك الشمولية بواسطة أدوات البحث المتاحة بين يديه بطريقة آمنة ومثمرة في ذات الوقت. وربما يفسر هذا قلة الأعمال المعجمية عند استعراض قائمة إحصاءات الإنتاج العلمي البشري بروح المقارنة قياساً إلى غيرها من الأعمال التي تقذف بها المطابع يومياً، وتصبح أهمية العمل المعجمي أكبر وأشد ضرورة عندما تتعلق بتسجيل مادة كادت تنقرض أو قد انقرضت من التداول وأصبحت مجرد ذكريات تسكن في الصدور، كما أن هذه الصعوبة قد تفسر إلى حد «ما» سر اقتصار التأليف المعجمي على فئة من الضالعين في كل فن من فنون العلم. وربما أصبح هذا التأليف في كثير من الأحيان من مهمات البيوتات والمؤسسات العلمية ذات الكوادر الخبيرة والمؤهلة القادرة على إثراء العمل المعجمي والموسوعي، وهذا هو ما يمكن أن نصف به الكتاب

---

(١) انظر جريدة الشرق الأوسط : العدد: (٩١٨٩) الأحد ٢٥/ ١/ ٢٠٠٤م.

الذي بين أيدينا وهو كتاب كلمات قضت - معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت - تأليف محمد بن ناصر العبودي، الذي نشرته دارة الملك عبد العزيز بالرياض في مجلدين. وهو - في جانب آخر - يربط بين جيلين في مجال اللغويات السائدة والبائدة ويقوم بشرح معاني عدد من الكلمات التي أصبحت في الجيل التالي غير مفهومة بدون هذا الشرح، يضاف إلى ذلك ما فيه من استشهادات بمسميات وأبيات شعرية قديمة وحديثة فصيحة وعامية، وما تضمنه من حكايات يمكن أن تعطي صورة اجتماعية واضحة عن أزمنة وظروف مختلفة تعين الدارسين المتخصصين على تحديد المعالم الدينية والاجتماعية والثقافية والعلمية والاقتصادية والسياسية لتلك المجتمعات، فالكلمات التي يتداولها المجتمع المحلي في زمن سابق للدلالة على استخراج الماء من الآبار بواسطة الحيوانات أو للدلالة على أدوات الحرث والري والحصاد وتربية الماشية أو للتعريف بأنواع الطعام وطريقة خزنه أو للرمز إلى الحاكم والمسؤول المحلي وأدوات الحرب والعراك وما إلى ذلك من كلمات تعبر عن واقع معين، كلها يمكن أن تلقي ضوءاً واضحاً تتبين من خلاله طبيعة ذلك المجتمع وطبيعة معاشه وطبيعة علاقاته مع بعضه ومع غيره.

والفائدة من هذا المعجم متاحة للجميع دون استثناء فعلاوة على أهميته للمتخصصين في اللغويات، فإن المتخصص في علم الزراعة أو في علم الأدوية مثلاً قد يجد أسماء لنباتات كانت موجودة في وقت لاستخدامات دوائية أو زراعية ثم انقرضت،كما سيجد الباحث الاجتماعي حتماً في معاني كلمات الألعاب الترفيهية مثلاً السائدة في تلك الحقبة مادة ثرية لدراسة درجة التكيف الاجتماعي آنذاك.

وهكذا في مجالات أخرى يمكن أن تثريها كلمات ذلك المعجم أو أن تفتح لها آفاقاً أعمق لدراسة العنصر البشري أو المكاني أو الزماني في المجتمع الـذي يحكي ذلك المعجم كلماته التي قضت وانقرضت. يضاف إلى ذلك أن جانب اللغويات التي تكاد أن تنقرض أو انقرضت ظل مقصـوراً عـلى اجتهـادات المستشرقين في كثير من الأحيان مما جعل مسار الأهداف المتوخاة من دراسـة هذه اللغويات ينحرف أحياناً بل كثيراً عن الآمـال الوطنيـة المخلصـة، وممـا يحضرني من تلك الدراسات على سبيل المثال «أصول اللغـة العربيـة العاميـة والفصحى» ألفه الفرنسي «دي سفاري» سنة ١٧٨٤م، وقد نشر الكتاب بعد موت مؤلفه وعهد بنشره وتنقيحه إلى ميخائيل الصباغ أحد مـدرسي العاميـة في فرنسا، و«أمثال المكيين» ألفه الهولندي «سـنوك هورونجيـه» و«بحـث في لغة نجد الحالية» كتبه الفرنسي «جان هيس» عام ١٩١٢م، و«الكلام الدارج بمصر القاهرة» بحث قدم لمؤتمر لندن عام ١٨٩٢م، و«لغة الجزائـر العاميـة» ألفه «هوداس»،و«العربية ولهجاتها» ألفه السويدي «الكونت دى لانـدبرج» وقدمه للمؤتمر الـدولي فـي الجزائرعـام ١٩٠٦م، و«مباحـث عاميـة» ألفـه الإيطالي «جيوسـب فـورلاني»، و«قواعـد في اللغـة العاميـة المصريـة» ألَّفـه الأمريكي «فسك»، و«في النصوص العربية والأعجمية في مدينـة العـرائش» ألفه الأسباني « مكسيميليانو أغوسطين» ونشره عام ١٩١٠م، و«مواد لدرس لهجة عرب البدو في افريقية المتوغلة» ألفه الألماني «جـورج كمبفمايـر» ونشره فى برلين عام ١٨٨٩م، و«لهجة قبائل اليمن وما جاورها من جنوب الجزيـرة العربية» لـ«جورج كمبفماير» أيضاً، و«ثلاث مقالات في اللهجـات العاميـة» ألَّفه الألماني الدكتور«فيشر» ونشره عام ١٨٩٨م، و«معجم اللهجـة المغربيـة العامية» ألفه الفرنسي «بوسييه»، و«لهجة عرب هوارة » ألفـه الألماني «هنـس

ستومة» مع أستاذه «ألبرت سوسين»، و«أشعار البدو بين قطري تونس وطرابلس الغرب» للمؤلف نفسه ونشر سنة ١٨٩٥م بعناية الإيطالي «ناللينو»، و«مجموعة عن الأدب الشعبي العراقي «نشرها الألماني» إدوار ساخو «في عام ١٨٨٩م، و«حكايات من العراق» للألماني «بروثومايستر» عام ١٩٠٢م، و«دراسة في فنون العراق» للألماني «فرانزها يتريش فايساخ» ونشر عام ١٩٣٠م.

أعود لكتاب كلمات قضت لأشير إلى أن مما أضفى عليه أهمية علمية ورونقاً ثقافياً جذاباً أنه يرجع كثيراً من الألفاظ الدارجة إلى أصولها العربية بما يملكه مؤلفه من زاد علمي وفير وخبرة عملية واسعة ولاسيما أنه كان شاهداً على كثير من تلك الألفاظ التي تضمنها معجمه بالممارسة والمعايشة، وقد أوضح العبودي أن الكلمات المتداولة في أي مجتمع ليست كالإنسان يمكن أن تموت موت الفجأة، ذلك أن موتها في هجران أهلها لها وهذا لايكون بين ساعة وأخرى وإنما تنشط ثم ترتخي وتمرض حتى تموت إذا عَدَت عليها عوادي الزمن وصرعتها الثقافات الجديدة المصحوبة بكلماتها المناسبة لها.

۞ العبودي القاصّ والروائي

القصة والرواية لها نصيبها أيضا من حياة العبودي الأدبية، فكانت مشاركاته في ذلك إضافة أخرى إلى موسوعيته الأدبية التي طوقت حياته العامرة. ومما كتبه العبودي:

١- **صور ثقيلة:** وهي مجموعة مقالات تتناول صوراً سريعة لشخصيات ثقيلة مهداة لقوم يثقلون، تبصرة وذكرى لعلهم ينتهون.

وقد حملت كل صورة اسماً وعنواناً يكشف فيه بعض أولئك القوم، نحو: الواعظ الثقيل والكسول والمتفاصح والبومة والجيفة والمتكبر ونحوهم. وهو كتاب مطبوع.

٢- **فالح ومنيرة:** وهي قصة تتناول فترة من فترات المعاناة التي مرت بها هذه البلاد، والقصة لم تنشر بعد.

٣- **مطوّع في باريس:** وهي قصة جميلة تحكي مواقف وطرائف وأحداثاً صاغها العبودي في أسلوب أدبي جميل، وهي غير منشورة.

٤- **المستغرب:** وهي من القصص الطويلة التي ظهرت فيها نفس العبودي القصصي، ولا تزال أيضاً مخطوطة غير منشورة.

٥- **المستدين:** وهي تحكي قصة اجتماعية واقعية، وهي كذلك غير مطبوعة.

٦- **الأصدقاء الثلاثة:** وهي رواية غير مطبوعة.

٧- **حكايات تحكى:** نشره نادي القصيم الأدبي.

۞ الكتابة(١)

كنا جماعة من هواة الأدب و (الكتلبة) جلسنا مجلسا أدبيا ونحن مخلصون للأدب، صادقون في رغبتنا فيه، حتى وصل الحديث إلى طريقة الكتابة، والشروط التي ينبغي أن تتوافر للشخص عندما يريد الكتابة.

وجعل كل واحد منا يعرض ما يراه من تلك الشروط، ويفنّد ما لا يراه.

وكان ذلك كثيراً جداً، وكان البحث فيه متشعباً جداً، إلا أننا كدنا نلتقي عند نقطة واحدة بعد أن سلك كل منا طريقاً غير التي سلكها صاحبه تلك النقطة هي أنه لا بد للكاتب أن تكون في رأسه فكرة عما سوف يكتب فيه، وليس ذلك فحسب بل لا بد أن يكون مستحضراً للنواحي أو بعض النواحي التي سوف يعالج الموضوع الذي يريد الكتابة فيه منها.

إذن لا بد قبل الكتابة من أن يكون الكاتب قد رسم صورة عامة في ذهنه عما يريد الكتابة فيه.

هذا ما كدنا أن نتفق عليه، أو على الأصح ما اتفقنا عليه جميعنا، ولم يشذ عنا إلا واحد فقط، لأنه في نظرنا لا بد للكاتب لكي تجيء كتابته في موضوع ما كاملة من جميع النواحي، مستوفية للشروط، لا بد له من أن يؤمن في نفسه بالفكرة التي يريد أن يكتب فيها قبل البدء في الكتابة لتبدأ الحرارة والوضوح معه في مبدأ كتابته.

---

(١) كتبت في يوم الأربعاء ٢٧/ ١/ ١٣٧٠هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٥٠م ونشرت في مجلة المنهل لشهر رجب ١٣٧١هـ. وانظر ((سوانح أدبية)) للعبودي - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

أما ذلك الواحد الذي خرج على إجماعنا فهو يرى غير رأينا، هو يخالفنا في تلك المسألة على طول الخط - كما يقولون - لأنه يرى أن الكاتب القدير. وهذا نعت لا بد للكاتب الذي يقول: إنه يستطيع أن يكتب، وأن يجيد الكتابة في موضوع ما، وبدون أن يرسم فكرة واضحة محددة في ذهنه لذلك الموضوع قبل البدء في الكتابة.

هذا نعت - كما يقول صاحبنا - لا بد لذلك الكاتب منه. قال: وحجتي على ما ذهبت إليه أن الكاتب القدير، الكاتب الذي يكتب بدافع من نفسه أو بعبارة أخرى يدافع من قلمه - إن صح هذا التعبير - وأنا أقصد بقلمه لا اللدائن والحديد بطبيعة الحال ولكن المعاني والخواطر التي يختلج بها فكره.

الكاتب الذي ذكرت لا بد في صفته من أن يكون كاتباً مطلقاً أي ليس كاتباً مقيداً، كالكاتب الاجتماعي والكاتب الصحفي والكاتب السياسي أو غير أولئك. ذلك الكاتب يستطيع أن يكتب في موضوع ما. وأن يجيد الكتابة بدون ضرورة أن يكون في نفسه فكرة واضحة محددة عن الموضوع الذي يريد الكتابة فيه قبل البدء في الكتابة.

ودليلي على ذلك أن الحياة بالنسبة للكاتب هي مجموعة موضوعات وبحوث ومواد يتصل بعضها ببعض، لا يوجد منها موضوع واحد ليس له علاقة بموضوع غيره ولكن تلك العلاقة قد تكون خفية لا يهتدي إلى كشفها إلا ذلك الكاتب القدير الذي ذكرته.

ذلك الكاتب يستطيع أن يكتب أول كلمة في الموضوع قبل أن يكتب عنوانه، وقبل أن يكون عنده فكرة محددة، بل قبل أن يكون في نفسه وجود بعينه في تلك اللحظة.

وأقول: بعينه في تلك اللحظة لأن الكاتب وفكره ونفسه ما هو إلا مرآة تعكس ما حولها فتنطبع فيها.

وقد يكون في نفس الكاتب بعض الموضوعات التي لا تبرز إلى ذهنه إلا بعد إمعان ونظر، وطول تفكير، ولأن الموضوعات الحيوية - كما قلت - بمثابة حلقات متصلة تربط بعضها ببعض وشائج متينة، أو ضعيفة لا يكتشفها إلا من أوتي حظاً من النظر الثاقب، والعقل الباحث المنقب.

فإن بعض الأشياء التي قد يبتدىء الكاتب بكتابتها وهي لا تصلح موضوعاً للكاتب ربما أثارت موضوعاً صالحا للكتابة، وربما أهاجت من أعماق الذاكرة مشاعر كانت كامنة.

فالكاتب القدير يستطيع أن يبدأ الكتابة بدون أن يكون له أقل فكرة عن الموضوع الذي يكتب فيه بعد ذلك، ولكنه يبدأ الكتابة بما يعن له، أو ما يصادفه، أو عن شيء آخر معتاد في البيت - مثلاً - ثم يسترسل في الكتابة فيؤاتيه الإلهام، وتهطل عليه شآبيب المعاني حتى يضيق بها المقام. وحتى يترك الكتابة قبل أن تتركه دواعيها.

ذلك بأن الحياة كما قلت متشابكة، وإن كانت متشعبة، وقريب بعضها من بعض، وإن كان في بادئ الأمر بعيداً.

يستطيع ذلك الكاتب مثلاً أن يرى لعبة ولده ولتكن السيارة الصغيرة عندما يخط أول كلمة، فيكتب اسم لعبة ولده، أو لفظها، أو وصفها، ثم يتدرج من ذلك إلى ما لا نهاية له من المعاني والمواد والميادين بدون أن يخرج عن موضوع الحديث عن لعبة ولده فيستطيع - مثلاً - أن يتحدث عن نفسية الطفل، وأثر اللعب فيها، ويستطيع أن يكتب عن الفرق بين شعور الكبار وشعور الصغار في اللعب، وعن نمو مشاعر الطفل، وعن اختراع السيارات، وأن يقارن بين لعب الأطفال في الماضي والحاضر.

كل ذلك على سبيل المثال والإشارة وإلا فالمواد والميادين أمامه كثيرة واسعة، ثم ليجعل العنوان بعد ذلك (لعب الأطفال).

هذا مثال واحد. ولن يعوز كاتب أن يجد الألوف المؤلفة مثله، أما إذا عجز عن أن يجد موضوعاً يكتبه، أو موضوعاً يثير موضوعاً يكتب فيه، أو عبارة تثير موضوعاً، وذلك قريب من المستحيل، فإنه لن يعجز عن أن يكتب في موضوع الكتابة ذاتها، وفي عجزه عن الكتابة. وفي مقدرته عليها. وفي الأحوال التي تؤاتيه المعاني فيها والظروف التي تساعده على الكتابة، وذلك موضوع طويل يستطيع الكاتب أن يصول فيه ويجول، ويستخرج منه لا مقالاً ولا مقالين فحسب، وإنما عدة مقالات.

ولكن. لا تنسوا نعتي لذلك الكاتب بأنه الكاتب القدير، نعم إن حجة صاحبنا قوية وإنما ما ذهب إليه صحيح، ولكن بقي أن نسأل صاحبنا سؤالاً واحداً هو كم يظن بين الكتّاب الذين تعارفوا الناس على أن يسموهم كتّاباً مثل ذلك الكاتب الذي ينعته بالكاتب القدير؟؟!

لقد سألناه عن ذلك فأجاب بأنه يظن أنه موجود فيهم ولكن بنسبة قليلة، ولم نشأ أن نناقشه في مقدار تلك النسبة حتى حددها بقوله: قد يجوز أنها الربع، ولكننا سألناه بقولنا: والأرباع الثلاثة الباقية من الكتاب: كيف حالهم ؟؟! فأجاب قائلاً: إنهم ليسوا كتّاباً قديرين فهم لم يدخلوا تحت حكمي.

❁ ❁ ❁

۞ الفردوس المفقود(١)

إنني حينما أطالع في الكتب الأدبية الأندلسية أو في الكتب التي تبحث في فنون الأدب الأندلسي وتورد نصوصاً وفيرة منه أشعر شعوراً لا أدري بما أصفه.

إن الشعر الأندلسي بل الأدب الأندلسي على العموم يحدث في نفسي تأثيراً لا يحدثه أي أدب عربي قديم آخر.

وإنني حين أقرأه أحس إحساساً جارفاً يدفعني إلى زيارة الأندلس وإلى رؤية آثار أولئك الرعيل الرقيق من الأدباء العرب المسلمين.

إنني أشعر بشعور من يقرأ لأناس يشاركهم في الأحاسيس رغم بعد الدار والزمان، فدفعتني نفسي إلى البحث عن وسيلة أتمكن بها من الاجتماع بأولئك الأدباء ولات حين اجتماع.

أحس بذلك لكن شعور الأسف والأسى على ذلك الفردوس المفقود الذي أنجب أولئك الأدباء الرقيقي الشعور، المرهفي الإحساس يختلط بشعور اللذة بالاطلاع على آثارهم، وترديد نثرهم وأشعارهم، كما قلت يختلط بذلك شعور بشيء من الارتياح لتدوين ذلك الأدب العربي الراقي وحفظه من الضياع. ولكن ماذا تجدي الآثار في الديار غير الادكار وإنه لادكار يبعث الحزن في الفؤاد، ويزرع الأسى في النفس.

أَقرَأُ لابن زيدون ذي الوزارتين شعره فأجد الفن الصحيح الذي ينطق به ويتمنطق كل بيت من أبيات قصائد ديوانه حتى إنني من فرط تأَثُّري

(١) انظر «سوانح أدبية» محمد بن ناصر العبودي - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ (ص: ٦١-٧٤).

بقراءته أرمي بديوانه وأنا أشد ما أكون شوقاً إليه لأنه يبعث في نفسي من الأسى والأسف ما يصعب تحمله دفعة واحدة.

وليس ابن زيدون إلا واحداً من مئات الشعراء والفنانين والعاطفيين الذين يجمعون في أشعارهم بين العاطفة الفياضة والوصف الصحيح وهما ركنا الشعر الفني الراقي.

وإذا ما ضربنا صفحاً عن شعراء الأندلس وأدبائها، ونظرنا إلى شواعر الأندلس وأديباتها رأينا العجب العجاب: رأينا الشاعرات اللواتي لم ينجب قطر من الأقطار العربية مثل ما أنجب منهن في فترة زمنية تعادل فترة الازدهار الأدبي في الأندلس.

ويكفي أن نذكر منهن ولاّدة بنت المستكفي التي اشتهرت بحب ابن زيدون لها وكان قد عرفها كثير من أهل الأدب والفن وغيره بل ومن أهل الجاه والسلطان وهي التي نظم فيها ابن زيدون قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تنائينا

ومنها:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم وما جفت مآقينا

وهي القصيدة التي حكم بعض الأدباء الأقدمين بأن كل من قرأها لا بد أن يبكي لأنه لابد أن يتذكر حبيباً أو صديقاً قد فارقه.

ومنهن حفصة المرية الشاعرة والأديبة المشهورة.

وإن خير ما ألف في العربية عن الأندلس هو كتاب: نفح الطيب للمقري ولولا حشوه بما شاع في ذلك الزمان، وعد فيه من شروط النثر الفني وهو التزام السجع، ولو أدى إلى زيادة كلمات لا حاجة إلى زيادتها، ونقص كلمات

لا تتم الجملة إلا بها أو استعمال كلمات حوشية غريبه، لولا ذلك لكان نفح الطيب الكتاب الأندلسي الأول الممثل لأخبار الأندلس و الأندلسيين.

ولعل كتاب أمير البيان شكيب أرسلان الذي سماه (الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية) هو الموسوعة الحديثة التي حوت من أخبار الأندلس والأندلسيين، ما لم يحوه كتاب قبلها، زد على ذلك أن الأمير - رحمة الله عليه - كان يضيف إلى المصادر العربية وفي مقدمتها (نفح الطيب) جميع ما اطلع عليه في مصادر تاريخ الأندلس باللغات الإفرنجية ما كان مؤلفاً فيها وما كان مترجماً إليها.

ومن هذا الأخير بعض الكتب العربية التي كانت قد ترجمت إلى لغة إفرنجية، وضاع أصلها العربي ولم يبق إلا تلك الترجمة الإفرنجية.

وقد ذكر في مقدمته أنه صنفه في عشر مجلدات ولكنه لم يصدر منه - فيما علمت - سوى ثلاث وقد عاجلت المنية المصنف قبل إتمام طبعه.

اقرأ تلك المجلدات الثلاث التي طبعت من كتاب الأمير شكيب أرسلان تقتنع بأن عرب الأندلس كانوا أرق الشعوب العربية ذوقاً، وأصدقهم عاطفة، وأشدهم رفاهة في الشعور.

اقرأ ما نقله عن (نفح الطيب) ومصادر أخرى بأن أهل الأندلس كانوا ممتازين في النظافة عن غيرهم من الشعوب المعاصرة، بحيث إن أحدهم كان إذا لم يجد غير درهم واحد لطعامه وشرابه وصابون ثيابه اشترى بذلك الدرهم صابوناً لثيابه قبل أن يشتري به طعاماً أو شراباً لشدة كلفهم بالنظافة وغرامهم بها. ثم اقرأ لابن جبير وكيف أنه عندما وصل إلى القاهرة - وهي بلا شك كانت في مقدمة البلاد العربية في ذلك الزمان من حيث المدنية والثقافة - جزع أشد الجزع وتألم أشد الألم حينما شاهد الأتربة فيها تتصاعد

من الطريق، وتتناثر لتملأ أنوف المارة وأفواههم، وكيف أن أمتعة الحمار الذي ركبه كانت قذرة إلى حد كادت نفسه لا تتحمله.

اقرأ ذلك لتعرف عراقة أهل الأندلس في حبهم للنظافة والتمدن، ثم ارجع إلى بعض المصادر التي نقلت صوراً شمسية لبعض القصور والمباني العربية الباقية في الأندلس، ومنها قصر الحمراء في غرناطة ومدينة الزهراء وفي مقدمة تلك المصادر (تاريخ حضارة العرب) الذي وضعه بالفرنسية الفيلسوف الفرنسي الكبير جوستاف لوبون وترجمه إلى العربية الأستاذ عادل زعيتر ورحلة الأندلس، للأديب البتنوني، وغيرهما، تجد في تلك المباني والقصور الذوق الرفيع والفن البديع الذي لم يصل إليه غيرهم في تلك العصور القديمة.

اقرأ ذلك لتقتنع بأن لي واسع العذر إذا كانت قراءتي للأدب الأندلسي وللأدباء الأندلسيين مما يثير في نفسي إحساساً مزيجاً من الأسى والأسف والغبطة والسرور حتى يصل بي الأمر أحياناً إلى أن أطرح الكتاب الذي أطالعه وأنا أشد ما أكون شوقاً إلى مطالعته ثم صفني بعد ذلك بأنني عاطفي أكثر من اللازم، أو لا تفعل، فليس الأمر في الواقع غير ما ذكرت، وليس ذلك بكثير على تذكر (الفردوس المفقود).

❁ ❁ ❁

الفصل الرابع

العبودي العالم

******

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: العبودي العالِم الجغرافي
- المبحث الثاني: العبودي العالِم النسّابة
- المبحث الثالث: العبودي العالِم المؤرخ

المبحث الأول
العبودي العالِم الجغرافي

لقد تصدّى الشيخ العبودي لقضية ريادية كبرى، هي تأليف المعجم الجغرافي لبلاد القصيم في إطار المشروع الضخم الذي نادى به العلامة حمد الجاسر، لكتابة المعجم الجغرافي للمملكة، فأصدر ستة أجزاء في هذا العمل الضخم، بنى مادته فيها على الخبرة الميدانية، فجعله معجماً حياً يعتني بالموجود المذكور من المواضع في هذا العصر، أما المعلومات التراثية حول الموضع فتأتي في سياق المادة، لكنها ليست الأساس في بناء هذه المادة، وبذلك يخالف العبودي خطة العلامة حمد الجاسر في التركيز على المعلومات التراثية ورد الموضع إلى اسمه القديم المذكور في كتب التراث.

ويبدو العبودي أديباً نابهاً دقيق الملاحظة، جميل الأسلوب، ويعتبر هذا المعجم مرجعاً مهماً في بابه، ينهل منه الكبار.

لقد عرف عن المترجم التجرد والإنصاف والموضوعية فيما يقول ويكتب في وصفه للشخصيات والبلدان التي ذكرها في كتبه، ولا أدل على ذلك من وصفه لجميع بلدان القصيم في كتابه (معجم بلدان القصيم) حيث استوفى لكل بلد حقه من الوصف، كما أنه حينما يذكر هذه البلدان يشير إلى الأسر التي تسكنها، ويذكر أسماء الشخصيات البارزة من تلك الأسر سواء كان بروز تلك الشخصيات في العلم أو الزعامة أو الجاه أو المال أو الكرم أو الشجاعة أو الشعر.

لقد اعتنى الشيخ العبودي بمنطقة القصيم، وقد كان من سمته في مؤلّفه (معجم بلاد القصيم) الاهتمام بأمور منها: الشواهد والوصف والربط

بأصله عند العرب القدامى من أيام الجاهلية وما يتعلق بالمواقع من أحداث ووقائع.

وهناك جوانب عديدة في ثقافة الشيخ محمد العبودي، فهو قصصي ونسّابة، وصاحب نوادر ومُلح.

الجغرافية عند العرب

كانت عناية العرب بالجغرافية وليدة ظروف البيئة إلى حد كبير فقد نشأوا في وسط يحتم عليهم أن يلموا، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً بالمعلومات الجغرافية المختلفة، فلم يكن بمقدورهم أن يقوموا بنجعاتهم السليمة أو حملاتهم الحربية في الصحراء والبوادي الشاسعة، إلا إذا عرفوا شيئاً عن النجوم والكواكب التي تلمع في سمائهم الصافية الأديم، يتخذون منها علامات ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(1) وما كان لهم أن ينتقلوا بإبلهم وأغنامهم، وهي أثمن ما يقتنون، إلا إذا عرفوا موارد المياه ومنابت الكلأ وعرفوا الوحش من حيوان البادية وأين يعيش.

وقد اشتملت أشعار العرب على الكثير من الحقائق الخاصة بوصف بيئتهم الطبيعية، وبهذا أصبح الشعر العربي القديم مصدراً هاماً من مصادر الكتابات الجغرافية الأولى، فهو غني بالأعلام الجغرافية من أودية وآبار وجبال وتلال.

وانتقلت هذه المعلومات من جيل إلى جيل على ألسنة الرواة، فقد كانت رواية الشعر من أهم ما عني به العرب على مر العصور وكر الدهور، ولذلك لم يكن غريباً أن نجد الجغرافية بين الفنون التي يعنى بها اللغويون.

وكان الأصمعي الذي عاش في القرن الثامن الميلادي، وهو من نعرف من علماء اللغة، من العارفين بجغرافية بلاد العرب معرفة المدقق الخبير، وظلت هذه الصلة وثيقة بين الجغرافية واللغة حتى عصر متأخر نجدها في

(1) سورة النحل: الآية (١٦).

معجم ياقوت وهو من كتب الجغرافية، كما نجدها في تاج العروس للزبيدي وهو من معاجم اللغة.

وهكذا لم يكن من المستغرب أن يساهم العرب في تشييد صرح الجغرافية بالكثير من اللبنات، حتى قبل أن يبدأ عهدهم بالجغرافية المنظمة التي تقوم على أساس علمي متين.

لقد كانت العلوم الجغرافية نتاجاً متأخراً نسبياً في الثقافة الإسلامية. فبينما كان لدى العرب بعض مؤرخي عصورهم، لم نجد لديهم أي مؤلف انصرف فقط وبصورة منهاجية لوصف مشهد الأرض الطبيعي، وكان علينا أن ننتظر حتى مطلع القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كي نجد لدى بعض التاريخيين كالواقدي مثلاً (توفي في ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) بعض أوصاف جزيرة العرب وهي أولى المحاولات الأدبية المطبقة على وصف العالم.

وهكذا ظهرت الجغرافية في بداياتها عند العرب مثلما ظهرت عند القدامى، شديدة الارتباط بالتاريخ وأحياناً كتابعة له، ترى تحت أي تأثير تمكنت أخيراً من الانفصال عنه دون أن تتمكن من ذلك تماماً؟.[1]

---

(١) انظر: أعلام الجغرافيين العرب للدكتور عبد الرحمن حميدة ص: (٤٠-٤١).

۞ عوامل ظهور الجغرافية عند العرب

يجب علينا بادئ ذي بدء أن نكشف عن الأسباب العديدة التي استحثت همم العرب على جوب الأرض وعلى التبريز في تقويم البلدان ومسالك المالك.

فقد سبق أن رأينا ما حمل الأمم القديمة كالفينقيين واليونان والروم على التوسع في معرفة الأرض والتنقل في البلدان بقصد التجارة والاستيلاء على البلاد والسياحة في الأمصار؛ ولكن العوامل التي دفعت بالعرب كانت أكثر تعقيداً وتنوعاً، فمنها ما اختصوا بها دون سواهم لأن رسالة الإسلام التي حملها العرب كانت عالمية لا تختص بمكان ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

الأول: الدين: لقد كان العرب في فجر الإسلام، يتلون آناء الليل وأطراف النهار كتاباً يحثهم على السير في الأرض، والاعتبار بآثارها الداثرة، وأممها الغابرة فقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.[2]

الثاني: الأقوال المأثورة والحكم: قال الخليفة المأمون: (إنه لا شيء ألذ من السفر في كفاية وعافية، لأنك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها، وتعاشر قوماً لم تعرفهم).

الثالث: الأمور السياسية: وهنا يجب أن نحسب حساب الوضع الجديد الناجم عن الفتح، فقد اندفع العرب من جزيرتهم بقوة خارقة، لم يعرف

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

(٢) سورة غافر: الآية (٨٢).

التاريخ لها مثيلاً في عنفوانه لافتتاح الممالك والاستيلاء على البلاد وانتشروا في القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوربا.

وبهرهم أمل الفتح في سبيل الله فاندفعوا من جزيرتهم الجدباء كي ينتشروا من أسبانيا غرباً إلى الهند والصين شرقاً، وهذا الفتح إنما تم على أيدي قليل من الرجال يتفق المؤرخون على أن عددهم لم يتجاوز المائتي ألف.

وهكذا استولوا على بلاد الشام والعجم والعراق ومصر بسرعة مذهلة، وكسبوا معركة ذات الصواري البحرية على البيزنطيين عام ٦٥٤م، وفتحوا السند بقيادة محمد بن القاسم عام ٧١٣م، والأندلس بقيادة طارق بن زياد عام ٧١١م وغيرها.

الرابع: التجارة وكسب العيش: لقد استخدمت التجارة الطرق البرية والبحرية على السواء، ونجم عن ذلك ربط أقاصي أراضي الخلافة بعضها ببعض، فكانت هناك سوق مشتركة حقيقية ظلت قائمة حتى بعد تفكك هذه الإمبراطورية، بل إن التجارة تجاوزت تلك الحدود فجذبت إلى فلكها أواسط إفريقية وشمال شرقي أوربا وجنوب شرق آسيا.

وطبيعي أن يرحل كثير من المسلمين في طلب الرزق تطبيقاً لتعاليم القرآن الكريم، ﴿ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.(1)

الخامس: السياحة: هناك ميل غريزي عند العرب للبحث والاطلاع ولذلك اتخذ كثير منهم من السياحة وسيلة للدراسة والوقوف على ما في البلاد الأخرى من العجائب والغرائب، فكانت السياحة في أكناف الأرض

(١) سورة الجمعة: الآية (١٠)

والنزهة في البلدان من أكبر عوامل إغناء المعرفة الجغرافية لديهم، وأكثر جغرافيي العرب هم السائحون، مثل أبي إسحاق الإصطخري، والشريف الإدريسي، ومحمد بن علي الموصلي، وابن عبد الله بن شداد، وأبي محمد العبدلي، وابن الحسن المسعودي، ومحمد بن جبير الكناني، وابن بطوطة، وغيرهم. ومما شجع على السياحة شعور العرب بأنه في بلده ما دام في ديار عربية بشكل خاص وإسلامية بشكل عام.

وكان للعروبة هيبة في سائر دول العالم، فكان العرب المسافرون يلقون من كرم الضيافة وحسن المعاملة ما يحبب إليهم الرحلات والأسفار.

السادس: الحج: من فروض الإسلام الخمسة الحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، أي إذا ساعدت الظروف وكانت الطرق سالكة، وهذا مما أتاح لبعضهم مشاهدات مناطق مختلفة وأقطار متعددة، فتناولوها بالوصف والتحليل فيما رووه أو كتبوه.

السابع: الاستكشاف: وحب الاطلاع على معرفة ما جهلوا عنه من الأرض، مثل البعثات التي بعثها الخليفة الواثق لاستكشاف سواحل بحر الخزر، وسد يأجوج ومأجوج ومدينة الرقيم، وقيام الملاحين المدعوين بالمغرورين من لشبونة لاكتشاف مجاهل بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، والبعثة التي بعثها الشاه شجاع من أبناء ملوك الهند لاكتشاف البلاد.

الثامن: طلب العلم: إن الإسلام يحث على طلب العلم وعلى تجشم المشاق في سبيله لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.(1)

(1) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

وقد جاء في الحديث الشريف: ((طلب العلم فريضة))، فأصبح الارتحال في طلب العلم منذ القرن الأول للهجرة أشبه بالضرورة اللازمة لتكملة (دورة الدراسة).

وكم نجد من علماء العرب من ركب ظهور المهالك لفائدة يكسبها أو صحيفة يطلبها، قال ابن حجر في مقدمته (بلغ جابر بن عبد الله) أحد أجلة الصحابة، أن عبد الله بن أنيس يروي عن رسول الله ﷺ حديثاً لم يبلغه، فاشترى جملاً وركب من المدينة إلى الشام وأخذه عنه والشام على مسافة شهر من المدينة، وقد رحل أبو أيوب الأنصاري إلى مصر ليسمع حديثاً يرويه على أمير المؤمنين في الكوفة، فقد كانت الكتب نادرة، وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام ما نصنعه اليوم من تتبع المراجع والمؤلفات التي تزدحم بها خزانات الكتب الخاصة والعامة.

التاسع: معرفة ما جاء ذكره في القرآن الكريم وكتب الحديث وأشعار العرب وأخبارهم، من الأماكن والجبال والمياه والقفار والرمال والبلاد، ومعرفة أنساب العلماء إلى البلاد، وقد صنف فيها كثير من الأدباء أكثرهم في الكلام على جزيرة العرب، أمثال أبو عبيد البكري، والزمخشري والسمعاني وابن عمر الأصفهاني وصفي الدين عبد المؤمن وياقوت الحموي.

العاشر: الحاجة الفقهية إلى معرفة الأماكن والبلاد، وهل فتحت صلحاً أو عنوة ليعرف الفقهاء حكمها في الجزية والخراج والفيء كما قال ياقوت: (ومن هذه الأماكن ما هي فتوحات الأئمة من الخلفاء الراشدين).[1]

وعوداً على بدء، نرجع إلى المعجم الجغرافي لبلاد القصيم الذي ألفه

---

(١) انظر أعلام الجغرافيين العرب للدكتور: عبد الرحمن حميدة (ص ٤٠-٥٥).

الشيخ العلامة المؤرخ محمد العبودي، وكذلك نرجع إلى المقدمة الرائعة للعلامة الجهبذ الشيخ حمد الجاسر الذي صدّر بها هذا المعجم الجغرافي لبلاد القصيم، فإلى المقدمة والتقديم.

❁ ❁ ❁

مقدمة

بقلم الشيخ العلامة: حمد الجاسر

كان من أثر الدعوة إلى تأليف معجم جغرافي للبلاد العربية السعودية اتجاه نخبة طيبة من خيرة الكتاب والأدباء والعلماء للعناية بالبحوث الجغرافية، اتجاهاً كان مفقوداً منذ عصور، مع شدة الحاجة إليه، وهذا الأثر بالغ الأهمية في مجال البحث والتحقيق، فضلاً عن أن تلك الدعوة آتت ثماراً طيبة، بهذه البحوث التي يتوالى نشرها في صحف بلادنا، وهذه المؤلفات التي تكون حلقات سلسلة متواصلة من (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية). منها هذا الكتاب الذي قام بتأليفه الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي، عن (بلاد القصيم) وكتب أخرى نشر بعضها، وبعضها معد للنشر في زمن قريب، بحيث تشمل تلك الكتب جميع مناطق البلاد.

إن هذه الكتب التي اطلع المعنيون بالدراسات الجغرافية على قدر منها، ولهم الحق بتقييمها، أقل ما يمكن أن توصف به أنها مهدت السبل للباحثين، وأمدتهم بكثير من الآراء حول ما طرقته من موضوعات، وهي آراء مع جدة أكثرها، ووعورة المسالك للتعمق والاستقصاء حولها، لا يعزو أصحابها الحرص على تحري الصواب، والعمل في حدود الاستطاعة بمختلف الوسائل، لبلوغ تلك الغاية الكريمة.

والحق أن محاولة تحقيق مواضع تاريخية أتت عليها مئات السنين، فانمحت آثارها،وتغيرت أسماؤها، وتوارثها سكان بعد آخرين، من قبائل مختلفة ليست هذه المحاولة أمراً سهلاً، ولهذا فلن تخلو تلك المؤلفات التي

تضمنتها من جوانب ضعيفة، ولن يسلم من الخطأ مؤلفوها، مهما بلغوا من العلم، ومهما بذلوا من الجد، وتحري الصواب في عملهم.

هذا فيما يتعلق بأحد الجوانب التي عني (المعجم الجغرافي) بها، وهي محاولة الربط بين الماضي والحاضر، فيما يتعلق بتحديد المواضع الواردة في الأخبار والأشعار القديمة، وهو جانب ذو أهمية بالغة، بل هو أساس من أسس الدوافع إلى تأليف هذا المعجم، فماضي أمتنا مرتبط أقوى ارتباط بحاضرها، وحياتها في العصر الحاضر لا يصح أن تنفصم عن حياتها فيما مضى من العصور، متى أرادت الحفاظ على كيانها، والإبقاء على مميزاتها.

ويأتي جانب الوصف والتحديد للمواضع المعروفة ويدرك شدة الحاجة إلى هذا الجانب كل من عرف ما تتصف به بلادنا من سعة الرقعة، وتعدد المناطق، وتباعدها، وكثرة القرى والمناهل والأودية ثم هناك المواضع المختلفة في المواقع، المتفقة في الاسم، مثل خيبر وخيبر، أحدهما في الحجاز في غرب البلاد والآخر في جنوب عسير، وهما واديان فيهما قرى وسكان، وغير ذلك من عشرات القرى والمناهل التي من هذا القبيل.

بل لا غرابة في أن تجد من بين الطبقة المثقفة من أبناء هذه البلاد من يعرف عن كثير من المدن خارجها، أكثر مما يعرف عن مدنها وقراها.

لهذا فليس من المبالغة القول بأن الأستاذ الشيخ العبودي - مؤلف هذا الكتاب - وأن إخوته مؤلفي الأقسام من هذا المعجم، ممن أفضل فأجاد على هذه البلاد في مجال البحث والتأليف.

وان كتاب (بلاد القصيم) هذا يعتبر فذاً في بابه، في شموله، وفي سعة مباحثه، وفي مقدمته التي تناولت جوانب حياة أهل هذه البلاد بالدراسة الواسعة، بحيث يصح أن تعتبر كتاباً تاماً.

ليس من الحكمة أن ينظر المرء إلى عمل غيره من خلال جوانب الضعف، قبل أن يعمق النظرة في الأسباب التي نشأ عنها هذا الضعف، وحينئذ قد تكون نظرية صائبة، متى ما وضع نفسه موضع من ينظر إلى عمله.

فأنا - مثلاً - قد أرى من خلال ما قرأت من كتابي أخوي الكريمين الأستاذين محمد العبودي وسعد بن جنيدل، ما لا أتفق معهما عليه، ولكن ليس معنى هذا أن ما أراه هو عين الصواب، وهما قد يريان - ويرى غيرهما - في القسم الذي ألفت من هذا المعجم رأيا آخر، ولكننا نتفق جميعا عند غاية واحدة، كل واحد منا يسعى لبلوغها من أوضح الطرق في رأيه.

وبعد: فقد شطّ بنا القول - وينبغي أن يكون وقفاً على استقبال هذا المؤلف الجديد خير استقبال - فتناول الكلام جوانب كان من الأولى أن يتناولها القراء، غير أنني على ثقة من أن أحداً منهم لن ينكر أن هذا المؤلف فذ في بابه، وأن مؤلفه أفرغ جهده في عمله، ومن هذه بعض صفاته أليس جديراً بأن يقدر خير تقدير؟!»[1].

حمد الجاسر

❁ ❁ ❁

(١) انظر: (معجم بلاد القصيم) تأليف محمد بن ناصر العبودي (١/ ٣-٥).

مقدمة الكتاب[1]

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

ونصلي ونسلم على عبده ورسوله سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا معجم يضم المواضع الواقعة في بلاد القصيم ويشمل منطقة هامة من جزيرة العرب بل من قلبها، تبتدئ شرقاً من الدهناء. وتنتهي غرباً بحدود منطقة المدينة المنورة على امتداد يقارب ستمائة كيل. وتبتدئ جنوباً من حدود السر حتى حدود منطقة حائل أي: على امتداد يقارب في المتوسط مائتي كيل. وهذا المعجم يعتبر جزءاً من (المعجم الجغرافي الحديث للبلاد العربية السعودية) الذي تولى النداء لإصداره. ثم تولى الإشراف على انجازه الأستاذ العلامة حمد الجاسر.

أرجو أن أكون بتأليف هذا الكتاب قد ساهمت في بناء هذا المشروع العلمي الجليل، وأن أكون قد أديت لبلادي خدمة يجد فيها المعنيون بتاريخها ما يفيد وما يحفز على تحقيق المزيد من البحوث العلمية النافعة، وسأذكر - فيما بعد - عند الكلام على القصيم الاصطلاح الذي سرت عليه في تحديد مفهوم كلمة (القصيم) وذلك شيء مهم جداً؛ لأنه يوضح المواضع التي تكلمت عليها لكونها داخلة تحت الشرط الذي أخذت نفسي به كما يوضح الأسباب التي من أجلها لم أتكلم على مواضع أخرى لكونها لم تدخل في مفهوم كلمة (القصيم) لدي.

---

(١) انظر مقدمة معجم بلاد القصيم للعلامة المؤرخ/ محمد بن ناصر العبودي - حفظه الله- .

أما المواضع التي ستذكر في هذا المعجم فإنها تشمل على وجه الإجمال ماله اسم خاص من مدينة وقرية وبلدة وهجرة وواد، ومورد ماء وروضة، وخب بين الرمال، وكثيب رمل، وقصر متميز باسمه وبئر لها تاريخ تعرف به، ومنهل وقع فيه ما يجعله مادة للحديث، وقاع، وجبل، وهضبة، أو علم من الأعلام أو قارة من القارات (بتخفيف الراء) أو عرفة من العرف، كما يشتمل على ذكر الناحية من البلاد، والمرتع من المراتع في الصحراء، إلى جانب ذكر الطريق اللاحب، والسناف الممتد، والسهل من السهول، والجال المشرف، والعين الجارية أو التي كانت جارية بالإضافة إلى ذكر الجواء والسباخ وذكر النقرة والوهدة والضَّرَب، ومعدن الملح، ومنجم الذهب كما لا ينسى هذا المعجم أن ينوه بأسماء أحياء المدن، ومحلاتها، وأسواقها المشهورة. وسيرد تعريف هذه الأشياء عند ذكرها في المعجم.

وخطتي التي سرت عليها هي أن أذكر الموضع في الإسم المخصص له حسب حروف المعجم لا بالنسبة للحرف الأول فقط، بل بالنسبة أيضاً للحرف الثاني والثالث الخ.

ثم أضبطه ضبط قلم ثم ضبط حروف بذكر الحركات اللفظية كما يلفظ باسمه في الوقت الحاضر وليس على مقتضى اللفظ الفصيح.

ثم أعرِّف الموضع تعريفاً مناسباً، وأقول: مناسباً لئلا يعترض بعض إخواني من القراء على كوني لا أعرِّف المواضع تعريفاً مطولاً مسهباً وذلك لأن من يهمه أن يعرف الموضع معرفة واسعة يمكنه أن يتخذ من كتابنا هذا مدخلا لمعرفته وأن يستزيد من تلك المعرفة فيما بعد بطرق أخرى، من أهمها الوقوف على الموضع عينه.

وهذا بالنسبة للتعريف الذي أضفيه على الموضع من عندي.

أما بالنسبة للتعريفات القديمة والنصوص التي وردت فيه إذا وجدت فإنني أحرص على استكمالها، وذكرها كلها.

ثم أذكر بعد تعريفي الخاص للموضع تعريف القدماء به إن وجد، ثم أذكر الشواهد الشعرية، وبقية ما يتعلق به.

وقد تعمدت أن أذكر بعض اللمحات التاريخية التي حدثت في بعض المواضع على وجه الاختصار، لأن ذلك يلقي ضوءاً أو أضواءً على حالة ذلك الموضع لا سيما في بلاد لا تسخو المراجع التاريخية بالكثير من أخبارها.

فتلك اللمحات التاريخية على اقتضابها تعتبر ذات قيمة لا يستهان بها لمحبي الاطلاع والتتبع. ثم أنقل الأشعار العامية التي ورد فيها ذكر الموضع، وأشرحها شرحاً يستطيع القارئ العادي من خارج الجزيرة العربية أن يفهمه، أي: أشرحها شرحاً متوسطاً غير مستقص.

وإن من طريقتي في التعريف بالموضع أن أقرنه بذكر مكان مشهور أو ناحية معروفة، ذلك كأن أقول: إن جبل (صارة) واقع في الجهة الشمالية الغربية من ناحية الجواء. وأكتفي بذلك عن تعريفات طويلة عريضة تتعلق بموقعه بالنسبة لكل ما حوله وما دونه من الأماكن الأخرى وأبعاد المسافات فيما بينه وبينها. إذ ذلك تطويل لا ضرورة له ما لم تكن هناك فائدة متوخاة من الإكثار من التفضيلات.

وقد جعلته معجماً حياً فلم أخصص رسماً فيه إلا لموضع يسمى بذلك الإسم الذي ذكرته له في الوقت الحاضر، فلم أذكر فيه رسوماً لمواضع تاريخية أوردها البلدانيون الأقدمون وخفي علينا أمرها وإن كانوا ذكروا بما لا يدع مجالا للشك أنها في منطقة القصيم حتى إذا ترجح عندي أن أسماءها قد تغيرت فإنني لا أذكرها بأسمائها القديمة وإنما أتكلم عليها وأشرح أمرها،

وأورد النصوص القديمة فيها تحت الأسماء المحدثة التي أصبحت تسمى بها لأنني اعتمدت على الأسماء المعروفة المتداولة في الزمن الحاضر فعلى سبيل المثال إذا كان الباحث قد قرأ في النصوص القديمة أشياء كثيرة عن (النباج) و (القنان) و (متالع) و (الستار) وعرف أنها في القصيم ولكنه لم يعرف مواضعها أو أراد أن يستزيد من معرفة أقوال المتقدمين فيها فرجع إلى معجمنا هذا فإنه لن يجدها في رسوم لها مخصصة تحت هذه الأسماء لأنها أسماء ذهبت وبادت كما باد أهلوها الذين وضعوها واكتسبت تلك المواضع تسميات جديدة فالنباج أصبح اسمه (الأسياح) والقنان يسمى الآن (الموشم) ومتالع يعرف باسم (أم سنون) والستار هو (الربوض) عند المتأخرين. إذن على ذلك الباحث عن تلك المواضع أن يرجع إلى هذه الأسماء المحدثة، ولكن إذا كان لا يعرفها بأن يكون يعرف القنان من المراجع القديمة وأنه في القصيم ولا يعرف أنه قد أصبح يسمى (الموشم) في الوقت الحاضر فإنه يمكنه أن يرجع إلى الفهرس العام في آخر المعجم وسيجد اسم (القنان) في كل الصفحات التي ورد فيها ذكره وبالتالي يهتدي إلى أن اسمه قد أصبح الموشم ويجد أنني قد أوردت ما وصل إليه علمي من النصوص القديمة وتكلمت عليها وميزت مابها من أخطاء إن وجدت وهذا مثل يصدق على أسماء كل المواضع المماثلة له كالنباج ومتالع والستار ورقد والنتاءة.

وإذا كان الموضع الذي أتكلم عليه يشترك في الإسم مع موضع آخر أو مع عدة مواضع في الجزيرة العربية كلها قديمة التسمية فإنني أختار من نصوص المتقدمين، وأشعار الشعراء ما ينطبق على الموضع الذي أتكلم عليه أو ما أعتقده كذلك إذا لم تكن دلالته عليه قطعية دون أن أذكر المواضع الكثيرة التي يشترك معها الموضع القصيمي في الإسم. وذلك كله فعلته

اختصاراً للكلام، وطلباً لعدم التطويل إذ أنني لو تكلمت على جميع المواضع المشابهة في الإسم لكان ذلك إضافة إلى طوله خارجاً عن موضوع الكتاب الذي يقتصر على أماكن القصيم. إذ كثير من المواضع يشترك مع مواضع أخرى في الجزيرة العربية إما بالإسم الكامل أو بمشابهة الإسم أو قربه.

كما أنني قد أذكر الدوائر الرسمية والمؤسسات الحكومية في رسم البلدة أو القرية ولكن ذلك ليس بعام شامل إذ جربت التسابق مع النهضة الشاملة التي تعم المملكة العربية السعودية في هذه الأزمان فكان أن سبقتني النهضة فكان لابد من إعادة النظر في ذكر الدوائر كل شهر وذلك ما يصعب ملاحقته فذكرت بعضها منوهاً هناك أن ذكري لها هو على سبيل المثال لا الحصر لأن فتح الدوائر والمؤسسات مستمر نام نمواً لا يتوقف ولله الحمد، وقد كان في نيتي أن أذكر في المقدمة بيانات وتقارير تتعلق بالحالة الحاضرة في القصيم عن الزراعة والصناعة والتعليم وطرق المواصلات إلا أنني رأيت أخيراً أن هذه الأمور وإن كان ذكرها مفيداً فإنه ليس لازماً لهذا المعجم الذي يعتبر بالدرجة الأولى معجما جغرافيا تاريخياً، كما أن تلك الأمور قابلة للتغيير السريع وهي سهلة التناول إذ بإمكان المرء أن يحصل عليها من مكاتب العلاقات العامة في الوزارات وفروعها.

كما أنني في بداية التأليف أخذت أعمل في تقييدات تتعلق بأحوال الأسر التي تسكن في كل بلد من بلدان القصيم وبخاصة ما يتصل بتلك الأحوال من الأنساب على عزم أن أذكر فصلاً ألحقه في رسم كل بلد يتضمن أهم الأسر التي تسكنه وبيان الأشخاص البارزين من كل أسرة، وجلاء إيضاح الناحية التي برزوا فيها وبخاصة ما يكون منها له علاقة بتاريخ ذلك البلد إلا أنني وجدت أن ذلك سيطيل أمد تسويد الكتاب ويعوق سرعة إخراجه

ونشره لما لعلم الأنساب من أهمية وما هو عليه من تشعب، لا سيما في منطقة لم يؤلف كتاب في أنساب أهلها. وذلك إلى جانب كونه يجعل الكتاب أكبر حجماً، إلى درجة أن يثقل ذلك على من يريد معرفة البلدان دون أن تكون له رغبة في معرفة الأنساب أو أحوال الأسر فيها.

فحذفت تلك التقييدات وجعلتها أصلاً لكتاب آخر غير هذا الكتاب أسميته: (معجم أسر أهل القصيم). وهو وإن كان حتى الآن بعيداً عن التمام فإن ما أنجزته منه يعتبر مُرْضياً لي وحافزاً على إكماله بتؤدة وعلى تمهل وبخاصة أنني وسعت دائرته حتى قصدت أن يكون سجلاً حافلاً بما يستحق الذكر من أخبار كل أسرة من أسر القصيم، وطريقتي فيه أن أذكر اسم الأسرة القصيمية ومعنى ذلك الإسم واشتقاقه وسَبَب تسميته إن وجد السبب وعرفته. ثم أذكر من أي بلد في القصيم تكون تلك الأسرة، وبلدها الذي كانت فيه قبل وصولها إلى القصيم ثم أذكر البارزين من رجالها وترجماتهم وأخبارهم بما في ذلك آثارهم وأشعارهم وتاريخ وفياتهم حسبما يتيسر لي من ذلك. ومع أنني قد تحريت في كل ما قلته ونقلته في هذا الكتاب الحقيقة المجردة فإنني على يقين من أنه لن يخلو من هنات غير مقصودة أو هفوات زل بها القلم أو نبا عنها الفهم كما هي طبيعة الأشياء في كل كتاب يتعرض لما تعرض له هذا المعجم من موضوع هو أول مؤلف يكتب عن هذه المنطقة على هذا النحو. لذلك أشعر بأنه لابد لي من كلمة أهمس بها في آذان بعض الأشخاص الذين يهتمون بتتبع السقطات والغلطات، والبحث عن العيوب والهفوات، الذين إذا وجدوا خطأً، أو أدركوا سهواً في كتاب، فرحوا به أكثر مما يفرحون بما فيه من صواب. وهي قول بعض العلماء القدماء الأعلام من علماء الإسلام: إن المنصف من اغتفر قليل خطإ المرء في كثير

صوابه، لأن الله تعالى لم يجعل العصمة لكتاب غير كتابه، فما كان فيه من صواب وحق فمن الله تعالى، وما كان فيه من خطإ وسهو فمن النفس والشيطان. وقد أمسكت عنان القلم عن المضي في تأليف هذا المعجم وأنا لا أزال أرى أن الأمر بحاجة إلى مزيد من البحث، وكثير من الاستقصاء ولولا رغبة بل رغبات لإخوان لي أعزاء على رأسهم الأستاذ الكبير حمد الجاسر في طبعه وإخراجه - لتأخر إخراجه شهوراً تتبعها شهور وربما سنون تتلوها سنون، ولكن عسى أن يكون في الطبعة الثانية - إن قدر لهذا المعجم أن يطبع طبعة أخرى - ما يضيف جديداً أو يجلو غامضاً، أو يفصل مجملاً، أو يقيد مغفلاً.

وبهذه المناسبة أجدني ملزماً بشكر جميع الذين قدموا لي مساعدة على أمر من أمور هذا التأليف وأخص بالشكر الأستاذ مقبل بن محمد المقبل الوكيل المساعد لأمارة منطقة القصيم، والأخ بدر بن مفضي البهيمة من مشايخ مزينة من حرب، والأستاذ صالح بن سليمان العمري، والأمير زيد بن محمد ابن حماد من كبار الفردة من حرب.

أما أستاذنا الجليل الشيخ حمد الجاسر فهو الذي كانت الفكرة في تأليف هذا المعجم فكرته، وهو الذي حملني حملاً، وألزمني في مبدإ الأمر العمل فيه إلزاما، ثم أخذ ينشر فصولاً منه في مجلته المهمة (العرب) لهذا فهو أحق بأن يهدى هذا المعجم إليه، ويوضع بين يديه.

نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها صالحة، وأن يجعل خواتمها أكثر صلاحاً من أوائلها إنه هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف/ محمد بن ناصر العبودي

بريدة: يوم الجمعة ١٩/٦/١٣٩٨هـ، ٢٦/٥/١٩٧٨م.

المبحث الثاني
العالِم النسّابة

العبودي - كما تقدم - معنيٌّ ومغرم بالبحث عموماً، والأنساب لها حظها ونصيبها من عنايته وتحقيقه، ولا غرو في ذلك، فشواهد علميته وتحقيقه قائمة مبثوثة في كتبه التي من أبرزها المعجم الجغرافي عن بلاد القصيم، الذي تضمن مسائل مهمة في الأنساب للقبائل المستقرة والراحلة في منطقة القصيم.

وقد تناول ذلك تفصيلاً في المجلد الأول حين حديثه عن منازل القبائل القريبة القديمة في منطقة القصيم، مستعرضاً أسماء القبائل نحو: بني أسد، وباهلة، وبني تميم، وبني خالد، وبني عبس، وغطفان وقريش، وغيرها.

ثم أشار في فصل مستقل إلى منازل القبائل العربية المعاصرة في القصيم، وقد صدّر حديثه بقبيلة حرب الكبرى التي تضرب أطنابها في نواحي القصيم ممتدة شمالاً وغرباً وجنوباً، وقد أعد العبودي بياناً وجداول دقيقة تبين الموطن والمكان والهجرة التي تقطنها، وفرع القبيلة وبعدها عن مدينة بريدة، ثم ثنّى بالحديث عن قبيلة بني رشيد ومنازلهم وأماكنهم.

وقد أكّد من خلال حصره وبيانه أن قبيلة حرب على اختلاف فروعها وأفخاذها لها النصيب الأوفى من السكن في القصيم، فهي أكثر القبائل البدوية تحضراً واستقراراً فيه.[1]

---

(١) لمزيد من معرفة أخبار قبيلة حرب، انظر مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب، وفصولاً من تاريخ قبيلة حرب، وقصصاً وأشعاراً من قبيلة حرب، وأخبار الخيل عند قبيلة حرب، وأحديات وألقاباً من قبيلة حرب، وجميعها للباحث فائز بن موسى البدراني الحربي.

ويرى العبودي صعوبة إرجاع أصول القبائل العربية القديمة التي انتهى اسمها من القصيم، حتى لا يعرف لها من ينتسب إليها من أهل الحضر المقيمين فيه في الوقت الحاضر مثل بني أسد وبني عبس، إضافة إلى أن بعض القبائل العربية قد هجرت مواطنها القديمة، ودخلت في قبائل أخرى حتى نسي اسمها.[1]

إلا أنه في الوقت ذاته يؤكد العبودي أنه يوجد بعض القبائل العربية الحالية التي يعرف شيء عن أصلها القديم، مثل قبيلة حرب، التي هي قحطانية جاءت من اليمن في القرن الثاني الهجري، ولكن دخل فيها عدد من الأفخاذ العدنانية والجماعات المختلفة، وبنو عبد الله من قبيلة مطير الحالية معروف أنهم من بقايا بني عبد الله من غطفان، وعتيبة هي في معظم أفرادها من قبيلة هوازن القديمة، وشمر من طيئ، وعنزة من بكر بن وائل.

وعلى الرغم من أن العبودي قد أشار في المعجم الجغرافي إلى أن بني رشيد ابن هتيم، إلا أن ذلك لم يمنعه فيما بعد أن يعلن تراجعه عن هذه النسبة، وأن النقل الذي أشار إليه لم يكن من مصدر مكتوب، وليس مؤكداً ومدوناً، إنما هو قول لبعض الأعراب الذين يخطئون ويصيبون، وقد تبين لي خطؤهم، كما يقول، وإن بني رشيد ليسوا من هتيم أيضاً، وقد صحح هذا الخطأ في الطبعة الثانية من المعجم. وبنو رشيد كما يقول العبودي ويؤكد، قبيلة عربية صحيحة تتمتع بالأخلاق الموروثة والشجاعة والكرم وحماية الدار.

ويقع في قمة وقامة اهتمامه في علم الأنساب وأخبار الأسر والقبائل معجمه الكبير المسمى (معجم أسر أهل القصيم).

---

(١) انظر المعجم الجغرافي: ١/ ١٥١.

وهو كتاب ضخم يقوم على منهجية فريدة يصح إطلاق المعجمية عليه، فقد تناول تتبعاً لجميع الأسر الحديثة والقديمة، والحاضرة والمنقرضة، مصدراً بالحديث بالتسمية وسببها، وتاريخ الأسرة ونزولها ونزوحها واستقرارها وقدومها إلى القصيم، ثم يشير إلى نسبها والتعريف بالقبيلة إن وجد للأسرة نسبة، كما يتناول في المعجم التعريف بأعلام الأسر ومشاهيرها ورجالاتها من أبطال وشجعان وكرماء ونبلاء وشعراء ورجال علم ودعوة وقضاء ودولة، وجميع ذلك محلّى بقصص وطرائف ومواقف وأحداث تتبّع العبودي روايتها، وتثبّت من نقلها.

كما أن العبودي محقق في النسب يبدي بكل جرأة رأيه، ولا يتوانى في إظهار الحقيقة التي يعتقدها، لكنه في الوقت ذاته لا يسمح لنفسه أن يكون ذلك سبيلاً للنيل من أحد، أو انتقاص فئة أو أسرة أو غير ذلك.

والعبودي يدرك من خلال معتركه الطويل في الحياة أن الحديث في هذا الأمر قد يسبب تأويلات وتفسيرات، وقد يطول إلى الحساسية وعدم القبول والرضا، وصعوبة تبديل القناعات، إلا أن الحق أحق أن يتبع.

ومن منهجية العبودي أنه من خلال استقرائه وتمحيصه لم يتوان في نسبة عدد من الأسر غير المنتمية إلى قبائل في الوقت الحاضر وإرجاعها إلى أصولها ونسبتها الحقة وانتمائها القبيلي الذي نأى بها فترة من الزمن لأسباب وظروف معلومة.

وقد أبرز في مقدمته لمعجمه المخطوط طريقته في ذلك المستندة على الوثائق والأوراق والمكاتبات القديمة التي تنير الطريق للباحث عن الحقيقة.

وقد أشار العلامة حمد الجاسر - رحمه الله - في كتابه (الأسر المتحضرة في

نجد) إلى رجوعه المتكرر إلى مسودات كتاب العبودي المخطوط، فقد وصفه بأنه مرجعه الأول كما هو واضح في الكتاب، ومن المؤمّل أن يتم صدور هذا المعجم الأُسَري الهائل قريباً إن شاء الله.[1]

❁ ❁ ❁

(١) انظر: عميد الرحالين، لمحمد بن عبد الله المشوح. (ص: ٢٨٩-٢٩٢).

المبحث الثالث
العالم المؤرخ

إن مما لا شك فيه أن التاريخ هو ترجمان العصور، ولسان الدهور، والأمة التي لا تاريخ لها لا قيمة لها.

قال الصفدي: التاريخ للزمان مرآة، وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة، وأنشد:[1]

لولا الأحاديث أبقتها أوائلنا   من الندى والردى لم يعرف السمر

وكان يقال: من أرّخ فقد حاسب الأيام على عمره، ومن كتب حوادث الزمان فقد كتب إلى من بعده بحديث دهره، ومن قيد مشاهدة فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره، وقد قيل:

إذا علم الإنسان أخبار من مضى   توهمته قد عاش من أول الدهر

وتحسبه قد عاش آخر عمره   إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر

وقال آخر:

طالع تواريخ من في الأرض قد وجدوا   تجد أموراً تسلّي عنك ما تجد

حقاً، فإن الاطلاع على أخبار المتقدمين ومن سلف من خيار المسلمين، مسلاةٌ للنفس، وإثراء للعقل، لما يتخلل ذلك من نوادر الأخبار، وجميل المواعظ والاعتبار، ولما يشتمل عليه من دروب الفوائد، ويوقظ إليه من الهداية على جميل السير وكريم المحامد، لا سيما أخبار الصالحين والأدباء

---

(١) انظر الوافي بالوفيات: (١/ ٤-٥)، ومنائح الكرم للسنجاري: (١/ ١٩٨).

وأهل البصيرة من العلماء، فأخبارهم تغمر مجالس الأشراف، وللنفوس إلى تعرفها تطلّع واستشراف.

فسير الكبار والأجواد والعلماء يميل إلى تعرفها كل فؤاد، ويتشوق إليها كل حريص وهاد.

إن في تواريخ الأمم والشعوب فصولاً من حياة العلماء العاملين، والأئمة المصلحين، والأدباء المبرزين، جعلت تواريخهم حافلةً بالعطاء، ومشرقة بالإنجازات الهائلة في مختلف العلوم والفنون.

إن تاريخ الإسلام سيسجل بكل الفخر والاعتزاز جهود هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين أخذوا العلم فعلموا ووعوا واستوعبوا، وتحدثوا فملكوا مجامع القلوب بحجة قوية، وبرهان يغلق منافذ القول، تمثّلوا بالفضائل، وتكاملت فيهم صفات الإيمان والإخلاص والتفاني في سبيل خدمة هذا الدين، ورفعة شأنه والذود عن حياضه.

إن كتابة ومطالعة تاريخ العلماء قديماً وحديثاً وما أتوا به من جليل الأعمال وعظيم الفعال، من أهم ما تجب العناية به، وذلك أن للتاريخ تأثيراً في الأخلاق والوجدانات النفسية والميول الشريفة، وإعداد النفس للحياة الاجتماعية، وتعلم سير النظام الكوني في سننه، من ارتباط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، فيتخذ الماضي مثالاً للحاضر، وتبصر فيما كان يتخذه العلماء الأقدمون والمتأخرون من الأسباب لارتقائهم، فيرى الإنسان أفاضل العلماء يسهرون ويدأبون جاهدين في تحصيل سعادتهم في الدارين غير عابئين بما يعترضهم من عقبات، ويُريقون من دمائهم في الدفاع عن دينهم، ويبذلون النفس والنفيس في إصلاح ما فسد منه، فهم الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنة رسول الله ﷺ، فطوبى لهم.

فمتى نظر القارئ في السيرة النبوية، وتاريخ الخلفاء والأمم، بتمعن وتفكر، فإنه سيستفيد حتماً من التعرف على ذلك المنهج الذي سلكوه، والطريق الوعر الذي اجتازوه، وسيكون له فيهم قدوة حسنة وأسوة طيبة في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ولين الجانب.

كما أنه يجد في مقدماتها الصبر وصدق العزيمة، وكأن الشاعر قد عناهم بقوله:

وكابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وجدير بمن عرف مقدار ما تكبده السلف - من تأسيس آثارهم الشاخصة من المصاعب، ومقدار ما منحوا من عزيز الأنفس لدى أعتاب أسوارها - أن لا تكون له يد عاملة في نقضها، أو روح لا تتفانى في حمايتها وصونها، وإن التاريخ سلسلة تربط بيننا وبين رجال ديننا، وهو أيضاً سلسلة تربط بين ديننا وبين رجاله، وكأن الإسلام لا يهتم بشيء اهتمامه بالسير والتاريخ، فقد رُوي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه كان يعلم أولاده مغازي رسول الله ﷺ ويقول: ((يا بنيّ، هذه مفاخر آبائكم فحافظوا عليها)).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((ذكر الله تعالى التاريخ في كتابه)).

واستنبطه بعضهم من قوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.(1)

(1) سورة هود: الآية (١٢٠).

قال الثعالبي: (لأن فيه إعلاماً بذكر الأمم الماضية والقرون الخالية، وإحياء لذكرهم ومآثرهم وتثبيتاً له، وتنويهاً بعلو قدره، وشرف أمته ﷺ).[1]

يقول الدكتور فهد السماري - حفظه الله -: (إن شخصية العبودي متعددة الاهتمامات والعناوين كمؤرخ، وهو عالم بارز في الفنون والعلوم، وشخصية لها أكثر من عنوان، وله عطاءات وامتدادات من رجالات بريدة بل من رجالات القصيم، بل من رجالات المملكة، فهو يستحق التكريم، وفاءً لهذا الشخص، مشيراً بإصداراته المتعددة والذي أبدع في ربط الحديث في المعلومة، وربط تلك الروايات في نص مكتوب، واستخدم أسلوب المشاهدة، إضافة إلى ما قدمه من لوحة علمية في التاريخ الاجتماعي.

إن من ملامح اهتمام العبودي التاريخي: بروزه في كتابه المعجم الجغرافي عن بلاد القصيم، الذي بدت فيه ملكاته التاريخية التي دونها في ثنايا حديثه عن بريدة وعنيزة والرس والبكيرية والمذنب وعيون الجواء والأسياح والشماسية، وهي لمحات مهمة نادرة اعتمد فيها على النقل والرواية التي أمضى العبودي سنين طويلة في تحصيلها وجمعها، وهي عزيزة شحيحة، إلا في موضعها عند العبودي. والمتأمل لتلك اللمحات التي تصدرت الحديث عن مدن القصيم وحواضره، يدرك بجلاء العمق التاريخي.

وقد كتب عدداً من المشاهدات التاريخية المهمة التي تُدون فترة من فترات البناء والتأسيس التي عاشتها هذه البلاد، وقد كتب في ذلك: المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر، الذي يشير فيه إلى أنه جاء مشاركاً في مناسبة

---

(١) انظر: منائح الكرم للسنجاري (١/ ٢٠٠).

كريمة وعزيزة على كل مواطن في المملكة العربية السعودية مبتهجاً بالـذكرى المئوية لدخول الملك عبد العزيز - رحمه الله - إلى الرياض، وقيـام الدولـة السعودية مستعرضاً مجالات الحياة التي كانت تعيشها بلادنا قبل قيام الحكـم السعودي وبعده، مثل: القضـاء، والأمـن، والمرافـق، والتعلـيم، والصـحة، ومكانة المرأة، ونحو ذلك.

وهو كتاب توثيقي خاص، يسرد فيه العبودي مواقـف عاشـها وسـمعها وعاينها في سنيّ هذه البلاد ونشأتها وتطورها."(١)

---

(١) انظر: عميد الرحالين لمحمد عبد الله المشوح (ص: ٢٧٨).